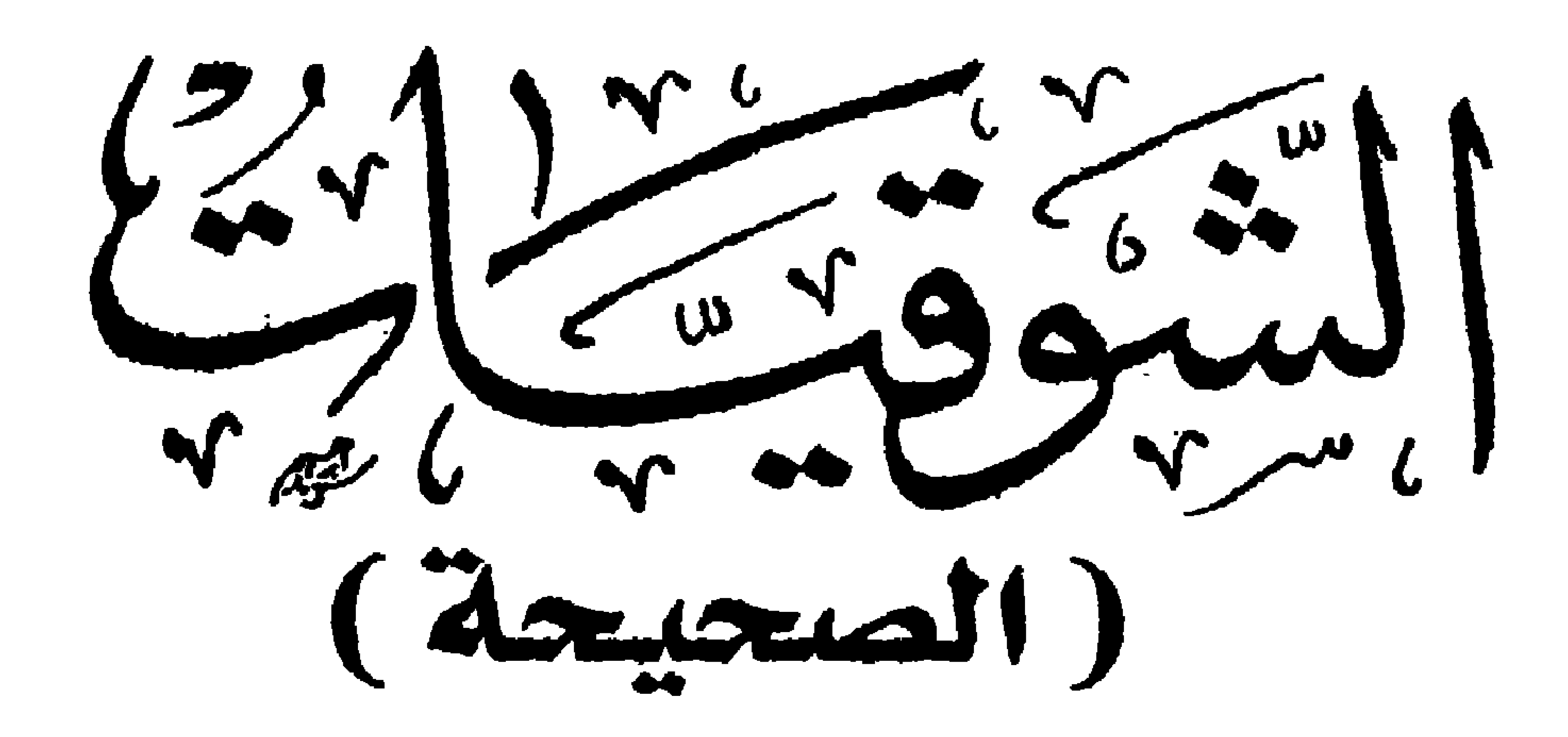
الشوقيات

(الصحيحة)

للمرحوم

أحمد شوقي

الجزء الثانى



للمرحوم

أحمد شوقي



باب الوصف

آيةُ العصرِ في سماءِ مِصرَ

[نظمت عند قدوم (فدرين) و (بونيه) طائرين من باريز إلى مصر سنة ١٩١٤].

يا فرنسا نلتِ أسبابَ[1] السماءْ ... وتملّكتِ مقاليدَ الجواءْ

غُلِبَ النَّسرُ على دولتـه ... وتنحّى لكِ عن عرشِ الهواءْ

وأتتكِ الريحُ تمشي أمَةً[2] ... لكِ يا بلقيسُ[3] من أوفى الإماءْ

رُوِّضتْ بعد جِماحٍ وجرتْ ... طوعَ سُلطانَينِ: عِلمٍ وذكاءْ

لكِ خيـلٌ بجناحٍ أشبهتْ ... خيلَ جبريلَ لنصرِ الأنبياءْ

وبَريدٌ يسحبُ الذيلَ على ... بُرُدٍ[4] في البرِّ والبحرِ بِطاءْ[5]

تطلعُ الشمسُ فيجري دونها ... فوقَ عُنقِ الرِّيحِ أو متنِ العَماءْ[6]

رِحلةُ المشرقِ والمغربِ ما ... لبثتْ غيرَ صَبـاحٍ ومَساءْ

بُسَلاءِ الإنسِ والجنِّ فِدًى ... لِفريقٍ من بَنيكِ البُسَلاءْ

ضاقتِ الأرضُ بهم فاتخذوا ... في السمواتِ قبورَ الشهداءْ

فِتيةٌ يُمسونَ جيرانَ السُّها[7] ... سُمَراءَ النجمِ في أوجِ العَلاءْ

حُوَّمًا فوقَ جبالٍ لم تكن ... للرياحِ الهُوجِ يومًا بِوِطاءْ

لِسُليمانَ بِساطٌ واحدٌ ... ولهم ألفُ بساطٍ في الفضاءْ

يركبُونَ الشُّهْبَ والسُّحْبَ إلى ... رِفعةِ الذكرِ وعلياءِ الثناءْ

---

(١) أسباب السماء: مراقيها أو طرقها أو نواحيها أو أبوابها. (٢) الأمة: المملوكة. (٣) صاحبة نبي الله سليمان الذى سخرت له الريح. (٤) برد: جمع بريد. (٥) بطاء: جمع بطيء. (٦) العماء: السحاب المرتفع أو الكثيف أو الممطر أو الرقيق. (٧) السها: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى.

يا «نسورًا» هبطوا «الوادى» على ... سالف الحب ومأثور الولاء
دارُكم مصرُ ، وفيها قومُكم ... مرحبًا بالأقربين الكرماء
طرتمُ فيها فطارت فرحًا ... بأعزّ الضيف[1] خيرِ النزلاء
هل شجاكم فى ثرى أهرامها ... ما أرقتمْ من دُموع ودماء؟
أين نسرٌ[2] قد تلقّى قبلكم ... عِظةَ الأجيال من أعلى بناء؟
لو شهدتم عصرَه أضحى له ... عالمُ الأفلاك معقودَ اللواء
جرحَ الأهرامَ فى عِزّتها ... فمشى للقبر مجروحَ الإباء
أخذتْ تاجًا بتاجٍ ثأرَها ... وجزت من صَلفٍ[3] بالكبرياء
وتمنّتْ لو حوتْ أعظمه ... بين أبناء الشموس العُظماء

* * *

جلّ شأن الله هادى خلقه ... بهُدى العلم ونورِ العلماء
زفّ من آياته الكبرى لنا ... طِلبةً طال بها عهدُ الرّجاء
مركبٌ لو سلف الدهرُ به ... كان إحدى معجزاتِ القدماء
نصفه طيرٌ ، ونصفٌ بشرٌ ... يالها إحدى أعاجيبِ القضاء!
رائعٌ ، مرتفعًا أو واقعًا ، ... أنفسَ الشجعانِ قبلَ الجبناء
مُسرَجٌ فى كلّ حين مُلجَمٌ ... كاملُ العُدّة ، مرموق الرُّواء[4]
كبساط الرّيحِ فى القدرة أو ... هُدهُد السيرةِ فى صدق البلاء
أو كحوتٍ يرتمى الموجُ به ... سابحٍ بين ظهورٍ وخفاء
راكبٍ ما شاء من أطرافه ... لا يرى من مركب ذى عدواء[5]

---

(١) الضيف : النزيل على غيره ويكون للواحد والجمع لأنه فى الأصل مصدر .

(٢) يريد به نابليون الأول (٣) الصلف : مجاوزة قدر الظرف .

(٤) الرواء : حسن المنظر (٥) مركب ذى عدواء : أى ليس بمطمئن .

مَلأ الجوَّ فعالا ، وغدا عجبَ الغربانِ فيه والحِداء

وترى السُّحبَ به راعدةً من حديدٍ جُمّعت لا من رَواء[1]

حمل الفولاذَ ريشًا . وجرى في عنانيْن له : نارٍ وماء

وجَناحٍ غيرِ ذي قادمةٍ[2] كجَناحِ النحلِ مَصقولٍ سَواء

وذُنابَى ، كلُّ ريحٍ مسَّها مسَّهُ صاعقةٌ من كهرُباء

يتراءى كوكبًا ذا ذَنَبٍ فإذا جدّ فسهمًا ذا مَضاء

فإذا جاز الثريّا للسُّرى جرّ كالطاووس ذيلَ الخُيَلاء

يملأ الآفاقَ صوتًا وصدًى كعزيفِ الجنّ في الأرضِ العَراء

أرسلته الأرضُ عنها خبرًا طنّ في آذانِ سُكانِ السَّماء

* * *

يا شبابَ الغدِ وأبنايَ الفِدى لكمُ أكرِمْ وأعزز بالفِداء

هل يمدُّ اللهُ لي العيشَ . عسى أن أراكم في الفريقِ السُّعَداء

وأرى تاجَكمُ فوقَ السُّها وأرى عرشَكمُ فوقَ ذُكاء[3]

مَنْ رآكم قال مصر استرجعتْ عِزّها في عهدِ «خوفو» و«مِنا»

أُمّةٌ للخلدِ ما تبني . إذا ما بنى الناسُ جميعًا للعَفاء[4]

تعصمُ الأجسامَ من عادي البِلى وتقي الآثارَ من عادي الفناء

إن أسأنا لكمُ أو لم نسئ نحن هَلْكى فلكم طولُ البقاء

إنما مصرُ إليكمْ وبكمْ وحقوقُ البرِّ أولى بالقضاء

عَصرُكم حرٌّ ومُستقبَلُكم في يمينِ اللهِ خيرِ الأمناء

لا تقولوا حطّنا الدهرُ . فما هو إلا من خَيالِ الشُّعَراء

---

(١) الرواء : الماء العذب . (٢) القادمة : واحدة القوادم وهي عشر ريشات في مقدم الجناح ، وهي كبار الريش . (٣) ذكاء : اسم للشمس . (٤) العفاء : الدروس والهلاك والفناء .

هل علمتمْ أُمّةً في جهلها ... ظهرتْ في المجد حسناءَ الرِّداء

باطنُ الأمةِ من ظاهرِها ... إنما السائلُ مِنْ لونِ الإناء

فخُذوا العِلمَ على أعلامه ... واطلبوا الحكمةَ عندَ الحكماء

واقرأوا تاريخكمْ واحتفظوا ... بفصيحٍ جاءكمْ من فصحاء

أنزلَ اللهُ على ألسُنِهم ... وَحْيَه في أعصرِ الوحي الوِضاء[1]

واحكموا الدنيا بسُلطانٍ فما ... خُلقتْ نَضرتها للضعفاء

واطلبوا المجدَ على الأرض فإن ... هي ضاقت فاطلبوهُ في السماء

شيكسبير

أعَلى الممالك ما كرسيُّه الماءُ ... وما دِعامتُه[2] بالحق شمّاءُ

ياجيرةَ (المنش) حلاّكم أُبوّتكم ... ما لم يُطوَّقْ به الأبناءَ آباءُ

مُلكٌ يطاول ملكَ الشمس، عزّتُه ... في الغرب باذخةٌ في الشرق قعساءُ[3]

تأوي الحقيقةُ منه والحقوق إلى ... رُكنٍ بَناهُ من الأخلاق بنّاءُ

أعلاه بالنظرِ العالي ونطّقه ... بحائط الرأي أشياخٌ أجلاّءُ

وحاطَهُ بالقَنا : فتيانُ مملكةٍ ... في السلم زَهرُ رُبى في الروع أرزاءُ

يستصرخون ويُرجى فضلُ نجدتهم ... كأنهم عربٌ في الدهر عَرْباءُ[4]

ودولةٌ لا يراها الظنُّ من سَعةٍ ... ولا وراءَ مداها فيه علياءُ

عصماءُ لا سببُ الرحمنِ مُطَّرحٌ ... فيها ولا رَحِمُ الإنسانِ قطعاءُ

---

(١) الوضاء : المشرقة الحسنة . (٢) الدعامة أو الدعام : عماد البيت .

(٣) قعساء : أي ثابتة . (٤) العرباء من العرب : الصرحاء الخلص .

تلك (الجزائر) كانت تحتهم رُكُنًا ... وراءهن لباغي الصَّيدِ عَنْقاء[1]

وكان وُدُّهمُ الصافي ونُصرتُهم ... للسلمين وراعيهم كما شاءوا

* * *

دستورُهم عجبُ الدنيا وشاعرُهم ... يدٌ على خلقهِ لله بيضاء

ماأنجبتْ مثلَ (شيكسبير) حاضرةٌ ... ولا نمتْ من كريم الطير عَنّاء[2]

نالتْ به وَحدَه (إنكلترا) شرفاً ... مالم تنلْ بالنجوم الكُثْر جَوْزاء[3]

لم تُكشَفِ النفسُ لولاه ولا بَليت[4] ... لها سرائر لا تُحصَى وأهواء

شعرٌ من اللَّسَق الأعلى يُؤَيدُه ... من جانب الله إلهامٌ وإيحاء

من كل بَيْتٍ كآيِ الله تسكنُه ... حَقيقةٌ من خَيالِ الشِعرِ غرَّاء[5]

وكلِّ معنى كعيسى فى محاسنه ... جاءت به من بناتِ الشعر عَذراء

أو قصةٍ ككتابِ الدهرِ جامعةٍ ... كلاهُما فيه إضحاكٌ وإبكاء

مهما تُمَثَّلْ ترَى الدنيا ممثَّلةً ... أو تُتْلَ فهى من الإنجيل أجزاء

* * *

يا صاحبَ العُصُر الخالى ألا خَبَرٌ ... عن عالَمِ الموتِ يرويه الألِبَّاء[6]

أما الحياةُ فأمرٌ قد وصفتَ لنا ... فهل لِمَا بعدُ تمثيلٌ وإدناء[7]

بمن أماتك قل لى: كيف جُمجمةٌ ... غبراءُ فى ظُلمات الأرض جَوْفاء[8]

كانتْ سماءَ بيانٍ غيرِ مُقلِعة[9] ... شُؤْبُوبها[10] عَسَلٌ صافٍ وصَهْباء

فأصبحت كأصيصٍ[11] غيرِ مُفتقَدٍ ... جفَتْه ريحانةٌ للشعر فَيْحاء

وكيف باتَ لِسانٌ لم يدعْ غرضاً ... ولم تَفتْه من الباغين عوْراء[12]

---

(١) طائر معروف الاسم مجهول الجسم. (٢) الروضة الكثيرة العشب. (٣) الجوزاء: برج فى السماء. (٤) امتحنت. (٥) ناصعة. (٦) الألباء: العقلاء، جمع لبيب. (٧) أدنى الشىء: قربه اليه. (٨) جوفاء: فارغة. (٩) ذاهبة. (١٠) الشؤبوب: الدفعة من المطر. (١١) الأصيص: نصف الجرة يزرع فيها الرياحين. (١٢) العوراء: الكلمة أو الفعلة القبيحة.

عفا فأمسى ذُنابى عقربٍ بَلِيَتْ ... وسُمُّها فى عروقِ الظلم مَشّاء

وما الذى صنعتْ أيدى البلى بيَدٍ ... لها إلى الغيب بالأقلامِ إيماء؟

فى كلِّ أنملةٍ منها إذا انبَجستْ[1] ... بَرْقٌ ورَعْدٌ وأرواحٌ وأنواء

أمستْ من الدُّودِ مثلَ الدُّودِ فى جَدَثٍ ... قُفّازُها فيه حَصباءٌ[2] وبَوغاء[3]

وأينَ تحت الثرى قلبٌ جَوَانبُه ... كأنهنَّ لوادى الحق أرجاء؟

تُصْغى إلى دَقّه أُذنُ البيان كما ... إلى النواقيس للرُّهبانِ إصْغاء

لئن تمشَّى البِلى تحتَ التراب به ... لا يُؤكل الليثُ إلا وهْو أشلاء[4]

* * *

والناسُ صِنفان موتًى فى حَياتهم ... وآخَرُون ببطنِ الأرض أحيَاء

تأبَى المواهبُ فالأحياءُ بينهمُ ... لا يستَوُون ولا الأمواتُ أكفاء

يا واصِفَ الدّمِ يجرى هَهنا وهُنا ... قُمِ انظرِ الدّمَ فهْو اليومَ دَأْماء[5]

لا مُوكَ فى جَعْلكَ الإنسانَ ذئبَ دمٍ ... واليومَ تبدو لهم من ذاك أشياء

وقيل أكثرَ ذِكرَ القتل، ثم أتَوا ... ما لم تَسَعْهُ خَيالاتٌ وأنباء

كانوا الذئابَ وكان الجهلُ داءَهمو ... واليومَ عِلمُهُمُ الراقى هو الداء

لؤمُ الحياة مَشى فى الناس قاطبةً ... كما مَشَى آدمٌ فيهم وحَــوّاء

قمْ أيّدِ الحقَّ فى الدنيا أليس له ... كتيبة منكَ تحت الأرضِ خَرْساء

وأين صوتٌ تَمِيدُ الراسياتُ له ... كما تمايَدَ يومَ النار سيناء[6]

وأين ماضيةٌ فى الظلم قاضيةٌ ... وأين نافذةٌ فى البَغى نجلاء

أيترُكُ الأرض جانوها وليس بها ... صحيفةٌ منك فى الجانين سوداء

تأوى إليها الأيَامَى[7] فهْى تعزِيَةٌ ... ويَستريحُ اليتامى فهْى تأساء[8]

---

(١) انبجست: أى انفجرت. (٢) الحصباء: الحصى، الواحدة حصبة. (٣) البوغاء: ما يثور من الغبار ودقاق التراب. (٤) أشلاء واحدها شلو: العضو والجسد من كل شىء. (٥) الدأماء: البحر. (٦) يريد النار التى ظهرت لموسى الكليم وهو سائر بأهله شطر طورسينا. (٧) أيامى جمع أيم، المرأة التى تفقد زوجها أو الرجل الذى يفقد امرأته. (٨) تعزية وتسلية

أَثَرُ الْبَالِ فِى الْبَالِ

[فى وصف ليلة راقصة أقيمت فى قصر عابدين]

حَفَّ كأسَها الحَبَبُ   فهى فِضةٌ ذَهَبُ [1]
أو دوائرٌ دُرَرٌ   مائجٌ بها لَبَبُ [2]
أو فمُ الحبيبِ جلا   عن جُمانِهِ الشَّنَبُ [3]
أو يداه باطِنُها   عاطِلٌ ومختضِب
أو شَقيقُ وجنتِهِ   حينَ لى به لَعِبُ [4]
راحةُ النفوس، وهل   عند راحةٍ تَعَبُ؟
يا نديمُ خِفَّ بها   لا كَبَا بكَ الطرب
لا تقلْ عواقبُها   فالعواقبُ الأدب
تنجلِى ولى خُلُقٌ   ينجلى وينسكِب
يرقُبُ الرفاقُ له   كلما سَرَى شرِبوا
شاعرُ العزيز وما   بالقليل ذا اللقب
ليلةٌ لسيِّدِنا   فى الزمان تُرتَقب
دونها الرشيدُ وما   أخلَدتْ له الكُتُب

---

(١) الحبب : الفقاقيع التى تعلو الخمر.   (٢) اللبب : موضع القلادة من الصدر.
(٣) جلا : أى كشف ، والجمان : اللؤلؤ ، والشنب : عذوبة الأسنان.
(٤) الشقيق : واحدة شقائق النعمان وهى أزاهر حمراء فيها بقع سوداء.

يُهرعُ النزيلُ لهـا والرعيَّـةُ النُّخبُ(١)

فالسّراىُ جَوْهرةٌ للعُقول تختلِب

أو كَباقةٍ زَهْرَا لِلعيون تأتشِب(٢)

الجَـلالُ قُبَّتُه والسَّنا له طُنُب(٣)

ثابتٌ وذِرْوَتُـهُ فى الفضاء تضطرِب

أشرقتْ نوافِـذُه فهْىَ مَنظرٌ عجَب

واسْـتَنارَ رفْرَفُهُ والسُّجوفُ والحُجُب(٤)

تعجَب العيونُ له كيف تَسكُنُ الشُّهُب(٥)

أقبلتْ شموسُ ضُحًى ما لهن منتقَب(٦)

الظـلامُ رَايتُهـا وهْى جَيْشهُ اللَّجِب(٧)

فى هَوادجٍ عَجِلاً بالجيـادِ تنسحِب

قامَ دُونهـا سَبَبٌ واستحثَّها سَـبَب(٨)

فهْى تارةً مَهَلٌ وهْى تارةً خَبَب(٩)

تَرْتمى بهنّ حِمًى لا يجـوزُه رَغَب(١٠)

بابُه لِداخِـلِه جَنَّةٌ هى الأرَب

---

(١) النخب : جمع نخبة وهى المختار من كل شىء . (٢) ائتشب الشجر : التف ، والزهرا : الزهراء . (٣) السنا هنا مقصورة من السناء بمعنى الرفعة ، والطنب : الوتد أو الحبل الذى يشد به سرادق البيت (٤) الرفرف : الرقيق من ثياب الديباج ، والسجوف : الستور جمع سجاف . (٥) يشبه مصابيح القصر بشهب ثابتة . (٦) المنتقب : النقاب (٧) الجيش اللجب : ذو الكثرة والضجيج . (٨) السبب : الحبل ، ويشير به أولا إلى زمام الدابة وثانيا إلى سوط السائق . (٩) الخبب : سرعة عدو الجياد . (١٠) ترتمى بمعنى ترمى ، والرغب : الابتهال والمعنى أنها تذهب بهن إلى ملجأ هو وحده غاية الراجى وكعبة الضارع .

قامتِ السُّراةُ به والمِيِّـــةُ النُّجبُ[١]

وانبرَى النساءُ له عُجْمُهُنَّ والعرَبُ

العفــافُ زينتُها والجمـــالُ والحسَب

أنجمٌ مَطالِعُهــا عابدينَ والرَّحب[٢]

سيِّدى لها فلَكٌ وهى منـــه تقترب

عند رُكن حُجْرتِه بَدْرُه لنا كَثَب[٣]

يزدهى السَّريرُ به والمطارِفُ القُشُب[٤]

حَوْل عَرْشِـه عجمٌ حوْل عرشِه عَرَب

رُتبةُ الجدودِ له تستوى بها الرُّتَب

شُرِّفتْ به وسَمَا تالِدٌ ومُكتَسَب[٥]

الليوثُ ماثِــلةٌ والظبــاء تنسَرِب

الحريرُ ملبَسُهـــا واللُّجَيْن والذهب[٦]

والقصورُ مَسْرحُها لا الرِّمال والعُشُب

يســتفزُّها نغمٌ لا صدًى ولا لَجَب[٧]

يُستعادُ مُرقصـــه تـــارةً ويُقتضب

فالقدودُ بانُ رُبًى بَيْدَ أنها تَثِب[٨]

يلعبُ العِناقُ بهــا وهو مُشفِقٌ حَدِب[٩]

---

(١) السراة : جمع سرى وهو السيد الشريف فى سخاء ومروءة ، والنجب جمع نجيب وهو الكريم الحسيب. (٢) الرحب : جمع رحبة وهى الأرض المتسعة . (٣) الكثب : القرب. (٤) المطارف : أردية من خز ، والقشب : الجدد . (٥) التالد :القديم. (٦) اللجين : الفضة . (٧) اللجب : الضجيج . (٨) البان : شجر سبط القوام لين ويشبه به القد لطوله . (٩) الحدب : العطوف .

فهْى مرَّةً صُعُدٌ ... وهْى مرَّةً صَبَبٌ[1]

وهْى هٰهنا وهُنا ... تلتقى وتصْطخِب

مِثلما التقتْ أَسَلٌ ... أَوْ تعانقتْ قُضُب[2]

الرءوسُ مائلةٌ ... فى الصدور تحتجِب

والنُّحورُ قائمةٌ ... قاعدٌ بها الوَصَب[3]

والنهودُ هامِدةٌ ... والخدود تلتهب

والخصورُ واهيةٌ ... بالبنان تنْجذِب

سالتِ الأكفُّ بها ... فهْى أغصُنٌ نُهب[4]

الخِوان دائِرةٌ ... الملا لها قُطُب[5]

للوفودِ مائدةٌ ... منه أينما انقلبوا

والطريقُ مُتَّصلٌ ... نحوَه ومُنشعِب

والطعامُ حاضِرُه ... والمزيدُ منتَهَب

باردٌ ومِن عَجَبٍ ... يُشتهَى ويُطَّلب

سائغٌ لِذِى سَغَبٍ ... سائغٌ ولا سَغَب[6]

حاضرٌ لدَى طَلبٍ ... حاضرٌ ولا طلب

والمُدامُ أكؤسُها ... ماتغيضُ والعُلَب[7]

---

(١) الصعد : جمع صعد بكسر العين وهو المرتفع . والصبب : المنحدر (٢) الأسل : الرماح . والقضب : السيوف . (٣) الوصب : التعب . (٤) النهب : جمع نهبة ، وهى المنهوب . (٥) الخوان — بكسر الخاء وضمها : ما يوضع عليه الطعام . والقطب ، بتسكين الطاء ويخفف : سيد القوم . (٦) السغب : الجوع . (٧) العلب : نوع من الأقداح الضخمة .

وهى بيننا سَلَبٌ   والنُّهى لها سَلَبُ[1]

شَرُفتْ منافِحُها   وآعتلى بها العِنب

حولها الحوائمُ ما   ينقضى لها قَرَبُ[2]

يختبِطْنَ فى حَرَمٍ   لا تناله الرِّيب

ما سِوى الحديث به   يُبتَغى ويُجتذَب

هكذا الكرامُ كرا   مٌ «وإن همُو طَرِبوا»

ليلةٌ علَتْ وغلَتْ   ليتَ فجرَها كَذِب

يكفُلُ الأميرُ لنا   أن تُعيدَها الحِقَب[3]

عاش للنَّدى مَلِكٌ   سيِّدٌ لنا وأبُ

حاتِمُ الملوكِ إذا   ضاق بالندى النَّشَب[4]

السرورُ أنعُمُه   والهناءُ ما يَهب

والنَّدى سجيَّتُه   والحنانُ والحَدَب[5]

يا عزيزُ: دام لنا   رَوْضُ عِزِّك الأشِب[6]

هذه عروسُ نُهىً   فى القَبُول ترتغِب[7]

زفَّها لكم وجِلاً   شاعرُ الحِمَى الأرِب

احتفى الحضورُ بها   واكتفى بها الغُيَّب[8]

أنتم الظِّلالُ لنا   والمنازلُ الخُصُب

لو مدحتُكم زمنى   لم أقمْ بما يَجِب

---

(١) السلب: ما يسلب وينهب. (٢) الحوائم: العطاش. والقرب: سير الليل لورد الغد.
(٣) الحقب: جمع حقبة وهى هنا بمعنى السنة. (٤) الندى: الكرم، والنشب: العقار أو المال. (٥) الحدب: العطف والإشفاق. (٦) الروض الأشب: الملتف.
(٧) ارتغب فى الأمر: رغب فيه. (٨) الغيب: جمع غائب.

مَرْقَص

[نظمت هذه القصيدة فى وصف مرقص أقيم بسراى عابدين سنة ١٩٠٤]

مالَ واْحتجبْ وآدّعى الغضبْ
ليت هاجرى يَشرَحُ السّبب
عتبُـه رضًى ليتـه عتب
علّ بيننا واشياً كذب
أو مُفنّداً (١) يَخلُقُ الرِّيَب
مَنْ لِمُدْنَفٍ (٢) دمعـه سُحب؟
بات مُتعَباً همُّـهُ اللّعب
يستوى خَلٌ عندَه وَصَب
ذقتُ صدَّه غيرَ محتسب
ضقتُ فيه بالرُّسْلِ والكُتُب
كلما مَشَى أخجل القُضُب
بيْن عَيْنِه والمها نَسَب
ماءُ خدِّه شفّ عَنْ لهَب
ساقِىَ الطّلا (٣) شُربُها وَجَب
هاتِها مشت فوقها الحِقب (٤)
بابليّـةٌ تنفُثُ الحَبَب (٥)
إن كَرْمها آدمُ العِنَب

(١) مفند : مكذب . (٢) المدنف : الذى أثقله المرض . (٣) الطلا : الخمر .
(٤) الحقب : جمع حقبة ، وهى السنة . (٥) الحبب : الفقاقيع التى تعلو الماء والخمر .

هُذِّبتْ فى ذَنْبِها الأدب
أسْقِها فتًى خيرَ مَنْ شرِبْ
كلما طغى راضَها الحسب
(عابدينُ) أمْ هالةٌ[1] عجب ؟
أُسُّهُ الهدَى والعُلا طُنُب[2]
مُشرِفُ الذرى مائجُ الرَّحب
قام ربُّه يرفع الحُجُب
عند عرشه عرش (منْحُتُب)
دون عزه (تُبَّعُ) الغَلِب
السُّراةُ من وفده النُّخَب
حول سُدّةٍ حَفَّها الرَّغَب
طابَ عِندَها العُجْمُ والعَرَب
وارتَضى المَلا من بنى الصُّلُب
مِن حِسَانِهم سِربُ انْسَرَب
بين كوكبٍ يَسْحَبُ الذَّنَب
عند جُؤذرٍ فاترِ الشَّنَب[3]
عند شادنٍ[4] حاسرِ اللَّبَب[5]
تَذهب النهى أينما ذهَب
يَلفِتُ الملا كلما وثب

---

(١) الهالة : دارة القمر . (٢) الطنب : حبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد .
(٣) الشنب : ماء ورقة وعذوبة فى الأسنان . (٤) الشادن : ولد الظبية .
(٥) اللبب : المنحر . واللبب : موضع القلادة من الصدر .

في غلائلِ سُندُسٍ قُشُبِ[1]
دونهن لا يثبت اليَلَبُ[2]
قدّ نَهدُه عِطفُه اضطرب
خصرُه هبا صدره صَبَبُ
يُركضُ النهى مَشيهُ الخَبَبُ
راتعا كما شاء في الكتب
آنسا إلى شِبهِه انجذب
يستخِفُّه أينما انقلب
مُطربٌ من الـ لحنِ مُنتَخَب
يجمَعُ المَلا يُحضِر الغَيَب
ماحدا المَها قبلَه طَرِب

* * *

يا ابنَ خيرِ أب يا أبا النُجُب
أنت (حاتمٌ) للقِرَى انتدب
في خِوانِه كُلُّ ما يجب
لم تَقمْ على مِثلِه القُبَب
أنهلَ البرا يا وما نضب
أطعمَ الورى لم يقل جدب
ما بهم صَدًى ما بهم سَغَب[3]

(١) قشب : جمع قشيب وهو الجديد ، والقشيب أيضاً : الأبيض والنظيف .
(٢) اليلب : الترسة أو الدروع اليمانية من الجلود وقيل جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرؤس ، واليلب : الفولاذ ، واليلب : خالص الحديد . (٣) السغب : الجوع ، وقيل لا يكون إلا مع تعب .

قم أبا (نوا س) انظر النّشب[١]
ما الخصيبُ مالُ بحرٍ ذو العُبُب
هل عهدتَه يُمطِرُ الذهب
ذا هو الجنا بُ الذى خصب
ظلّلَ الورى روضُه الأشِب[٢]
خيرُ من دعا خيرُ من أدَب[٣]

* * *

(ربّ مصرَ) عش وابلُغ الأرب
لم تزل لنا ليدك تُرتقب
مثلَ صفوِها الـ ـدهرُ ما وهب
أحيِها لنا عِدّةَ الشهب
هاك مِدْحةُ الشا عرِ الأرِب[٤]
زفّها إلى خيرِ منْ خطب
فارسيّةٌ بزّتِ العرب
لم يجئ بها شاعرٌ ذهب
إن تُراعِها[٥] تسمعِ العجب
يبدُ أنها بعضُ ما وجب

---

(١) النشب : المال والعقار . (٢) الأشب : الملتف . (٣) أدب : أقام المأدبة .
(٤) الأرب : الماهر البصير . (٥) تراعها : تصغ إليها .

تحلية كتاب

[قيلت بمناسبة تأليف كتاب فتح مصر الحديث لحافظ بك عوض]

صفة الكتاب ـ صفة التاريخ ـ صفة الجبرتى ـ صفة واقعة الأهرام

أنا مَنْ بَدَّل بالكُتْبِ الصِّحَابَا ... لم أجد لى وافياً إلا الكتابا
صاحبٌ إن عِبْتَه أو لَمْ تَعِبْ ... ليسَ بالواجد للصاحب عابا
كلما أخلقْتُه جَدَّدَنى ... وكسانى من حُلَى الفضل ثيابا
صُحبةٌ لم أشكُ منها رِيبةً ... ووِدادٌ لم يُكلِّفنى عِتابا
رُبَّ ليلٍ لم نُقصِّر فيه عن ... سَمَرٍ طالَ على الصّمت وطابا
كان من همّ نهارى راحتى ... ونَدامَاىَ ونَقْلى[1] والشّرابا
إن يَجِدْنى يتحدّث أو يَجِدْ ... مَلَلاً يَطْوى الأحاديثَ اقتضابا
تجد الكُتْبَ على النقدِ كما ... تجد الإخوانَ صِدْقاً وكِذابا
فتخيّرْها كما تختاره ... وادّخِرْ فى الصَّحْبِ والكُتْبِ اللُّبابا
صالحُ الإخوانِ يَبغيكَ التُّقى ... ورَشيدُ الكُتْبِ يبغيك الصّوابا

* * *

غالِ بالتاريخ واجعَلْ صُحْفَهُ ... مِنْ كتابِ الله فى الإجلالِ قابا
قلّبِ الإنجيلَ وانظرْ فى الهُدَى ... تلْقَ لِلتاريخِ وَزْناً وحِسَابا
رُبَّ مَنْ سافر فى أسفاره ... بليالى الدهرِ والأيّامِ آبا
واطلب الخُلْدَ ورُمْهُ مَنزلا ... تجد الخُلْدَ مِنَ التاريخِ بابا
عاش خَلْقٌ ومَضَوْا ما نَقَصُوا ... رُقعةَ الأرضِ ولازادوا التُّرابا

(١) النقل بالفتح : ما يتنقل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوها .

أخذَ التاريخُ مِمّا تركوا … عملاً أحسنَ أو قولاً أصابا
ومن الإحسانِ أو من ضِدِّهِ … يَجمع الراغبُ فى الذِّكر وخابا
مَثَلُ القوم نَسُوا تاريخَهم … كلقيطٍ عَيَّ فى الناس آنتسابا
أو كمغلوبٍ على ذاكرةٍ … يَشتكي من صِلةِ الماضي آنقضابا[١]

* * *

يا أبا «الحُفّاظ» قد بلّغتَنا … طِلْبةً بلّغك اللهُ الرِّغابا
لكَ فى الفتح وفى أحداثه … فَتحَ اللهُ حديثاً وخطابا
مَن يُطالِعه ويَستأنِس به … يَجِد الجِدَّ ولا يَعدَم دِعابا
صُحُفٌ ألّفتَها فى شِدّةٍ … يَتلاشى دونها الفكرُ آنتهابا
لغةُ «الكامل» فى آسترساله … «وآبنِ خلدون» إذا صحَّ وصابا
إن للفُصْحَى زِمامًا ويَدًا … تَجْنِب[٢] السهلَ وتقتادُ الصِّعابا
لغةُ الذِّكرِ لسانُ المُجتبَى … كيف تَعيا بالمُنادين جَوابا
كلُّ عَصرٍ دارُها إن صادفت … منزلاً رحبًا وأهلاً وجَنابا[٣]
إئتِ بالعمرانِ روضًا يانعًا … وآدْعُها تَجْرِ يَنابيعَ عِذابا
لا تُجِئْها بالمتاع المُقتنَى … سَرَقاً من كل قومٍ ونِهابا
سَلْ بها أندلُسًا هل قصّرت … دون مِضمارِ العُلى حين أهابا
غُرِسَتْ فى كل تُربٍ أعجمٍ … فزكتْ أصلاً كما طابتْ نِصابا
ومَشَتْ مِشيَتَها لم ترتكب … غيرَ رِجلَيها ولم تحجل[٤] غُرابا

* * *

إن عَصراً قمتَ تجلوه لنا … لبِسَ الأيامَ دَجْنًا[٥] وضَبابا

---

(١) انقضابا : انقطاعا . (٢) تجنب : تزجي . (٣) الجناب : الفناء .
(٤) لم تحجل غراباً : كناية عن أنها لم تقلد كما قلد الغراب الطاوس . (٥) الدجن : إلباس الغيم الأرض .

المماليكَ تمشى ظلَّمهم ... ظلماتٍ كدُجى الليل حِجابا

كلُّهم كافورُ[1] أو عبدُ[2] الخنا ... غيرَ أنّ المتنبّى عنه غابا

ولكلٍّ شيعةٌ من جنسِه ... إنّ للشرّ إلى الشرّ آنجذابا

ظلماتٍ لا ترى فى جُنحِها ... غيرَ هذا الأزهرِ[3] السمحِ شِهابا

زِيدتِ الأخلاقُ فيه حائطا ... فآحتمى فيها رِواقاً وقِبابا

وترى الأعزالَ[4] من أشياخِه ... صيَّروه بسلاح الحقّ غابا

قسماً لولاه لم يَبْقَ بها ... رَجُلٌ يقرأ أو يدرى الكتابا

حَفِظَ الدينَ مَليّاً ومضى ... يُنقِذُ الدنيا فلم يَملِك[5] ذَهابا

أُوذِيَتْ هَيبتُه مِن عَجزه ... وقُصارى عاجزٍ أن لا يُهابا

لم تُغادِر قلماً فى راحةٍ ... دولةٌ ما عَرفتْ إلا الحِرابا

أقعدَ اللهُ (الجبرتىَّ)[6] لها ... قلَّما عن غائب الأقلام نابا

خَبأَ (الشيخ)[7] لها فى رُدْنِه[8] ... مِرْقماً[9] أدهى من الصلّ[10] آنسيابا

مَلِكٌ لم يُغضِ عن سيّئةٍ ... يا له من مَلِكٍ يهوى[11] السِبابا

لا يراه الظلمُ فى كاهلِه ... وهو يكوى كاهلَ الظلم عِقابا

صُحُفُ (الشيخ) ويوميّاتُه ... كزمان الشيخ سُقماً وآضطرابا

من حواشٍ كجَليدٍ لم يَذُبْ ... وفصولٍ تُشبِه التِبرَ المُذابا

و(الجبرتىُّ) على فِطنتِه ... مرّةً يَغبى وحيناً يَتَغابى[12]

---

(١) كافور : هو كافور الإخشيدى ممدوح المتنبى . (٢) عبد الخنا : أى كافور .
(٣) الأزهر : يعنى به معهد الأزهر . (٤) الأعزال : الذين لا سلاح لهم .
(٥) لم يملك ذهابا : أى لم يستطع . (٦) الجبرتى : المؤرخ المعروف . (٧) الشيخ : يعنى به الجبرتى (٨) الردن : أصل الكم وكانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير .
(٩) المرقم : القلم . (١٠) الصل : الثعبان . (١١) السباب : السب .
(١٢) يتغابى : يتغافل .

مُنصِفٌ مالم يَرُض عاطفةً ... أو يُعالج لهوى النفسِ غِلابا[1]

وإذا الحقُّ تَوَلّى بالهـوى ... سِيرةَ الحقِّ بَنَى فيها وحابَى

***

وقعةُ الأهرام جلّتْ موقعاً ... وتعالت فى المغازى[2] أن تُرابا[3]

عِظَةُ الماضى ومُلقَى درسه ... لعقولٍ تجعلُ الماضى مَثابا[4]

من بناتِ الدهر[5] إلا أنها ... تَنشُر الدهر وتطويهِ كَعابا[6]

ومن الأيامِ ما يَبقى وإن ... أمعنَ الأبطالُ فى الدهر ٱحتجابا

هى من أىِّ سبيلٍ جئتَها ... غايةٌ فى المجدِ لا تدنو طِلابا

ٱنظُر الشرقَ تجدها صَرّفتْ ... دولةَ الشرقِ ٱستواءً وٱنقلابا

جلبتْ خيراً وشرّاً وسقَتْ ... أُمماً فى مهدِهم شُهدًا وصابا[7]

فى (نصيبينَ)[8] لبِسْنا حُسنَها ... وعلى التلِّ[9] لبسناها مَعابا

إن سِرباً زَحفَ (النَّسرُ)[10] به ... قَطعَ الأرضَ بِطاحاً وهِضابا

إن ترامتْ بلداً عِقبانُه[11] ... خطفتْ تاجاً أو ٱصطادتْ عُقابا

شَهِدَ (الجيزىّ)[12] منهم عُصْبةً ... لبسوا الغارَ على الغـارِ ٱعتصابا[13]

كذئابِ القفرِ من طول الوغى ... وٱختلافِ النَّقعِ[14] لوناً وإهابا[15]

قادمِ للفتحِ فى الأرض فتىً ... لو تأنَّى حظّـه قادَ السحابا

غرَّت النـاسَ به نكبتُه ... تجمع الجرحُ على الليثِ الذُّبابا

---

(١) غلابا : أى مغالبة . (٢) المغازى : وقائع الحروب والمعانى . (٣) ترابا : أى يشك فى قيمتها بالنظر لعظيم أثرها فى مستقبل الشرق . (٤) مثابا : أى مرجعا .
(٥) بنات الدهر : أى شدائده . (٦) كعاب : أى وهى صبية لم تكبر .
(٧) الصاب : عصارة شجر مر . (٨) أكبر الوقائع وأشهرها بين إبراهيم بن محمد على وبين الأتراك . (٩) واقعة التل المشهورة التى جرت على مصر الاحتلال الانجليزى . (١٠) النسر : يعنى به نابليون . (١١) عقبان : واحدها عقاب وهو طائر من الجوارح . (١٢) الجيزى : يعنى به هرم الجيزة . (١٣) اعتصب : تتوج . (١٤) النقع : الغبار . (١٥) الإهاب : الجلد .

بَرَزَتْ بالمنظرِ الضاحى[1] لهم ... فياقَ كالزُهر[2] حُسْناً وٱلتهابا
حُلِّىَ الفُرسانُ فيها جوهراً ... وجِلالُ[3] الخيلِ دُرًّا وذَهابا
فى سلاحٍ كَحُلِىِّ الغِيدِ ما ... لَمَستْ طَعْناً ولا مَسَّتْ ضِرابا
طرِحتْ مصر فكانت (مُومِيَا) ... بين لِصَّيْن أراداها جُذابا
نالها الأعرضُ ظُفْرًا منهما ... من ذئابِ الحربِ والأطولُ نابا
وبنُو الوادى رِجالاتُ الحِمَى ... وقفوا من ساقةِ الجيش ذُنابا
موقفَ العاجز من خلف الوغى ... يَحْرُسُ الأحمالَ أو يَسقِى مُصابا

الربيعُ وَوَادِى النِّيل

[إلى (هول كين) الكاتب الروائي الشهير]

آذارُ أقبلَ قُمْ بنا يا صاحِ ... حىِّ الربيعَ حديقةَ الأرواحِ
وٱجمعْ نَدامى الظَّرف تحت لوائه ... وٱنشُرْ بساحته بِساطَ الرَّاحِ
صفوٌ أُتيحَ فخذْ لنفسك قِسطَها ... فالصفوُ ليس على المَدَى بمُتاحِ
وٱجلسْ بضاحكة الرياض مصفِّقاً ... لتجاوُبِ الأوتارِ والأقداحِ
وٱستأنِسَنَّ من السُقاةِ برُفقةٍ ... غُرٍّ كأمثال النجوم صِباحِ
رقَّتْ كنُدمان الملوك خلالهم ... وتجمَّلوا بمروءةٍ وسَماحِ
وٱجعلْ صَبوحَكَ[4] فى البُكور سُلافةً ... للمُنْجِبين: الكَرْمِ والتُّفَّاحِ
مهما فضضتَ دِنانَها فٱستضحكت ... مُلِئَ المكانُ سَنًى وطيبَ نُفاحِ
تطغى فإن ذكرتْ كريمَ أصولها ... خلعتْ على النَّشوانِ حِليةَ صاحِ

---

(١) الضاحى: البارز. (٢) الزهر: يعنى بها النجوم. (٣) الجلال: واحدها جل وهو للدابة كالثوب للانسان تصان به. (٤) الصبوح: ما أصبح عند القوم من الشراب فشربوه.

(فرعونُ) خبّأها ليوم فُتوحه وأعدّ منها قُربةً (لفتاح)[1]

ما بين شادٍ: فى المجالس أيكُه[2] ومحجّبات الأيك فى الأدواح

غَرِدٍ على أوتاره يُوحى إلى غَرِدٍ على أغصانه صدّاح

بيضِ القلانسِ فى سواد جلابب حُلّينَ بالأطواق والأوضاح

رَتّلْنَ فى أوراقهن ملاحناً كالراهباتِ صبيحةَ الإفصاح

يخطُرن بين أراكٍ ومنابرٍ فى هيكلٍ من سُندسٍ فيّاح

***

مَلِكُ النبات، فكلُّ أرض داره تلقاه بالأعراس والأفراح

منشورةٌ أعلامهُ من أحمرٍ قانٍ وأبيضَ فى الرّبى لمّاح

لبستْ لمقْدَمه الخمائلُ وشْيَها ومَرَحنَ فى كَنَفٍ له وجَناح

يغشى المنازلَ من لواحظِ نرجس آنا وآنا من ثغور أقاح[3]

ورءوس «منثور» خفَضْن لعزّه تيجانَهن عواطرَ الأرواح

الوردُ فى سُرُرِ الغصونِ مُفتّحٌ متقابلٌ يُثنى على الفتّاح

ضاحِى المواكب فى الرياض مميَّزٌ دون الزهور بشوْكةٍ وسلاح

مرَّ النسيمُ بصفحتيه مقبّلا مرَّ الشفاه على خدود ملاح

هتكَ الردَى من حسنه وبهائه بالليل ما نسجتْ يدُ الإصباح

ينبيكَ مصرعُه وكلٌّ زائلٌ أن الحياة كغُدوةٍ ورَواح

ويقائقُ[4] النّسرين[5] فى أغصانها كالدُّرِّ رُكّب فى صدور رماح

و «الياسمينَ» لطيفُه ونقيُّه كسريرة المتنزّه المِسماح

---

(١) أحد آلهة قدماء المصريين. (٢) الأيك: الشجر الكثير الملتف وقيل الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر. (٣) أقاح: واحدها أقحوانة وهو نبات له زهر أبيض فى وسطه كتلة صغيرة صفراء. (٤) يقائق: جمع يقق، وأبيض يقق أى شديد البياض ناصعه. (٥) ورد أبيض عطرى قوى الرائحة.

متألقٌ خَلَل الغصون كأنه ... فى بُلجة[1] الأفنانِ ضوء صباح

و «الجُلّنارُ» دمٌ على أوراقه ... قانى الحروفِ كخاتم السفاح

وكأن محزونَ «البنفسج» ثاكلٌ ... يلقى القضاء بخشيةٍ وصلاح

وعلى «الخواطرِ»[2] رقةٌ وكآبةٌ ... كخواطر الشعراء فى الأتراح

والسَّروُ فى الحِبَرِ[3] السوابغ كاشفٌ ... عن ساقه كمليحةٍ مِفراح

و «النخلُ» ممشوقُ القدودِ مُعصَّبٌ ... متزينٌ بمناطقٍ ووِشاح

كبناتِ فرعونٍ شهدنَ مواكباً ... تحتَ (المراوح) فى نهارٍ ضاح

وترى الفضاء كحائطٍ من مرمرٍ ... نُضدَت عليه بدائعُ الألواح

الغَيمُ فيه كالنَّعام : بدينةٌ ... بركت، وأخرى حلَّقتْ بجَناح

والشمسُ أبهى من عروسٍ بُرقعتْ ... يوم الزِّفاف بعسجَد وضّاح

والماء بالوادى يُخالُ مَساربا ... من زئبقٍ أو مُلقَّياتِ صِفاح[4]

بعثتْ له شمسُ النهار أشعةً ... كانت حُلىَ (النيلوفر) السبَّاح

يزهو على ورقِ الغصون نثيرُها ... زَهْوَ الجواهرِ فى بطون الرَّاح

وجرت سواقٍ كالنوادب بالقُرى ... رُعنَ الشجىَّ بأنَّةٍ ونُواح

الشاكياتُ وما عرفنَ صبابةً ... الباكياتُ بمدمَعٍ سحَّاح

من كلِّ باديةِ الضلوع غليلةٍ ... والماء فى أحشائها مِلواح[5]

تبكى إذا ونيتْ وتضحكُ إن هفتْ ... كالعِيسِ بين تنشُّطٍ[6] ورَزاح

هى فى السلاسل والغلول وجارُها ... أعمى ينوء بنيرِه الفدّاح

* * *

---

(١) البلجة : آخر الليل عند انصداع الفجر. (٢) الخطر : نبات يجعل ورقه فى الخضاب الأسود يختضب به. (٣) الحبر : جمع حبرة بالتحريك ضرب من برود اليمن وملاءة سوداء تلبسها نساء مصر. (٤) صفاح : واحده صفح وهو عرض السيف. (٥) الملواح: السريع العطش. (٦) رزحت الناقة رزوحا ورزحا : ألقت نفسها إعياء وهزالا.

إنى لأذكر بالربيع وحسنه عهدَ الشباب وطارفه[1] المراح
هل كان إلا زهرةً كزهوره عجِلَ الفناء لها بغير جُناح

* * *

(هولكين): مصرُ روايةٌ لاتنتهى منها يدُ الكُتّاب والشُرّاح
فيها من البُرْدىِّ والمُزمور[2] والـ توراةِ والفرقان والإصحاح
(ومِنَا) (وقمبيز) إلى (إسكندرٍ) فالقيصَرين فذى الجلال (صلاح)
تلك الخلائقُ والدهورُ خزانةٌ فابعثْ خيالك يأتِ بالمفتاح
أفقُ البلاد وأنت بين رُبوعها بالنجم مزدانٌ وبالمصباح

مَسْجِدُ أَيَا صُوفِيَا

كنيسةٌ صارت إلى مسجد هديةُ السيِّد للسيد
كانت لعيسى حرماً فانتهت بنُصرة الرُوح إلى أحمد
شيَّدَها الرومُ وأقيالهُم[3] على مثال الهرَم المُخلَّد
تُنبئُ عن عزٍّ وعن صولةٍ وعن هوىً للدين لم يخمُد
مجامرُ[4] الياقوتِ فى صَحْنها تملؤه من ندِّها المُوقَد
ومثل ما قد أودِعتْ من حُلىً لم تتَّخذْ دارًا ولم تُحشَد
كانت بها العذراء من فضَّةٍ وكان روحُ الله من عسجد
عيسى من الأم لدى هالةٍ والأمُ من عيسى إلى فرقد
جَلاَّهُما فيها وحلاَّهما مصوِّرُ الروم القديرُ اليد
وأودعَ الجدرانَ من نقشه بدائعٌ من فنِّه المفرَد

(١) الطارف: هو الكريم من الخيل. (٢) المزمور. واحد المزامير وهى الأناشيد والأدعية التى كان يترنّم بها داود عليه السلام. (٣) ملوكهم
(٤) مجامر الياقوت: جمع مجمرة وهو اسم ما يجعل فيه الجمر.

فمن ملاكٍ فى الدّجى رائحٍ عند ملاكٍ فى الضّحى مغتدى

ومن نباتٍ عاش كالبَبَّغا وهو على الحائط غضّ نَدِى

فقل لمن شادَ فهدّ القُوَى تَوَى الأجيرِ المُتْعَب المُجهَد

كأنه فرعون لما بنى لربّه بيتاً فلم يَقصِد[١]

أُيعبدُ اللهُ بسوْمِ الورَى ما لا يُسام العَيْرُ فى المِقْوَد[٢]

كنيسةٌ كالفَدَن[٣] المعتلِى ومسجِدٌ كالقصر من أصْيَدِ

واللهُ عن هذا وذا فى غنى لو يعقِلُ الإنسان أو يهتدى

قد جاءها (الفاتحُ) فى عُصْبةٍ من الأُسود الرُّكَّع السُّجَّد

رمى بهم بنيانَها مثلما يصطدِمُ الجلْمَد[٤] بالجلْمَد

فكبّروا فيها وصلّ العدا وآختلط المشهد بالمشهد

وما توانى الرومُ يَفْدُونَها والسيف فى المفْديّ والمفتدِى

نخلتُها من قيصرٍ سعدَه وأيدتْ بالقيصر الأسعد

بفاتحٍ غازٍ عفيفِ القَنا لا يحملُ الحقدَ ولا يعتدى

أجار من ألقى مقاليدَه منهم وأصفى الأمنَ للمرتدى

وناب عما كان من زُخرفٍ جلالةُ المعبود فى المعبَد

فيالثأرٍ بيننا بعده أقام لم يقرُبْ ولم يبعُد

باقٍ كثأر (القدس) من قبله لا ننتهى منه ولا يبتدى

فلا يغرّنكَ سكونُ الملا فالشرُّ حول الصارم المُغمَد

لن يتركَ الرومُ عباداتِهم أو ينزل التركُ عن السُّؤدَد

هذا لهم بيتٌ على بيتِهم ما أشبه المسجدَ بالمسجد

---

(١) لم يقصد : لم يعدل . (٢) المقود : ما يقاد به من حبل أو غيره .
(٣) القصر المشيد . (٤) الجلمد : الصخر .

فإن يُعادوا فى مفاتيحه　　فيا ليوم للورى أسود
يَشيب فيه الطفلُ فى مهده　　ويُزعَج الميْتُ من المرقد
فكنْ لنا اللهمَّ فى أمسنا　　وكن لنا اليومَ وكنْ فى غد
لولا ضَلالٌ سابقٌ لم يقمْ　　من أجلكَ الخلقُ ولم يَقْعُد
فكلُّ شرٍّ بينهم أو أذى　　أنت بَراءٌ منه طُهرُ اليد

غابُ بولونيا[1]

يا غابَ بولونيَ ولِى　　ذِمَمٌ عليكَ ولى عُهودْ
زمنٌ تقضَّى للهوَى　　ولنا بظلِّكَ، هل يعود؟
حُلمٌ أريدُ رجوعَه　　ورجوعُ أحلامى بعيد
وهَبِ الزمانَ أعادَها　　هل للشبيبةِ مَن يُعيد؟
يا غابَ بولونيَ وبى　　وجْدٌ مع الذكرى يَزيدْ
خفقَتْ لرؤيتكَ الضلو　　عُ وزُلزلَ القلبُ العميد[2]
وأراكَ أقسى ما عَهِدْ　　تُ فما تَميلُ ولا تَميد
كم يا جمادُ قساوَةً　　كم هكذا أبداً جُحود؟
هلا ذكرتَ زمانَ كنَّا　　والزمانُ كما نريد؟
نطوى إليكَ دُجى اللیا　　لى والدَّجى عنا يَذود
فنقولُ عندكَ ما نقو　　لُ، وليس غيرُكَ من يُعيد
نَطِقٍ هوًى وصبابةً　　وحديثُها وَتَرٌ وعُود

---

(١) غاب بولونيا: متنزه مشهور فى باريس. (٢) العميد: الذي هزه العشق.

نسري ونسرحُ في فضائكَ والرياحُ به هُجــودْ
والطيرُ أقعدَها الكرى والناسُ نامت والوجود
فنبيتُ في الإيناس يغـــبطنا به النجمُ الوحيد
في كلِ رُكْنٍ وقفةٌ وبكلِّ زاويةٍ قعُود
نَسقى ونُسقى والهوى ما بين أعيننا وليــد
فمِن القلوب تمــائمٌ ومن الجنوبِ له مُهود
والغصنُ يسجُدُ في الفضا ء وحبذا منه السجود
والنجمُ يلحظنا بعيْـــنٍ ما تحولُ ولا تحيد
حتى إذا دعَت النَّوى فتبدَّد الشملُ النضيد
بتنا ويومـــا بيننا بحرٌ، ودون البحر بيد
ليلي بمصرَ وليلُها بالغرب، وهو بها سعيد

المرأةُ العثمانيةُ

يا ملَــكا تعبَّــدا مصــلِّيا موحِّــدا
مبارَكًا في يومه والأمسِ ميموناً غدا
مُسخَّرًا لأمــةٍ من حقها أن تَسْعَدا
قد جعلَتْه تاجَها وعــزَّها والســؤددا
وأعرضَتْ حيث مشى وأطرقتْ حيث بدا
تُجلُّه في حسنه كما تُجــلُّ الفرقدا
أنت شُعاعٌ من علٍ أنزله اللهُ هُــدَي

كم قد أضاء منزلاً وكم أنار مسجدا
وكم كسا الأسواقَ من حسنٍ وزانَ البلدا
لولا التُقَى لقلتُ لم يخلُقْ سواكَ الولدا
إن شئت كان العَيْرَ أو إن شئت كان الأسدا
وإن تُرِدْ غيًّا غوَى أو تبغ رُشْدًا رشدا
والبيتُ أنت الصوتُ فيه وهو للصوت صَدَى
كالببَّغَا في قفصٍ قيل له فقلَّدا
وكالقضيبِ اللَّدنِ قد طاوع في الشكل اليدا
يأخذ ما عودتَه والمرءُ ما تعوّدا
بما انفردتَ في الورَى بفضله وانفردا
وكلُّ ليثٍ قد رمى به الإمام في العدا
أنتَ الذى جنَّدتَه وسُقْتَه إلى الردى
وقلتَ كُنْ لله ، والسلطان ، والترك ، فدى

الهِـلَالُ

سنون تُعادُ ودهرٌ يُعيدْ لعمرُكَ ما في الليالي جديدْ
أضاء لآدمَ هذا الهلالُ فكيف تقولُ الهلالُ الوليد
نُعدُّ عليه الزمانَ القريب ويُحصى علينا الزمانَ البعيد
على صفحتيه حديث القُرى وأيامُ (عادٍ) ودنيا (ثمود)
و (طيبةُ) آهلةٌ بالملوك (وطيبةُ) مقفرةٌ بالصعيد

يزول ببعض سناه الصَّفا[١] ويفنى ببعض سناه الحديد

ومن عجبٍ وهو جد الليالى يُبيد الليالىَ فيما يُبيد

* * *

يقولونْ ياعامُ قد عدتَ لى فياليت شعرى بماذا تعود ؟

لقد كنتَ لى أمس ما لم أُرِد فهل أنت لى اليوم ما لا أريد ؟

ومَنْ صابَر الدهرَ صبرى له شكا فى الثلاثين شكوى (لبيد)[٢]

ظلِمتُ ومثلى برئٌ أحقُّ كأنى حسينٌ[٣] ودهرى يَزيد[٤]

تغابيتُ حتى صحِبتُ الجهول وداريتُ حتى صحبت الحسود

منظر الشروق والغروب فى عالم الماء من أعلى السفينة

لِمَنْ غُرَّةٌ تنجلى من بعيد بمرأى كما الحُلْم ضاحٍ سعيد ؟

تَهُزُّ الوجــودَ تباشيرُها كما هزَّ مِنْ والديه الوليد

ويغشى الدُّنا من حُلاها سَنىً[٥] أضاء لنا كلَّ حالٍ[٦] نضيد[٧]

من الموج مُلتَمِع مثلما تحلّتْ نحورُ الدُّمى بالعقودْ[٨]

أتانا من الماء مهتزّةً منورة تعتــلى للوجود

وتصعَد من غير ما سُلّمٍ فيا للتصوّر هــذا الصعود

وهذا المنيرُ القريبُ القريب وهــذا المنير البعيد البعيد

وهذا المنير الذى لن يُرى وهــذا المنير وكلٌّ شهيد

---

(١) الصفا : الصخر . (٢) لبيد : هو لبيد بن أبي ربيعة أحد المعمرين .

(٣) حسين : هو الحسين بن على ابن أبي طالب . (٤) يزيد : هو يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان . (٥) السنا : الضوء . (٦) حليت المرأة : لبست حليها أى ما تتزين به

(٧) نضيد : أى منسق . (٨) الدمى : واحدتها دمية وهى الصورة المنقشة المزينة .

وهذا الُجسام الخفيف الُخطا ... وهـذا الجسام الذى ما يَميد
وما للمصـوِّر آثارَهـا ... بكل بِحارٍ وفى كل بيد
وتقليلها كلَّ جَـمّ السَّنا ... وتصغيرها كلَّ عالٍ مَشيد
من النار لكنّ أطرافَها ... تَدورُ بياقوتة لن تَبيـد
من النار لكنّ أنوارَها ... إلهيـةٌ زُيِّنت للعبيـد
هى الشمسُ كانت كما شاءها ... ممـاتُ القديم حياةُ الجديد
تَرُدّ الميـاهَ إلى حـدِّها ... وتُبلِى جبالَ الصَّفا[1] والحديد
وتطلُعُ بالعيشِ أو بالرَّدى ... على الزرع قائمـهِ والحصيد
وتسعى لذا الناسِ مهما سمتْ ... بخيرِ الوعودِ وشرِّ الوعيد
وقد تتجـلَّى إذا أقبلتْ ... بنُعْمَى الشقِّ وبؤسى السعيد
وقد تتـولى إذا أدبرتْ ... وليست بمأمونةٍ أن تعود
فما للغروب يَهيج الأسى ... وكان الشروقُ لنا أىَّ عيد
كذا المرء ساعـةَ مِيلادِه ... وساعةَ يدعو الحِمامُ العنيد
وليس بجـارٍ ولا واقعٍ ... سوى الحقِّ ممّا قضاه المُريد

مَنظَرُ طُلوعِ البَدرِ مِن سَفِينَة

مَلكَ السماء بَهرتَ فى الأنوار ... فَفداكَ كلُّ مُتوّجٍ من سارى
لما طلعتَ على المياهِ تُنيرها ... سكنتْ وقد كانتْ بغير قَرارِ
وزهتْ لناظرِها السماءُ وقرّ ما ... فى البحر من عُبُبٍ[2] ومن تيّار

---

(١) الصفا : الصخر . (٢) العبب : الماء المتدفق .

وأهلَّ لله السُّرادقُ وأزلفُوا ... لك في الكمال تحيةَ الإكبار
وتأملوك فكل جارحة لهم ... عينٌ تسامر نورَها وتُسارى
والبدر منكَ على العوالم يجتلي ... بشرَ الوجوه وزحمةَ الأبصار
متقدِّمٌ في النور محجوبٌ به ... مُوفٍ على الآفاق بالأسفار
يادُرّة الغوّاصِ أخرجَ ظافراً ... يُمناه يجلوها على النُّظّار
متهلّلا في الماء أبدى نصفَه ... يَسمُو بها والنصفُ كاسٍ عار
وافى بك الأفق السماء فأسفرتْ ... عن مُقفلٍ ماسٍ في سِوَار نُضار
ونهضتَ يَزْهو الكونُ منكَ بمنظرٍ ... ضاحٍ ويَحملُ منك تاجَ فَخار
الماء والآفاقُ حولك فِضّةٌ ... والشُّهبُ دينارٌ لدَى دِينار
والفُلكُ مُشرقةالجوانبِ في الدُّجى ... يَبدو لها ذَيلٌ من الأنوار
بيْنَا تَخطَّرُ في لُجينٍ مائجٍ ... إذ تَنثني في عَسجدٍ زَخّار
وكأنَّها والموجُ منتظمٌ وقد ... أوفيتَ ثم دنوتَ كالمُختار
غيداء لاهيــةٌ تخُطُّ لأغيدٍ ... شعراً ليقرأه وأنتَ القارى
فليهنَ بدرُ الأرضِ أنك صِنْوُهُ ... ونظيرُه قرباً وبُعــدَ مَزار
وحَلا كُما ما البــدرُ إلا أنتما ... وسِوا كما قمــرٌ من الأقمــار
أنت الكريمُ على الوجود بوجهه ... وهي الضنينةُ بالخيالِ السّاري
هيفاء أهواها وأعشقُ ذكرَها ... لكنْ أداري والمحب يُداري
لي في الهوى سرٌّ أبيتُ أصونه ... والله مُطلعٌ على الأسرار

بَلْدَةُ الْمُؤْتَمَرِ لِنَاظِرِهَا ، فِي بَهْجَةِ مَنَاظِرِهَا

[جنيف وضواحيها]

لا السُهد يُدنيني إليه ولا الكرى ... طَيفٌ يَزورُ بفضله مهما سَرى

تخذ الدُجى وسماءه ونجومَه ... سُبُلا إلى جفنيك لم يرضَ الثرى

وأتاكَ موفورَ النعيم تخالُه ... ملَكا تنمُّ به السماء مُطهَّرا

عَلِم الظلامُ هبوطه فمشتْ له ... أهدابُه يأخذْنه مُتحدِّرا

وحَمى النسائم أن تروحَ وأن تجي ... حذَرًا وخوفا أن يُراعَ ويُذْعَرا

ورقدتَ تُزْلِف للخيال مكانَه ... بين الجفون وبين هُدبك والكرى

فهنَأْتَه مثل السعادة شائقا ... متصوِّرًا ما شئتَ أن يَتصوّرا

تَطوى له الرقباء منصورَ الهوى ... وتدوس ألسنةَ الوشاة مُظفَّرا

لولا آمتنانُ العين ياطيفَ الرضا ... ما سامحتْ أيامَها فيما جرى

باتت مُشرَّقةً وبات سوادُها ... زُوناً بتمثال الجمال منوّرا

تُعطى المنى وتنيلهن خليقةً ... بك أن تُقدِّم فى المنى وتؤخِّرا

وتعانق القمرَ السنيَّ عزيزةً ... حتى إذا ودّعتَ عانقت الثرى

فى ليلة قدِمِ الوجودَ هلالُها ... فدنت كواكبُها تعلّه السُرى

وتريه آثارَ البدورِ ليقتفى ... ويَرى له الميلادُ أن يتصدّرا

ناجيتُ مَن أهوى وناجانى بها ... بين الرياضِ وبين ماء (سويسرا)

حيث الجبالُ صغارُها وكبارُها ... من كل أبيضَ فى الفضاءِ وأخضرا

تخِذ الغمامُ بها بيوتاً فانجلتْ ... مشبوبة الأجرام شائبة الذُرَى[1]

---

(١) الأجرام الفلكية : هى الأجسام التى فى الفلك مع مانيها .

والصخرُ عالٍ قام يُشبه قاعدا   وأثاف مكشوفَ الجوانب مُنْذِرا
بين الكواكبِ والسحابِ ترى له   أُذناً من الحَجر الأصم ومِشْفَرا[1]
والسفحُ من أىّ الجهاتِ أتيتَه   ألفَيْتَه دَرَجًا يموج مُدَوَّرا
نثرَ الفضاءُ عليه عِقْدَ نجومِه   فبدا زَبرجدُه بهنّ مُجوهرا
وتنظمتْ بِيضُ البيوتِ كأنها   أوكارُ طيرٍ أو خميسٌ عسكرا[2]
والنجمُ يبعث للمياه ضياءه   والكهْرُباء تُضىء أثناء الثرى
هامَ الفِراشُ بها وحام كتائباً   يحكى حوالَيْها الغَمامَ مسيَّرا
خُلقت لرحمته فباتت نارُه   بردًا ونارُ العاشقين تَسعَّرا
والماء من فوق الديار وتحتها   وخِلالِها يجرى ومن حول القُرى
متصوبا متصـــعِّدًا متمهلا   متسرِّعا متسلســلا متعثرا
والأرضُ جسر حيثُ دُرْت ومَعْبَر   يصِلان جسرا فى المياه ومعبرا
والفُلكُ فى ظل البيوت مَواخِرًا   تَطوى الجداولَ نحوَها والأنهُرا
حتى إذا هَدَأَ المَلا فى ليله   جاذبتُ ليلى ثوبَه مُتَحيِّرا
وخرجتُ من بين الجسور لعلّنى   أستقبِل العَرْفَ الحبيبَ إذا سرى
آوِى إلى الشجراتِ وهى تَهُزُّنى   وقد اطمأنّ الطيرُ فيها بالكرى
ويهزّ منى الماء فى لمعانه   فأميلُ أنظر فيه أطمعَ أن أرى
وهنالك ازدهت السماء وكان أنْ   آنستُ نورًا ما أتمَّ وأبهرا
فسريتُ فى لألائه وإذا به   بَدرٌ تسايِره الكواكبُ خُطَّرا
حُلمٌ أعارتنى العنــاية سمعها   فيه فمـا استتممتُ حتى فُسِّرا
فرأيتُ صفوى جَهرةً وأخذتُ أذ   سى يقظةً ومنـاى لبَّت حُضَّرا

---

(١) المشفر : الشفة من الإنسان .   (٢) الخميس : الجيش .

وأشرتُ هل لُقْيا فأوحى أنْ غداً ... بالطودِ أبيض من جبال (سويسرا)
إن أشرقت زهراء تسمو للضحى ... وإذا هوت حمراء فى تلك الذُرى
فشروقُها منــه أتمُّ مَعانياً ... وغروبُها أجلى وأكملُ منظرا
تبدو هنالك للوجود وليـدةً ... تَهْنا بها الدنيا ويبتهج الثرى
وتُضىء أثناء الفضاء بغُرّة ... لاحتْ برأسِ الطود تاجا أزْهَرا
فَسمَتْ فكانتْ نصفَ طار ما بدا ... حتى أنافَ فلاح طاراً أكبرا
يعلو العوالمَ مستقلاً نامياً ... مستعصياً بمكانه أن يُنْغَرا
سالتْ به الآفاقُ لكن عَسْجَداً ... وتغطت الأشباح لكن جوهرا
وآهتزّ فالدُنيــا له مهتزةٌ ... وأنار فانكشف الوجودُ منورا
حتى إذا بلغ السموّ كمالَهُ ... أذنتْ لداعى النقص تهوى القهقرى [1]
فدنتْ لناظرِها ودان عِنانُها ... وتبدّل المستعظَمُ المستصغَرا
وآصفرّ أبيضُ كل شىء حولها ... وآحمرّ بُرقعها وكان الأصفَرا
وسما إليها الطودُ يأخذها وقد ... جعلتْ أعاليــه شريطاً أحمرا
مَسَّته فآشتعلت بها جَنَباتُه ... وبدت ذُراه الشُمُّ تحملُ مِجْمَرا
فكأنمـا مَــدّتْ به نيرانَها ... شَرَكا لتصطادَ النهار المدْبِرَا
حرَقتْهُ وآحترقت به فتولّيـا ... وأتى ظُلوكلها الظلامُ فعسكرا
فشُروقها الأملُ الحبيبُ لمن رأى ... وغُروبُها الأجلُ البغيضُ لمن دَرَى
خَطبانِ قامَا بالفناء على الصَّفا ... ما كان بينهما الصفاءُ ليَعمُرا
تتغيَّرُ الأشــياءُ مهما عاوَدَا ... والله عزَّ وجلَّ لن يتغيَّرَا
أنهارنا تحتَ (السليفِ) وفوقَه ... ولدى جوانبه وما بين الذُّرَى

---

(١) أذنت : أنصتت .

رَجْلاً ورُكباناً وزحلقةً على | عَجلٍ هنالك كهربائىّ السُّرَى
فى مركب مستأنسٍ سالتْ به | قضُبُ الحديد تعرُّجاً وتحدُّرا
ينساب ما بين الصخور تمهلاً | ويخِفُّ بين المُوَّتينِ تخطرا
وإذا اعتلى بالكهرباء لذروةٍ | عصماء همّ معانقاً متسوِّرا
لما نزلنا عنه فى أتم الذُّرَى | قمنا على فرع (السليف) لننظرا
أرضٌ تموجُ بها المناظرُ جَمّةً | وعوالمٌ نعم الكتّابُ لمن قرا
وقُرًى ضَربن على المدائنِ هالةً | ومدائنٌ حلَّين أجيادَ القُرَى
ومزارعٌ للناظرين روائعٌ | لبس الفضاء بها طِرَازاً أخضرا
والماء غُدرٌ ما أرقّ وأغزرا | وجداولٌ هنّ اللجيْن وقد جرى
لحشون أفواه السهول سبائكا | وملأنَ أقبال[1] الرواسخ جوهرا
قد صغّر البعدُ الوجودَ لنا فيا | لله ما أحلى الوجودَ مصغَّرا

وقال يصف مشاهد الطبيعة فى طريقه إلى الآستانة قادما من أوروبا

تلك الطبيعةُ قِفْ بنا يا سارِى | حتى أُريكَ بديعَ صُنْع البارِى
الأرضُ حولك والسماء اهتزَّتا | لروائع الآياتِ والآثار
من كلّ ناطقةِ الجلال كأنها | أمّ الكتابِ على لسان القارى[2]
دلّت على مَلكِ الملوك فلم تَدعْ | لأدلّة الفُقهاء والأحبار[3]
من شكّ فيه فنظرة فى صُنْعِه | تمحو أثيمَ الشكّ والإنكار

* * *

---

(١) أقبال الجبال : أى وجوهها . (٢) أم الكتاب : فاتحته .
(٣) الأحبار : جمع حبر وهو العالم وقيل الصالح من العلماء .

كشفَ الغطاءَ على الطلول وأشرقتْ   منه الطبيعةُ غيرَ ذاتِ ستارِ

شبهتُها (بلقيسَ) فوق سريرها   في نضرةٍ ومواكبٍ وجواري

أو (بابن داودٍ) وواسعِ مُلكه   ومعالمٍ للعزّ فيه كبار[1]

هُوجُ[2] الرياح خواشعٌ في بابه   والطيرُ فيه نواكسُ المنقار

* * *

قامتْ على ضاحي[3] الجنان كأنها   رِضوانُ يُزجي الخُلدَ للأبرار[4]

كم في الخمائل وهي بعض إمائها[5]   من ذاتِ خلخالٍ وذاتِ سِوار

وحسيرةٍ عنها الثياب وبضةٍ   في الناعماتِ تجرّ فضلَ إزار[6]

وضحوكِ سنٍ تملأ الدنيا سنىً   وغريقــةٍ في دمعها المدْرار

ووحيدةٍ بالنجدِ[7] تشكو وحشةً   وكثيرةِ الأتراب بالأغوار[8]

* * *

ولقد تمرُّ على الغدير تخاله   والنبتِ مرآةً زهتْ بإطار[9]

حلو التسلسُلِ موجُهُ وجريرُه   كأناملٍ مرتْ على أوتار

مَدّت سواعد مائه وتألقت   فيها الجواهرُ من حصىً وجمار[10]

ينساب في مُخضلةٍ[11] مبتلةٍ   منسوجةٍ من سُندُس ونُضار[12]

زهراءَ عَوْنِ العاشقين على الهوى   مُختارة الشعراءِ في آذار

قام الجليدُ بها وسالَ كأنه   دَمعُ الصبابةِ بلْ غُصنَ عذار

وترى السماءَ ضحىً وفي جُنحِ الدُّجى[13]   مُنشقةً من أنهرٍ وبحار

---

(١) المعالم : جمع معلم وهو مايستدل به على الطريق من أثر ونحوه . (٢) هوج : جمع هوجاء والريح الهوجاء التي تستوى في هبوبها وتقلع البيوت (٣) الضاحي : المكان البارز .
(٤) يزجي : يسوق ويستحث . (٥) الإماء : الجواري . (٦) الازار : الملحفة وكل ماستر.
(٧) النجد : ما ارتفع من الأرض . (٨) الغور : القعر من كل شيء . (٩) إطار الشيء : كل ما أحاط به . (١٠) جمع : جمرة وهي الحصى . (١١) اخضل الشيء : صار نديا بليلا .
(١٢) الذهب . (١٣) الدجى : الظلمة أو سواد الليل .

في كلِّ ناحيةٍ سلكتَ ومذهبٍ ... جبلانِ من صَخرٍ وماءٍ جارى

من كلِّ مُنهَمرِ الجوانبِ والذُّرَى ... غمرَ الحضيضَ مُجلَّلٍ بوقار[1]

عقدَ الضريبُ[2] له عمامةَ فارعٍ[3] ... جمِّ المهَابةِ من شُيوخِ نزَار

ومكذِّبٍ بالجنِّ ريعَ لصوتها ... في الماء مُنحدرًا وفي التيار

مَلأ الفضاءَ على المسامعِ ضجَّةً ... فكأنما ملأ الجهاتَ ضَوارى

وكأنما طوفانُ نوحٍ ما نرى ... والفلكُ قد مُسِخت حثيثَ قِطار

يَجْرِى على مثلِ الصِّراط وتارةً ... ما بين هاويةٍ وجُرْفٍ هارى

***

جاب الممالكَ حَزْنَها[4] وسهولَها ... وطوى شِعابَ (الصّرب)(والبلغار)

حتى رمى برحالنا ورجائنا ... في سَاحِ مأمولٍ عزيزِ الجار

مَلِكٌ بمَفرَقِه إذا استقبلتَه ... تاجان تاجُ هُدًى وتاجُ فَخَارِ

سكَنَ (الثريّا) مُستقرُّ جلاله ... ومشتْ مكارمُه إلى الأمصار

فالشرقُ يُسقَى ديمةً[5] بيمينه ... والغربُ تُمطِره غيوثُ يَسار

ومدائنُ البرَّين في إعظامه ... وعَوالمُ البحرَيْن في الإكبار

اللهُ أيَّده بآساد الشَّرى ... في صورة المُتَدَجِّجِ الجرّار

الصاعدين إلى العدوِّ على الظُّبي ... النازلين على القنا الخطّار[6]

المُشترِين اللهَ بالأبناء والـ ... أزواج والأموال والأعمار

القائمين على لِواءِ نبيِّه ... المنزِلين منازلَ الأنصار

***

ياعرشَ (قسطنطين) نلتَ مكانةً ... لم تُعطَها في سالف الأعصار

---

(١) الحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل . (٢) الضريب : الثلج .
(٣) الفارع : المرتفع الهيء الحسن . (٤) الحزن : ما غلظ من الأرض .
(٥) الديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . (٦) الخطار : المضطرب .

شُرِّفتَ بالصدِّيقِ والفاروقِ بل ... بالأقربِ الأدنى من المُختارِ
حامِى الخلافةِ مجدِها وكيانِها ... بالرأىِ آونةً وبالبتّارِ[1]

* * *

تاهتْ (فروقُ) على العواصمِ وازدهت
بجلوسِ أصيدَ[2] باذخِ المقدارِ
(جمّ الجلالِ كأنما كرسيُّه ... جُزءٌ من الكرسىِّ ذى الأنوارِ)
أحذتْ على (البوسفور) زُخرفَها دُجى
وتلألأتْ كمنازلِ الأقمارِ
فالبدر ينظر من نوافذِ منزلٍ ... والشمسُ ثَمَّ مُطِلّةٌ من دارِ
وكواكبُ الجوزاءِ تخطُر فى الرُّبى ... (والنَّسر) مطلعُه من الأشجارِ
واسم الخليفة فى الجهاتِ منوّر ... تبدو السبيلُ به ويَهتدِى السّارى
كتبوه فى شُرفِ القصورِ وطالما ... كتبوه فى الأسماعِ والأبصارِ

* * *

يا واحدَ الإسلام غيرَ مُدافعٍ ... أنا فى زمانك واحدُ الأشعارِ
لى فى ثنائِك وهو باقٍ خالدٌ ... شعرٌ على الشِّعرى[3] المنيعة زارى[4]
أخلصتُ حبى فى الإمام ديانةً ... وجعلتُه حتى المماتِ شِعارى
لم ألتمس عَرضَ الحياة وإنما ... أقرضتُهُ فى الله والمُختارِ
إن الصنيعةَ لا تكون كريمةً ... حتى تُقلّدَها كريمَ نجارِ
والحبُّ ليس بصادقٍ مالم تكن ... حَسنَ التكرُّمِ فيه والإيثارِ
والشعر إنجيلٌ إذا استعملتَه ... فى نشرِ مكرمةٍ وسَترِ عَوارِ

---

(١) البتار : السيف القاطع . (٢) الأصيد : الملك ، لأنه لا يلتفت من زهو يمينا وشمالا . (٣) الشعرى : الكوكب الذى يطلع فى الجوزاء وطلوعه فى شدة الحر .
(٤) زرى عليه فعله : عابه .

وثنَيْتَ عن كَدَرِ الحِياضِ عِنانَه ... إنّ الأديبَ مسامحٌ ومُدارِى
عند العواهلِ من سياسة دهرهم ... سرٌّ وعنـدك سائرُ الأسرار
(هذا مُقامٌ أنت فيـه محمدٌ ... أعداءُ ذاتك فِرقةٌ فى النار)
(إن الهلالَ وأنتَ وحدك كهفُه ... بين المعاقِل منك والأسوار)
لم يبقَ غيرك من يقول أصونُه ... صُنْه بحولِ الواحـدِ القهَّار

البسفور كأنَّكَ تَراهُ

على أىِّ الجنانِ بنا تمُرُّ ... وفى أىِّ الحدائقِ تستقِرُّ
رويداً أيها الفُلكُ[1] الأبرُّ ... بلغتَ بنا الربوعَ فأنتَ حُرُّ
سهِرتَ ولم تنم للركبِ عينُ ... كأنْ لم يُضْوِهِم ضَجَرٌ وأَيْنُ[2]
يحُثُّ خُطاكَ لُجٌّ بل لُجَيْنُ[3] ... بل الإبريزُ بل أُفُقٌ أغرُّ
على شِبهِ السهول من المياه ... تُحيط بك الجزائرُ كالشِّياه
وأنتَ لهنّ راعٍ ذو انتباه ... تَكُرُّ مع الظلام ولا تَفِرُّ
يُنيف البدرُ فوقك بالهَباءِ[4] ... رفيعاً فى السموِّ بلا انتهاءِ
تخالُكما العيونُ إلى التقاء ... ودون المُلتقى كَوْنٌ ودهرُ
إلى أن قيل هذا (الدردنيل) ... فسِرتُ إليه والفجرُ الدليلُ
يُجيزكَ والأمانُ به سبيلُ ... إذا هو لم يُجز فالماء خمر
تمُرُّ من المعاقلِ والجبالِ ... بعالٍ فوق عالٍ خلف عالى
إذا أوْمَأن وقفتِ الليالى ... وتحمى الحادثاتِ فلا تمرّ

---

(١) الفلك : السفينة ، يؤنث ويذكر . (٢) الأين الإعياء . (٣) اللجين : الفضة .
(٤) الهباء ، الغبار أو ما يشبه الدخان .

مدافعُ بعضها متقابلاتُ ومنها الصاعداتُ النازلاتُ
ومنها الظاهِرات وأُخرياتُ توارى فى الصخور وتستسرُّ
فلو أنّ البحارَ جرتْ مِئينا وكان اللُّجُ أجمعه سفينا
لِتَلقّى منفذًا للقين حَيْنا ولمّا يمْسَس (البوغازَ) ضُرُّ
وبعْدَ الأرخبيل وما يليه وتِيهٍ فى العيالم أىّ تيه[1]
بدا ضوء الصباح فسِرت فيه إلى (البسفور) وأقترب المَقَرُّ
تُسايِرك المدائن والأناسى[2] وفُلْكٌ بين جَوّالٍ وراسى
وتحضُنك الجزائرُ والرّواسى وتجرى رِقّةً لك وهى صخر
تسير من الفضاء إلى المَضيق فآنًا أنتَ فى بحرٍ طليقِ
وآونةً لدى مجْرًى سحيق كما الشلاّلُ قام لديه نهر
وتأتى الأفْقَ تطويه سِجلاّ لآخر كالسّراب إذا أضلاّ
إذا قلنا المنازل قيل كلاّ فدُون بلوغها ظُهرٌ وعصْرُ
إلى أن حلّ فى الأوج النهار ولِلرّائى تبيّنت الدّيارُ
فقلنا الشمسُ فيها أم نُضار وياقوتٌ ومَرْجانٌ ودُرُّ
ودِدنا لو مَشيتَ بنا الهُوَينا وأين لنا الخلودُ لديك أينا
لنبهَج خاطرًا ونقرّ عينا بأحسن مارأى فى البحر سَفْرُ
بلوحٍ جامع الصُّوَر الغَوالى وديوانٍ تفرّد بالخيال
ومِرآة المناظر والجمالى تمرّ بها الطبيعة ما تمرّ
فضاءٌ مُثِّل الفِردوسُ فيه ومَرْأى فى البحار بلاشبيه
فإيهٍ يابنات الشعر إيهٍ فمالك فى عقوقِ الشعر عُذرُ
لأجلك سِرتُ فى برّ وبحر وأنتِ الدهرَ أنت بكل قُطْرِ

(١) العيالم : جمع عيلم وهو البحر . (٢) الأناسى جمع إنسى .

حُنْتِ إلى الطبيعة دون مصرٍ ... وقلتِ لدى الطبيعة أين مصر
فهلاَّ هزَّكِ التبرُ المذابُ ... وهذا اللّوحُ والقلمُ العُجابُ
وما بيني وبينهما حجابُ ... ولادونى على الآيات ستر
جهاتٌ أمّ عذارى حالياتٌ ... وماءٌ أم سماء أم نبات
وتلك جزائرٌ أم نيّرات ... وكيف طلوعها والوقت ظهرُ
جلاها الأفق صُفرًا وهي خضر ... كزَهرٍ دونه فى الروض زهر
لوى بحرٌ بها والتفّ بحرُ ... كما ملكت جهات الدوح غدر[1]
تلوح بها المساجدُ باذخاتٍ ... وتتّصل المعاقل شامخات
طِباقاً فى العلى متفاوتات ... سما بَرٌ بها وآنحطّ برُّ
وكم أرضٍ هنالك فوق أرضٍ ... وروض فوق روض فوق روض
ودُور بعضُها من فوق بعض ... كسطر فى الكتاب علاه سطر
سُطور لا يحيط بهنّ رَسم ... ولا يُحصى معانيهنّ عِلم
إذا قرئت جميعًا فهى نَظْم ... وإن قرئت فُرادى فهى نثر
تأرَّج[2] كلما آقتربت وتزكو ... ويجمعها من الآفاق سِلك
تشاكل ما به ، فالقصر فلك ... على بعد لنا والفلك قصر
ونونٌ دونها فى البحر نونُ ... من البسفور نقّطها السّفين
كأن السُبْل فيه لنا عيون ... وإنسان السفينة لا يَقِرّ
هنالك حفّت النُعمى خُطانا ... وحاطتنا السلامةُ فى حِمانا
فألقينا المراسى وآحتوانا ... بِناء للخلافة مُشْمخِرّ
فيا مَن يطلب المرأى البديعا ... ويعشقه شهيدًا أو سميعًا
رأيت محاسنَ الدنيا جميعا ... فهنّ الواو والبسفور عمرو

---

(١) الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة المتسعة من أى شجر كانت . (٢) تأرج : أى فاح .

الرِّحْلَةُ إلَى الأَنْدَلُسِ

لمـا وضعت الحربُ الشُّؤْمى أوزارَها[١] ، وفضحها الله بين خلقه وهَتَك إزارَها[٢] . ورمَّ لهم ربوعَ السلم وجــدّد مَزارَها[٣] ، أصبحتُ وإذا العوادى[٤] مُقصرة ، والدواعى غير مقصِّرة ، وإذا الشوق إلى الأندلس أغلب ، والنفس بحقِّ زيارته أطلب ، فقصدته من برشاونة وبينهما مسيرة يومين بالقطار الجدّ ، والبخار المشتد ، أو بالسفن الكبرى الخارجة إلى المحيط ، الطاوية القديم نحو الجديد من هذا البسيط[٥] فبلغتْ النفسُ بمرآه الأرَبْ ، واكتحلت العينُ فى ثراه بآثار العرب؛ وإنها لشتّى المواقع ، مُتفرقة المطالـع ، فى ذلك الفَلكِ الجامع ، يَسرِى زائرُها من حرَم ، كمن يُمْسِى بالكرنك ويُصْبح بالهرم ، فلا تقاربَ غيرَ العتْق والكرْم : (طُلَيْطلة) تُطلُّ على جسرها البالى ، (وأشبيلية) تُشبِل[٦] على قصرها الخالى ، (وقرطبة) مُنتبِذةٌ ناحيةً بالبِيعةِ[٧] الغراءِ ، (وغرناطة) بعيدةُ مَزارِ الحمراء ، وكان «البحترى» رحمه اللهُ رفيقى فى هذا الترْحال ، وسميرى فى الرِّحال . والأحوال تصلح على الرجال ، كل رجل لحال . فإنه أبلغُ مَن حَلِّ الأثر ، وحَيَّا الحجر ، ونَشر الخَبر ، وحشَرَ العِبَر ، ومَن قام فى مأتمٍ على الدول الكُبَر ، والملوكِ البهاليلِ الغُرر ، عطف على (الجعفرىّ) حين تَحمَّل[٨] عنه الملا ، وعطّل من الحُلَى ، ووُكِل بعد (المتوكل) للبِلى . فرفع قواعدَه فى السِّيَر ، وبنى رُكْنَه فى الخبر ، وجمع معالمه فى الفِكَر ، حتى عاد كقصور الخُلد امتلأتْ منها البصيرةُ وإن خلا البَصر وتَكفَّل بعد ذلك (لكسرى) بإيوانه . حتى زال عن الأرض إلى ديوانه .

---

(١) أوزار الحرب : آلاتها . (٢) الإزار : العفة . (٣) المزار : الزيارة (٤) العوادى: العوائق (٥) البسيط : الأرض الواسعة. (٦) أشبل عليه: أى عطف، والمرأة تشبل على أولادها: أقامت عليهم بعد وفاة زوجها ولم تتزوج . (٧) البيعة : متعبد النصارى . (٨) تحمل : ارتحل .

وسينيّتُه المشهورةُ فى وصفه . ليست دونه وهو تحت (كسرى) فى رصْه ورَصْفه[1] ، وهى تُريك حسنَ قيامِ الشعرِ على الآثار ، وكيف تتجدَّدُ الديارُ فى بيوته بعد الاندثار ، قال صاحب الفتح القُسى فى الفتح القدسى بعد كلام « فانظروا إلى إيوان كسرى وسينيّةِ البحترى فى وصفه ، تجدوا الإيوانَ قد خرّت شعَفاته ، وعُفّرت شرفاته ، وتجدوا سينيّة (البحترى) قد بَقِى بها (كسرى) فى ديوانه . أضعافَ ما بَقِى شخصُه فى « إيوانه » وهذه السينية هى التى يقول فى مطلعها :

صنت نفسى عما يُدنس نفسى وترفعت عن ندى كل جبس

والتى اتفقوا على أن البديعَ الفردَ من أبياتها قوله :

والمنـايا مـــواثل وأنوشر وان يُزجى الجيوش تحت الدّرَفس

فكنت كلما وقفتُ بحجر . أو أطفتُ بأثر . تمثّلتُ بأبياتها . واسترحتُ من مواثل العبر إلى آياتها وأنشدت فيما بينى وبين نفسى :

وعظ البحترىَّ إيوانُ كسرى وشَفَتْنى القصورُ من عبد شمس

ثم جعلتُ أروض القولَ على هذا الروىّ وأعالجه على هذا الوزن حتى نظمت هذه القافية المُهلهَلة ، وأتممت هذه الكلمة الرَّيضة . وأنا أعرضها على القراء راجياً أن سيلحظونها بعين الرضاء . ويسحبون على عيوبها ذيلَ الإغضاء . وهذه هى :

اختلاف النّهار والليــل يُنسى اذكرا لى الصّبا وأيامَ أُنسى

وصِفا لى مُلاوةً[2] من شبابٍ صُوِّرت من تصوّرات ومَسّ

---

(١) رصف الحجارة رصفا : ضم بعضها إلى بعض .

(٢) الملاوة : البرهة من الدهر

عصفت كالصَّبا[1] اللعوبِ ومرّت ... سِنةٌ[2] حُـــلوةٌ ولذّةُ خَلْسِ[3]

وسلا مصرَ هل سلا القلبُ عنها ... أو أسا[4] جُرحَه الزمانُ المؤسِّى

كلّما مرّت الليــالى عليه ... رقّ والعهدُ فى الليــالى تُقسّى[5]

مُستَطار[6] إذا البواخر رَنّت[7] ... أولَ الليلِ أو عوتْ بعد جَرْس[8]

راهبٌ[9] فى الضلوع للسفن فَطِن[10] ... كلّما ثُرنَ شاعَهن بنَقس[11]

يا آبنةَ اليمّ[12] ما أبوكِ بخيلٌ ... ماله مولَعًا بمنعٍ وحبس

أحرامٌ على بلابله الدَّوْ ... حُ حلالٌ للطير من كل[13] جِنس

كلُّ دار أحقّ بالأهل إلاّ ... فى خبيثٍ من المذاهب رِجْس[14]

نَفسى[15] مِرْجَلٌ وقلبى شِراعٌ ... بهما فى الدموع سيرى وأرسى

واجعلى وجهَك (الفنارَ) ومجرا ... كِ يدَ (الثغر) بين (رمل) و(مكس)

وطنى لو شُغِلْتُ بالخُلد عنه ... نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

وهفا[16] بالفؤاد فى سلسبيلٍ ... ظمأ للسواد من (عين شمس)[17]

شَهِد الله لم يَغِب عن جفونى ... شخصُه ساعةً ولم يَخْلُ حِسّى

يُصبح الفكرُ و(المسلّة) ناد ... يه و(بالسَّرحة الزكيَّة) يُمسى

وكأنى أرى الجزيرة أيكا[18] ... نَغَمتْ طيره بأرخم جَرس[19]

---

(١) الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش . (٢) السنة : النعاس .
(٣) خلس الشىء : أخذه فى نهزة ومخاتلة . (٤) أسا الجرح : داواه .
(٥) قساه تقسية : أى صيره قاسياً . (٦) مستطار ، استطير الشىء : طير وانتشر
(٧) رن : أى صاح ورفع صوته بالبكاء . (٨) الجرس : الصوت .
(٩) الراهب هو من تبتل لله واعتزل عن الناس إلى الدير طالبا للعبادة ويشبه به القلب .
(١٠) فطن للشىء : أى حذق به . (١١) النقس : ضرب النواقيس .
(١٢) اليم : البحر . (١٣) الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة .
(١٤) الرجس : الإثم . (١٥) المرجل : القدر من الحجارة والنحاس . (١٦) هفا : أى أسرع .
(١٧) السواد : ما حول البلدة من القرى . (١٨) الأيك : الشجر الكثير الملتف وقيل الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر . (١٩) الجرس : الصوت أو خفيه .

هي (بلقيسُ) في الخمائل صَرحٌ[١] ... من عُبابٍ[٢] وصاحبٌ غيرُ نِكس[٣]

حسبها أن تكونَ للنيل عِرساً ... قبلها لم يُجَنَّ يوماً بعرس

لبستْ بالأصيل حُلَّةَ وشيٍ ... بين صنعاء[٤] في الثياب وقَسّ[٥]

قدّها النيلُ فاستحتْ فتوارتْ ... منه بالجسرِ بين عُرْيٍ ولُبس

وأرى النيلَ (كالعقيق)[٦] بواديـ ... ـه وإن كان كوثرَ المتحسّى[٧]

ابنُ ماء السماء ذو الموكب الفخم ... الذي يَحسُر العيونَ ويُخسى[٨]

لا ترى في ركابه غير مُثْنٍ ... بجميلٍ وشاكرٍ فضلَ عرس

وأرى (الجيزة) الحزينة ثَكلَى ... لم تُفِقْ بعد من مناحة (رمسى)[٩]

أكثرتْ ضجةَ السواقي عليه ... وسؤالَ اليراع عنه بهَمْس[١٠]

وقيامَ النخيل ضفّرن شعراً ... وتجردن غيرَ طَوقٍ وسَلْس[١١]

وكأنَّ الأهرام ميزانُ فرعو ... ن بيومٍ على الجبابر نَحْس

أو قناطيره تأنَّق فيها ... ألفُ جابٍ[١٢] وألفُ صاحبِ مكْس[١٣]

روعةٌ في الضحى ملاعبُ جنٍّ ... حين يغشَى الدجى حِماها ويُغسي[١٤]

و(رهينُ الرمال) أفطسُ إلّا ... أنه صُنْعُ جنَّةٍ غير فُطْس[١٥]

تتجلّى حقيقةُ الناس فيه ... سَبُعَ الخَلْقِ في أساريرِ إنسي

---

(١) الصرح القصر وكل بناء عال. (٢) العباب: الخومة، والعباب معظم السيل، والعباب ارتفاعه وكثرته. (٣) النكس: الرجل الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه. (٤) صنعاء قصبة بلاد اليمن، وقرية بباب دمشق. (٥) ثوب قسي وتكسر قافه منسوب إلى قس وهو موضع بين العريش والفرماء من أرض مصر. (٦) العقيق: كل سيل شقه ماء السيل، ويعني بالعقيق هنا عقيق المدينة وهو معروف. (٧) المتحسى: أي الشارب.

(٨) يخسى: من خسا البصر كل وأعيا. (٩) رمسى: أي رمسيس.

(١٠) اليراع: القصب. (١١) سلست النخلة سلساً: ذهب كربها.

(١٢) جاب: الجابي الذي يجمع الخراج. (١٣) المكس: دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية. (١٤) يغسي: يظلم. (١٥) فطس الرجل: تطامنت قصبة أنفه وانتشرت في وجهه فهو أفطس، جمع فطس.

لعبَ الدهرُ في ثراه صبيًا ... والليالي كواعبًا غير عُنْس[1]

ركبت صُيَّدُ[2] المقادير عينيه ... لنَقْدٍ وخَلْبِيه لفَرْس[3]

فأصابت به الممالكَ (كسرى) ... (وهِرَقْلا) (والعبقريّ الفرنسي)

يا فؤادي لكلّ أمرٍ قرارٌ ... فيه يبدو وينجلي بعد لَبْس

عَقَلت[4] لُجَّة الأمور عقولاً ... كالتْ الحوتَ طولَ سبحٍ وغَسّ[5]

غرِقتْ حيث لا يُصاح بطافٍ ... أو غريقٍ ولا يُصاخ لحِسّ

فلكٌ يَكسِف الشموسَ نهاراً ... ويسومُ البدورَ ليلةَ وَكْس[6]

ومواقيتُ للأمور إذا ما ... بَلغتْها الأمورُ صارتْ لعكس

دولٌ كالرجال مرتهناتٌ ... بقيامٍ من الجدود وتَعْس

وليالٍ من كل ذاتِ سِوار ... لَطَمت كلَّ ربِّ (رومٍ) و(فُرْس)

سدّدت بالهلال قوساً وسلّتْ ... خنجراً ينفذان من كل تُرس

حكمت في القرون (خوفو) و(دارا) ... وعفت[7] (وائلا) و(ألوت) (بعَبس)

أين (مروانُ) في المشارق عرشٌ ... أمويٌّ وفي المغارب كرسي[8]

سَقِمتْ شمسهم فردَّ عليها ... نورَها كلُّ ثاقب الرأي نَطْس[9]

ثم غابتْ وكل شمسٍ سوى هاتيـ ... ـك تَبْلَى وتَنطوي تحت رمس[10]

وعظ (البحتريَّ) إيوانُ (كسرى) ... وشفتني[11] القصورُ من (عبد شمس)

رُبَّ ليلٍ سريتُ والبرقُ طِرْفي ... وبِساطٍ طويتُ والريحُ عَنْسي[12]

---

(١) عنس : جمع عانس وهى الجارية التى طال مكثها فى أهلها بعد إدراكها ولم تتزوج.
(٢) صيد : واحدها صائد. (٣) الفرس : الافتراس . (٤) عقلت : قيدت .
(٥) غس فى البلاد غساً : دخل فيها ومضى قدما .
(٦) ليلة الوكس : أى ليلة دخول القمر فى نجم منحوس . (٧) عفت : درست .
(٨) كرسي : أى عرش . (٩) نطس : أى عالم . (١٠) الرمس : القبر .
(١١) شفتني : أى وعظتني هى أيضاً وعظا شافياً . (١٢) العنس : الناقة .

أنظِمِ الشرقَ فى (الجزيرة) بالغر ... ب وأطوى البلادَ حَزْناً[١] لدَهس[٢]

فى ديارٍ من الخَلائف[٣] دَرسٍ ... ومنارٍ[٤] من الطوائف طمس

ورُبًى كالجنان فى كنفِ الزيتو ... ن خضرٍ وفى ذرا الكرم طُلْس[٥]

لم يَرُعْنى سوى ثَرَى قُرطبىٍّ ... لمستْ فيه عِبْرةَ الدهر خَمسى

يا وقى اللهُ ما أُصبِّح منـه ... وسَقَى صَفوةَ الحيـا ما أُمسّى

قريةٌ لاتُعدّ فى الأرض كانت ... تُمسك الأرضَ أن تَميدَ وتُرسى

غَشِيتْ ساحلَ المحيط وغطّتْ ... لُجّةَ الرومِ من شراعٍ وقلْسٍ[٦]

رَكِبَ الدهرُ خاطرى فى ثراها ... فأتى ذلك الحِمَى بعد حَدْس[٧]

فتجلّتْ لىَ القصورُ ومن فيـ ... ـها من العزِّ فى منازلَ قُعْس[٨]

ماضَفتْ[٩] قط فى الملوكِ على نذ ... ل المعالى ولا تردّت بنَجْس

وكأنى بلغتُ للعـلمِ بيتًا ... فيه مال العقول من كل دَرس

قُدُسًا فى البلاد شرقاً وغرباً ... حَجّهُ القومُ من فقيهٍ وقَسٍّ

وعلى الجمعةِ الجَلالةُ و (النا ... صر) نورُ الخميس[١٠] تحت الدَّرَفس[١١]

يُنزل التاجَ عن مفارقِ (دون) ... ويُحلّى به جبينَ (البرنس)

سِنَةٌ من كرًى وطيفُ أمانٍ ... وصحا القلبُ من ضلال وهَجْس[١٢]

وإذا الدارُ ما بهـا من أنيسٍ ... وإذا القومُ مالهم من مُحِسّ[١٣]

ورقيقٍ من البيوت عتيقٍ ... جاوز الألفَ غيرَ مذموم حَرْس[١٤]

---

(١) الحزن : ماغلظ من الأرض. (٢) الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب.
(٣) الخلائف : جمع خليفة. (٤) المنار : العلم يجعل للطريق.
(٥) طلس واحدها أطلس وهو ما لونه أسود تخالطه غبرة.
(٦) القلس : حبل السفينة. (٧) الحدس : السير على غير هداية. (٨) القعس : العز الثابت. (٩) ضفت : من ضفا : سبغ واتسع. (١٠) الخميس : الجيش.
(١١) الدرفس : العلم الكبير. (١٢) الهجس : كل ما وقع فى خلد الإنسان. (١٣) محس أى حاس بهم. (١٤) الحرس : الدهر.

أثرٌ من (محمد) وتراثٌ صار (للروح) ذى الولاء الأمس[١]

بلغَ النجمَ ذِروةً وتناهى بين (ثهلان)[٢] فى الأساس و (قُدس)[٣]

مرمرٌ تسبحُ النواظرُ فيه ويَطُول المدَى عليها فتُرسى

وسَوَارٍ[٤] كأنها فى آستواء ألِفَاتُ الوزير فى عَرض طِرْس[٥]

فترةُ الدهر قد كست سَطرَيْها[٦] ما اكتسى الهُدْبُ من فُتُورٍ ونَعْس

ويحها كم تزينت لعليمٍ واحد الدهر وآستعدت لخمس[٧]

وكأنّ الرَّفِيفَ[٨] فى مسرح العيـ ـن مِلاءٌ مُدَنَّرات الدِّمَقْس[٩]

وكأن الآيات فى جانبيه يَتَنزّلن من معارج قُدْس[١٠]

منبرٌ تحت (مُنذِرٍ)[١١] من جلالٍ لم يَزَلْ يكتسيه أو تحتَ (قُسّ)

ومكانُ الكتاب يُغريك رَيّا وِرْده غائبًا ، فتدنو لِلَمْس[١٢]

صَنْعة (الداخل)[١٣] المبارك فى الغر ب وآلٍ له ميامينَ شُمْس[١٤]

* * *

من (الحمراء) جُلِّلَت بغُبار الـ ـدهر كالجُرح بين بُرءٍ ونُكس

كسَنا البرق لو محا الضوءُ لحظًا لحتها العيونُ من طول قَبْس

حِصْنُ (غرناطة) ودارُ بنى (الأحـ ـمر) من غافلٍ ويقظان نَدْس[١٥]

جلَّل الثلجُ دونها رأسَ (شيرى) فبدا منه فى عصائبَ بِرس[١٦]

---

(١) الأمس : الأقرب . (٢) ثهلان : جبل بالعالية . (٣) قدس : جبل عظيم بنجد .
(٤) السوارى : واحدتها سارية وهى الاسطوانة (العمود) . (٥) الوزير : يعنى به ابن مقلة المشهور بجودة الخط . (٦) سطريها : صفوفها . (٧) ويحها كم تزينت لعليم : أى لمدرس عالم ، واستعدت لإقامة الصلوات الخمس . (٨) الرفيف : السقف . (٩) الدمقس : الحرير .
(١٠) المعارج : واحدها معرج وهو السلم والمصعد . (١١) منذر : هو قاضى الأندلس منذر المعروف بالعدل والزهد . (١٢) ريا ورده أى رائحة ورده . (١٣) الداخل : هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام مؤسس الدولة الأموية بالأندلس . (١٤) الشمس الأباة .
(١٥) الندس : الفهم . (١٦) عصائب برس : أى بيض كالقطن .

سَرْمَدٌ شيبُه ولم أرَ شيبًا ... قبلَه يُرجى البقاءَ ويُنسى

مشت الحادثاتُ في غُرَف (الحمـ ... ـراء) مَشْيَ النعيِّ في دار عُرْس

هتكت عزّةَ الحجابِ وفضّت ... سُدّةَ الباب من سميرٍ وأُنس

عَرَصاتٌ تخلّت الخيلُ عنها ... واستراحت من احتراسٍ وعَسّ[1]

ومَغانٍ على الليالي وِضاءٌ ... لم تجِدْ للعشيِّ تكرارَ مَسّ

لا ترى غيرَ وافدين على التا ... ريخ ساعِينَ في خشوعٍ ونَكْس

نقّلوا الطرفَ في نضارةِ آسٍ ... من نقوشٍ وفي عُصارةِ وَرْس[2]

وقِبابٍ من لازَوَرْدٍ وتِبْرٍ ... كالرُّبى الشُّمِّ بين ظِلٍّ وشمس

وخطوطٍ تكفّلت للمعاني ... ولألفاظها بأزينِ لُبْس

وترى مجلسَ السباعِ خلاءً ... مُقفرَ القاعِ من ظباءٍ وخُنْس

لا (الثريّا) ولا جواري الثريّا ... يتنزّلنَ فيه أقمارَ إنس

مَرْمَرٌ قامت الأسودُ عليه ... كَلّةَ الظفرِ ليّناتِ المَجَسّ

تنثُر الماءَ في الحياض جُمانًا ... يتنزّى على ترائبَ مُلْس

آخرَ العهدِ بالجزيرة كانت ... بعد عَرْكٍ من الزمان وضَرْس[3]

فتراها، تقولُ: رايةُ جيشٍ ... بادَ بالأمس بين أسرٍ وحَسّ[4]

ومفاتيحُها مقاليدُ مُلكٍ ... باعها الوارثُ المُضيعُ ببخس

خرج القومُ في كتائبَ صُمٍّ ... عن حِفاظٍ كموكب الدفنِ خُرْس[5]

ركِبوا بالبحار نعشًا وكانت ... تحت آبائهم هي العرشَ أمس

ربَّ بانٍ لهادمٍ وجَموعٍ ... لمُشِتٍّ ومُحسِنٍ لمُخِسّ

---

(١) العس: احتراس الليل. (٢) الورس: نبات أحمر اللون.

(٣) الضرس: من ضرس الزمان القوم: أشتد عليهم. (٤) الحس: القتل.

(٥) الحفاظ: الذب عن المحارم.

إمرة الناس هِمَّـــةٌ لا تَأَتّى ... لجبانٍ ولا تسنّى لجبس[1]

وإذا ما أصاب بنيانَ قومٍ ... وهْيُ خُلْقٍ فإنه وهْيُ أسّ

يا دياراً نزلتُ كالخلد ظِلاً ... وجَنًى دانياً وسَلْسال أُنس

مُحسِناتِ الفصول لا ناجرٌ[2] فيـ ... ـها بقيظ ولا جُمادى بِقَرس[3]

لا تَحِسّ العيونُ فوق رُباها ... غيرَ حُورٍ حُوِّ[4] المراشف[5] لُعْس[6]

كُسيَتْ أفرُخى بظلك ريشاً ... ورَبا فى رباك وأشتدّ غرسى

هم بنو مصر لا الجميلُ لديهم ... بمُضاعٍ ولا الصنيعُ بمَنسى

من لسانٍ على ثنائك وقفٍ ... وجَنانٍ على ولائك حَبْس

حسبهم هــذه الطلولُ عِظاتٍ ... من جديد على الدهور ودَرْس

وإذا فاتك ألتفات إلى الما ... ضى فقد غاب عنك وجهُ التأسّى

كُوكْ صُو

[وقال يصف (كُوكْ صو) وهو موقع جميل فى الآستانة العلية ، ومعنى اللفظين اللذين سمى بهما « ماء السماء »]

تحيّةَ شاعرٍ يا ماءَ (جَكْسو) ... فليس سواكَ للأرواح أُنْس

فَدَتْكَ مياهُ (دِجلةَ) وهى سَعْدٌ ... ولا جُعلتْ فداءكَ وهى نَحس

وجاءكَ ماءُ (زمزمَ) وهو طُهْر ... وأمواهٌ على (الأرْدُنِّ) قُدْس

وكان (النيلُ) يُعرِس كلَّ عامٍ ... وأنتَ على المدى فَرَحٌ وعُرْس

---

(١) الجبس : الجبان . (٢) شهر رجب أو صفر أو كل شهر من شهور الصيف . (٣) بقرس: ببارد . (٤) حو المراشف أى سمر الشفاه وهو مستملح من النساء . (٤) المراشف : الشفاه . (٦) اللعس : سواد مستحسن فى الشفة .

وقد زعموه للنادات رَمْساً ... وأنت لِمَسّهِنّ الدهرَ رَمْس

ورَدْنك كوثراً وسَفرن حوراً ... وهل بالحور إن أسفرنَ بأس

فقل للجانحين إلى حجابٍ ... أتُحجبُ عن صنيع الله نَفْس

إذا لم يستُرِ الأدبُ الغوانى ... فلا يُغنى الحريرُ ولا الدِمقْس

تأمّلْ هل ترى إلاّ جلالاً ... تحِسُّ النفسُ منه ما تُحِسّ

كأنّ الخُود(١) (مريم) فى سفورٍ ... ورائيها حواريٌّ وقَس

تهيّبها الرجال فلا ضميرٌ ... يهِمّ بها ولا عينٌ تُحِسّ

غَشيتُك والأصيلُ يُفيض تبراً ... ويَنْسجُ للربى حُللا ويكسو

وتذهبُ فى الخليج له وتأتى ... أناملُ تنثر العِقْيانَ(٢) خَمْس

وفى جيد الخيلة(٣) منه عِقْدٌ ... وفى آذانها قُرْطٌ وسَلْس(٤)

ولألأت الجبالُ فضاء سفحٍ ... يَسُرُّ الناظرين ونار رأس

على فُلْك تسير بنا الهوينا ... ومن شعرى نديمٌ لى وجِلْس

تُنازِعنا المذاهبَ حيث مِلْنا ... زوارقُ حولنا تجرى وترسو

لها فى الماء منسابٌ كطير ... يُسِفُّ(٥) عليه أحياناً وتحسو

صغارُ الحجم مرهفةُ الحواشى ... لها عُرْفٌ(٦) إذا خطرت وجِرْسُ(٧)

إذا المِجداف حرّكها اطمأنت ... وإن هو لم يُحرّك فهى وَعْس(٨)

وإن هو جدّ فى الماء انسيابا ... فكل طريقه وتَرٌ وقوس

حَمَلْنَ اللؤلؤَ المنثور عِيناً(٩) ... كما حَمَلت حَباب الراح كأس

---

(١) الخود : جمع خود وهى المرأة الشابة . (٢) العقيان : الذهب الخالص .

(٣) الخيلة : الموضع الكثير الشجر . (٤) السلس : الخيط الذى ينظم به الخرز الأبيض تلبسه الإماء ، وقيل القرط من الحلى . (٥) أسف الطائر : طار على وجه الأرض .

(٦) العرف : لحمة مستطيلة فى أعلى رأس الديك . (٧) الجرس : الصوت أو خفيه .

(٨) وعس : من وعس الرجل إذا مشى مشيا ضعيفا . (٩) العين : جمع عيناء وهى المرأة التى عظم سواد عينها فى سعة .

كأنّ سوافِرَ[1] الغاداتِ فيها ... ملائك هَمُّها نَظَرٌ وهَمْس

كأنّ براقع الغاداتِ تَهْفو ... على وجناتها غيمٌ وشمس

كأنّ مآزِرَ[2] العِينِ ٱنتسابا ... زهورٌ لا تُشمُّ ولا تُمَسُّ

إذا نُشِرَتْ فريحانٌ وورْدٌ ... وإن طُوِيتْ فنِسرينٌ وَورس

عجِبتُ لهن يَجمعهن حسنٌ ... ولكن ليس يجمعهن لُبس

فكان لنا بظلّك خيرُ وقتٍ ... وخيرُ الوقت مالك فيه أُنس

تمتَّع منكَ (يا جكسو) نفوسا ... بها من دهرها همٌّ وبُؤس

إلى أن بان سرُّك فانثنينا ... وقد طُوِيَ النهارُ ومات أمسُ

وقال فى كلاب الآستانة وكان يضرب بها المثل فى الكثرة والقذارة :

قالوا (فروقُ) الملك دارُ مخاوفٍ ... لا ينقضِى لنزيلها وسْوَاسُ

وكلابُها فى مأمنٍ فاعجب لها ... أمِنَ الكلابُ بها وخافَ الناسُ

أُنسُ الوُجود

الى المستر روزفلت

الرئيس الأسبق للولايات المتحدة

أتأذن لرجلٍ تعوّد أن يَخرجَ عن دائرةِ (الموظف) كلما عَرَضت حالٌ يخدِم الوطنَ فيها الرجالُ أن يرفع لشعرِه ذكره ، ويُشرِّفَ قدرَه ، مُهدِياً إليكَ منه هذه القصيدة فى لغة (الضاد) ، وهى مما قالتُ فى (أنس الوجود) ذلك الأثر المُحتضِر ، الذى جمع العِبَر ، ومحاه الدهرُ أو كاد ، وكان إحدى آياته

(١) سوافر : جمع سافرة وهى المرأة التى كشفت عن وجهها .

(٢) مآزر : جمع إزار وهى الملحفة .

الكبرى هياكل «لفرعون» و «بطليموس» توارثها عن «الكهنة» «القسوس» وصارت « المسيح » وكانت « لهوروس » ، ثم ظهر « الأذان » فيها على « الناقوس » ، ثم لا تكون عشيَّة أو ضحاها حتى يهوى فى الماء كلُّ حجرٍ كان يُقبَّل (كالأسوَد)[1] وكل ركن كان يُستلم « كالحطيم »[2] . شهدتُ على « أنس الوجود » ما يُعلِّم الإنسانَ — ولو أنه (روزفلت) علماً وحكمةً وأدباً — كيف يحتقرُ الدنيا ويحترم الدين جميعا .

دخلتُه ذات يومٍ وكان « الدوق أوف كونوت » لديه يتمشَّى فى ظلالِه ، ويَتنقَّلُ بين رسومه وأطلالِه ، عيناه ونفسه فى إكباره وإجلاله ، فكانت منى آلتفاتةٌ فرأيتُ « فلاّحاً » قد أقبلَ ثم ألقى عباءته وتوجَّه يُصلِّ « العصر » غيرَ مُلقٍ بالاً « لفرعون » كيف كان يَعبد ويُعبد ، ولا « لبطليموس » كيف كان يُعظِّم ويُمجَّدْ ، ولا للمسيحية السمحةِ كيف دخلتْ على « الوثنيَّة » المتعبِّد ، ولا « للملك إدوارد » الذى تحتلّ جنودُه الآن مصر وهو فى ثيابِ أخيه « الدوق » يرفعُ البصرَ ويُسدِلهُ ممتلئاً من آيات الدهر مهابةً وإعجابا ، مُشتغلا بالتاريخ القائِم المجسَّم ، يقرؤه كتاباً كتابا . دِينٌ سهلٌ سمحٌ يَسرٌ ، وإلهٌ واحدٌ يُعبَد حيث وُجِد العابد ، على العَراء كما فى الهياكل ، والكنائس والمساجد .

التاريخ (أيها الضيفُ العظيم) غابرٌ مُتجدِّد ، قديمُه منوال ، وحاضرُه مِثال ، والغدُ بيد الله المتعال . وأنت اليوم تمسى فوق مَهْد الأعصُر الأوَل ، ولحد قواهر الدول ، أرضٌ اتخذها « الإسكندر » عَرِينا ، وملأها على أهلها

---

(١) الأسود : هو الحجر الأسود الذى بمكة . (٢) الحطيم : جدار حجر الكعبة ، وقيل ما بين الركن وزمزم والمقام .

« قيصرُ » سفينا ، وخلّف « ابن العاص » فيها لساناً وجنساً ودينا ، فكان أعظمَ المستعمرين حقيقةً وأكبرَهم يقينا ، وهو الذى لم يُعلم عليه أنه بَغى أو ظلم أو سفك الدَّمَ أو نهى ، أو أمر إلا بين الرجاء والحذَر ، من عدل « عمر » ، الذى تُنبيك عنه السِّير .

قمتَ (أيها الضيف العظيم) فى السودان خطيبًا فأنصتَ العَصر ، والتفتتْ مصر ، وأقبل أهلُها بعضُهم على بعض يتساءلون « كيف خالَف الرئيسُ سُنَّةَ الأحرار من قادَة الأمم وساسة الممالك أمثاله ، فطارد الشعورَ وهو يَهُب ، والوجدانَ وهو يشُب ، والحياةَ وهى تَدِب ، فى هذا الشعب ، ومن حُرمة العواطف السامية ، ألاَّ تُطارد كأنها وحوشٌ ضارية ، على صحراء أو بادية ، كما طارَدْتَ السباع بالأمس تَقمّا من طبائعها الجافية » .

المصريُّ (أيها الضيف العظيم) سَمْحٌ كريم كثير التجاوز ، فقد ظفِرت بمن مهّد عُذْرك ، ونَفَى الظنّ عن كرمك . وادّخر وُدّك . الذى تخطبه الأممُ المستضعَفة ، والشعوبُ المتلهفة ، المتشوّقة إذ قيل : إنما أراد الرئيس أن يمدح ديناً من حقّه أن يُمدح بكل لسان ، وفى كل مكان ، فكيف به فى بعض معاهده فى السودان . وأراد كذلك أن يحذّر من الفتنة فى الجيوش ، ويَنْهى عن إيقاظها ، ويذكر للمحسن من الحكام ما رأى أو سمع من حَسَناته ، ويدعو هذه الأمّةَ التى حَرَكتُها المستقبلة فى السكون إلى العملِ فى ظلِّ الحق والصبر بإذن الله مضمون ، ومستقبَلٌ بمشيئة الله مأمون ، وقديماً فاز بالصبر الصابرون » .

فإن كان ذلك (أيها الضيف العظيم) — وهو ما لا نعتقد غيرَه — فذلك من نصحَ للأمم ، وبعث العزائمَ والهمم ، وعلّم باللسان والقلم .

على أننا نرجو أن ستذكّرنا عند قومك الكرام الأحرار بما أنتم جميعاً أهله ، وأن ستُعطينا عهدَك ، وتُصفينا ودّك ، وتملأ من أجمل الظنون وأحسنِها بُرْدَك ، يوم تقِلّ السفينةُ عظمتَك ومجْدَك ، وتنقل من أقصى البروج إلى أقصاها سعدَك .

على يد الله تجرى إن هى اندفعت وفى حمَى الله لا فى الماء تحتجب

* * *

أيها المُنْتحِى (بأسوانَ) داراً كالثريّا تُريد أن تنقضّا

اِخلع النعلَ واخفض الطّرفَ واخشعْ

لا تحاوِل من آيةِ الدّهرِ غضّا

قِفْ بتلك (القصورِ) فى اليمّ غرْقى

مُمسِكا بعضُها من الذعر بعضا

كعذارى أخفينَ فى الماءِ بَضّا[1] سابحاتٍ به وأبدينَ بَضّا

مُشرفاتٍ على الزوالِ وكانتْ مُشرفاتٍ على الكواكبِ نَهْضا

شابَ من حولها الزمانُ وشابتْ وشبابُ الفنونِ ما زال غضّا

ربّ « نقشٍ » كأنما نفض الصا نعُ منه اليدَيْن بالأمسِ نَفْضا

و « دهانٍ » كلامعِ الزيتِ مرّتْ أعصُرٌ بالسراجِ والزيتِ وُضّا[2]

و « خطوطٍ » كأنها هُدْبُ ريمٍ[3] حسُنَتْ صَنعة وطُولا وعَرضا

و « ضحايا » تكاد تمشى وترعى لو أصابتْ من قدرةِ الله نَبْضا

و « محاريب » كالبروج بَنَتْها عَزَماتٌ من عَزْمةِ الجنّ أمضى[4]

شيدتْ بعضَها الفراعين زُلفَى[5] وبَنى البعضَ أجنبٌ يترضّى[6]

---

(١) بضا ، البض : الرخص الجسد . (٢) وضا : وضاء . (٣) ريم : غزال .
(٤) أمضى : أحد . (٥) زلفى : قربا . (٦) يترضى : يطلب الرضا .

و «مقاصيرَ» أُبدِلتْ بفُتات الـ ـمسكِ تُرباً وباليواقيت قَضّا [١]

حَظُّها اليـــومَ هَـــدّةٌ وقديماً
صُرفتْ فى الحظوظِ رَفعاً وخَفضا

سَقت العالمين بالسّعد والنحـ ـس إلى أن تعاطت النحس محضا [٢]

صنعةٌ تُدهِش العقولَ وفنٌّ كان إتقانُهُ على القومِ فَرْضا

* * *

يا قصورًا نظرتُها وهى تقضِى [٣] فسكبتُ الدموعَ والحقُّ يُقضَى

أنتِ سَطرٌ ومجدُ مصر كتابٌ كيف سامَ البِلى كتابَك فضّا

وأنا المُحتفِى بتاريخ مصر مَن يَصُن مجدَ قومِهِ صانَ عِرْضا

رُبَّ سرٍّ بجانبيْـــك مزالٍ كان حتى على «الفراعين» غمْضا

قل لها فى الدعاءِ لو كان يُجدى يا سماءَ الجلالِ لا صرتِ أرْضا

حارَ «فيك» المهندسون عقولاً وتولّتْ عزائمُ العِلمِ مَرْضى

أين ملكٌ حيالهـــا وفريدٌ من نظامِ النعيمِ أصبح فضّا [٤]

أين «فرعون» فى المواكبِ تَترَى يركضُ المالكين كالخيلِ رَكْضا

ساق للفتح فى المالكِ عَرْضاً وجلا للفخارِ فى السِلمِ عَرْضا

أين «إيزيس» تحتَها النيلُ يَجرى حكمتْ فيه شاطئين وعَرْضا

أسدَلَ الطرفَ كاهنٌ ومليكٌ فى ثراها وأرسلَ الرأسَ خَفضا

يُعرَضُ المالكون أسرَى عليها فى قيودِ الهوانِ عانينَ جَرْضَى [٥]

ما لها أصبحتْ بغـــيرِ مجيرٍ تشتكى من نوائبِ الدهرِ عَضّا

---

(١) قضا : حصى . (٢) محضا : خالصا . (٣) تقضى : تفنى .
(٤) فضا : مفضوض . (٥) جرضى : مغمومين .

هى فى الأسرِ بين صخرٍ وبحــر
مَلَكة فى السجونِ فوقَ حَضَوْضَى[١]

أين «هوروسُ» بين سيفٍ ونطعٍ ... أبهذا فى شرعهم كان يقضى

ليت شعرى قضى شهيدَ غرامٍ ... أم رَماه الوشاةُ حقداً وبُغضا

ربَّ ضَربٍ من سَوْط فرعونَ مَضٍّ[٢]
دون فعل الفراق بالنفس مَضَّا

وهلاكٍ بسيفه وهو قانٍ ... دون سيفٍ من اللواحظ يُنضَى[٣]

قتلوه فهل لذاك حديثٌ ... أين راوى الحديث نثراً وقرضا

* * *

يا إمامَ الشعوب بالأمس واليو ... م ستُعطَى من الثناء فترضى

(مصرُ) بالنازلين من ساح (مَعْنٍ)[٤]
وحِمَى الجود (حاتم) الجود أفضى

كنْ ظَهيراً[٥] لأهلها ونصيراً ... وابذل النصحَ بعد ذلك محْضا

قل لقومٍ على (الولايات) أيقا ... ظٌ إذا ذاقت البريّةُ غُمْضا

شيمة (النيل) أن يَفِى وعجيب ... أحرجوه فضيّع العهدَ نَقْضا

حاشه[٦] الماء فهو صَيْدٌ كريم ... ليت بالنيل يوم يسقط غَيْضا[٧]

شِيدَ والمالُ والعلومُ قليلٌ ... أنقذوه بالمال والعلم نقْضا[٨]

---

(١) حضوضى : جبل فى البحر . (٢) مض : موجع . (٣) ينضى : يسل .
(٤) معن : هو معن بن زائدة أحد كرماء العرب . (٥) ظهيرا : نصيرا . (٦) حاشه : من حاش الصيد : أخرجه فى كل مكان . (٧) غيضا : من غاض الماء غيضا : نقص أو غار فذهب فى الأرض . (٨) نقضا : النقض ما انتقض من البناء : أى النكث .

النفــــس

الرئيس ابن سينا

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذاتُ تعــزُّز وتمنّع
محجوبةٌ عن كلّ مقلة عارفٍ وهى التى سفرت ولم تتبرقَع
وصلت على كره إليك وربما كرِهت فراقَك وهى ذات تفجّع
أَلِفت وماسكنت فلما واصلت أَلِفت مجاورةَ الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهوداً بالحمى ومنازلا بفراقها لم تَقْنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها عن ميم مركزها بذات الأجْرَع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت بين المعالم والطاول الخُضَّع
تبكى وقد ذكرت عهوداً بالحمى بمــدامع تَهْمِى ولما تقلع

الخ الخ الخ

وقد قال المقتطف فى الشاعرين بعد كلام طويل « والاثنان جريا مجرى أفلاطون فى حِسْبان النفس رُوحاً كانت عند الخالق ثم هبطت ودخلت جسم الإنسان ، إلا أن أفلاطون تصورها فرساً مجنَّحة ، غذاؤها الجمال والحكمة والصلاح ، فلما هبطت فقدت جناحيها ودخلت جسم الإنسان . والفلاسفة يشعرون بشىء لا يستطيعون معرفته فيصفونه كما يتصوّرونه ، ويجاريهم الشعراء فى التصوّر ويفوقونهم فى الوصف » .

ضُمّى قناعَك ياسعادُ أو ارفعى هذى المحاسنُ ما خُلِقن لبُرقعِ[1]

---

(١) الخطاب للنفس خاطبها كما يخاطبها فيلسوف علم بدائتها وبحث عن حقيقتها فرآها تزيد غموضاً كلما زاد بحثا مع أنها أقرب ما يكون إليه .

الضاحياتُ الضاحكاتُ ودونها   سِترُ الجلال وبُعدُ شأو المطلَعِ [1]

يا دُميــةً لا يُستزاد جمالُهـا   زيديه حُسنَ المحسنِ المُتبرِّعِ

ماذا على سلطانهِ من وقفةٍ   للضارعـين وعَطفةٍ للخُشَّعِ

بل ما يضرّكِ لو سمحتِ بجَلوةٍ   إن العروسَ كثيرةُ المُتطلَّعِ

ليس الحجابُ لمن يَعِز منالُه   إن الحجابَ لِهيِّنٍ لم يمنعِ

أنت التي آتخذ الجمالُ لعزّه   من مَظهرٍ ولسرّه مِن مَوضعِ [2]

وهو الصَّنَاعُ يصوغُ كلَّ دقيقةٍ   وأدقّ منكِ بنانُه لم تَصنَعِ [3]

لمستكِ راحتُه ومسّكِ روحُه   فأتى البديعُ على مِثالِ المُبدعِ

اللهَ في الأحبار من متهالكٍ   نِضوٍ ومهتوكِ المُسوح مصرَّعِ [4]

من كلّ غاوٍ في طويّةِ راشدٍ   عاصى الظواهر في سريرةِ طَيِّعِ

يتوهَّجون ويُطفأون كأنهم   سُرُجٌ بمعتركِ الرياح الأربعِ

عِلموا فضاق بهم وشقّ طريقُهم   والجاهلون على الطريق المَهيَعِ

ذهب (ابن سينا) لم يَفُز بك ساعةً   وتولت الحكماء لم تتمتّعِ

هـذا مقامٌ ، كلُّ عزٍّ دونه   شمسُ النهار بمثـله لم تَطمعِ

(فحمدُ) لك و(المسيحُ) ترجّلا   وترجّلت شمسُ النهار (ليُوشَعِ) [5]

ما بال (أحمد) عَيَّ عنكِ بيانه   بل ما (لعيسى) لم يقُل أو يَدّعِ

ولسانُ (موسى) آنحلَّ إلا عقدةً   من جانبيك عِلاجُها لم يَنجعِ

---

(١) الضاحيات الظاهرة البارزة وصف بها محاسن النفس وقال إنها مع ذلك مطلعها بعيد وجلالها مستور . (٢) (من) زائدة والمعنى أن النفس اتخذها الجمال مظهر آلعزه وموضعا لسره . (٣) الصناع : الماهر في الصناعة . (٤) نصب اسم الجلالة على الاستغاثة والكلام في الأبيات الخمسة بعده وصف لما عاناه الأحبار والفلاسفة من البحث عن حقيقة النفس فشق طريقهم كلما زادوا بحثا أما الجاهلون ففى راحة سائرون فى المهيع أى الطريق الواسع البين .

(٥) الضمير فى لك يرجع الى النفس ، أراد بها الجوهر الإلهى .

لما حللتِ (بآدم) حلَّ الحُبَى ... ومشى على الملأ السجودِ الرُّكَّعِ (١)

وأرى النبوّةَ فى ذَراك تكرّمت ... فى (يوسف) وتكلمت فى المرضَعِ (٢)

وسقت (قريش) على لسان (محمدٍ) ... بالبابلىِّ من البيانِ المُمتعِ (٣)

ومشت (بموسى) فى الظلام مشرَّدًا ... وحدَتْه فى قُلَلِ الجبالِ اللُّمَّعِ (٤)

حتى إذا طُويت ورِثتِ خلالَها ... رُفِع الرحيقُ وسِرُّه لم يُرفعِ (٥)

قسمت منازلك الحظوظُ، فمنزلا ... أترعْنَ منك ومنزلا لم تُترعِ

وخليّةٌ بالنحل منك عميرةٌ ... وخليّةٌ معمورة (بالتُّبَّعِ) (٦)

وحظيرة قد أودِعَت غُرَرَ الدُّمى ... وحظيرة محرومة لم تُودَعِ (٧)

نظر (الرئيس) إلى كمالكِ نظرةً ... لم تخلُ من بصر اللبيب الأروعِ

فرآه منزلة تعرّض دونها ... قِصَرُ الحياة وحالَ وشْكُ المصرعِ

لولا كمالك فى (الرئيس) ومثلِه ... لم تحسُن الدنيا ولم تترعرعِ (٨)

اللهُ ثبّت أرضَه بدعائمٍ ... هُمْ حائطُ الدنيا وركنُ المجمعِ

لو أنّ كلَّ أخى يراعٍ بالغٌ ... شأوَ (الرئيس) وكلَّ صاحبِ مِبْضَعِ

ذهب الكمالُ سُدًى وضاع محلُّه ... فى العالَم المتفاوتِ المتنوِّعِ

***

يا نفسُ مثلُ الشمسِ أنتِ، أشعّةٌ ... فى عامرٍ وأشعّةٌ فى بَلْقَعِ

فإذا طوى اللهُ النهارَ تراجعت ... شتّى الأشعّةِ فالتقت فى المَرْجِعِ

---

(١) حل الحبا: نهض والمقصود هنا تقديس الروح العالى الذى نفخ الله فى آدم.
(٢) أراد بيوسف يوسف الصديق لما عف وتكرم وأن النفس بلغت فيه الكمال وأراد بالمرضع السيد المسيح. (٣) أراد بالبابلى السحر إشارة إلى قوله (إن من البيان لسحرا). (٤) إشارة إلى المليقة المتهبة. (٥) فاعل طويت يعود إلى النبوة. والخلال: الصفات والمزايا التى يبق أثرها كما يبق أثر الخمر بعد ما تزول. (٦) التبع: أعاظم النحل، أراد بها ملكاته. (٧) الدمى: الصور أو التماثيل الجميلة. أشار بها فى الأبيات الثلاثة المتقدمة إلى تفاوت النفوس فى الناس. (٨) أى لولا كبار النفوس لما ارتقى العالم وصلحت الأنام، والمقصود من الكمال هنا بلوغ النفس الكمال فى النبوة أو مايقرب من الكمال فى بعض العبقريين من الناس والرئيس منهم.

لما نُعيتِ إلى المنازل غُودرت ... دكًّا ومثلك فى المنازل ما نُعى

ضَجّتْ عليك معالما ومعاهداً ... وبكت ثراك بالدموع الهُمَّع [١]

آذنتهـــا بنوًى فقالت ليت لم ... تصِل الحبالَ وليتها لم تَقطع

ورداء جثمانٍ لبست مُرَقَّم ... بيد الشباب على المشيبِ مرقَّع

كم بِنْتِ فيه وكم خَفِيتِ كأنه ... ثوبُ الممثّل أو لباسُ المَرْفَع [٢]

أَسَئِمتِ من ديباجه فنزعته ... والخزُّ أكفانٌ إذا لم يُنزَع

فزِعت وما خَفِيتْ عليها غايةٌ ... لكنّ من يَرِد القيامةَ يَفزَع [٣]

ضَرَعت بأدمعها إليك وما دَرَت ... أنّ السفينة أقلعتْ فى الأدمع

أنتِ الوفيّة لا الذِّمامُ لديك مذ ... مومٌ ولا عهد الهوى بمُضَيَّع

أزْمَعت فانهلَّت دموعُك رِقّةً ... ولو استطعت إقامةً لم تُزْمعى

بان الأحبّةُ يوم بينك كلّهم ... وذهبتِ بالماضى وبالمتوقَّع

مَيْدَانُ الْكُونكُورد

[ميدان الكونكورد (الوفاق) بباريز وهو الذى أعدم فيه الملك لويس السادس عشر فى أيام الثورة الفرنساوية]

أمَيْدانَ الوفاقِ وكنتَ تُدعى ... بميدانِ العداوةِ والشّقاقِ

أتدرِى أىّ ذنبٍ أنت جانٍ ... وأىّ دمٍ ذهبتَ بهِ مُراقِ

هوى فيك السريرُ ومن عليه ... وماتَ الثائرون وأنتَ باق

أصابوا واستراح (لويس) منهم ... لذا سُمّيتَ ميدان الوفاق

---

(١) فاعل ضجت عائد إلى المنازل أى الأجسام ، ومعالم ومعاهد منصوبتان على التمييز . أراد بالمعالم ذوى النفوس الصغيرة وبالمعاهد ذوى النفوس الكبيرة . (٢) المرفع : الكرنفال الذى يلبس الناس فيه ثيابا مزوقة . (٣) فزعت : تأهبت أو استجارت ، والضمير عائد إلى الأجسام وأراد بالقيامة : ساعة الموت .

أيهـا النيـــل

إلى الأستاذ مرجليوث مدرس اللغة العربية فى جامعة أكسفورد

أيها الأستاذ الكريم

تذكرتُ « أثينا » مدينةَ الحكمة فى الدهور الخالية ، وأياما غنمْناها على رسومها العافِية وأطلالها البالية ، فكأنى أنظر إلى المؤتمر ، علماؤه الهالةُ ، وأنت القمر ، أو زُمَرُ الحجيج وأنت حادى الزُّمَر ، وأرى الملوكَ فى الحفر ، بُنيانهم مصدوعُ الجُدُر ، وبيانُهم نورُ البشر ، نزلنا بهم فإذا الدولُ خبر ، وإذا الممالكُ أثر ، والطلولُ شغلُ الفؤادِ والبَصر ، منَّا العبراتُ ومنها العبَر ، صَمَت الإنسانُ ونَطقَ الحجر ، فسبحان العزيز المقتدر ، القاهرِ فوق عبادِه بالقدَر ، كان ذلك والحوادث أجنة ، والأمورُ فى أحسن الأعنَّة ، والأرضُ بالسلم مُطمئنَّة ، مغتبطةٌ بسلامةِ الشباب ، منبسطةٌ بتلاقى الأحباب ، والصفوُ فى الدار والأكدارُ بالباب ، ثم أخذ اللهُ الأممَ بذنوبهم فرماهم بعَوانٍ فى الماء ، ضَروسٍ فى الأرض والسماء ، مَنهومةٍ بالأموال مُدمنةٍ للدماء ، نزلتْ بالبريَّة فعصفتْ بأحسن شبابها ونباتها ، ونَقَضتْ موفورَ أمنها وأقواتها ، وهتكت فى الثرَى مَصونَ رُفاتها ، وخلطتْ فى الخنادقِ أحياءها بأمواتها وعدتْ على الوحشِ فى فلواتها ، وعلى الطيرِ فى وكناتها ، وعلى الرِّياح فى مُخترقاتها ، وعلى بَلَمِ(١) البحار وأحواتها ، وهَوامِ القفَار وحشراتها ، وعلى بيوت الله فى ستراتها ، والنواقيس فى قِبابها ، والمآذن فى سماواتها ، فسبحان الملك الأكبر ، الذى يَقْهر ولا يقهر ، ويُغيِّر ولا يَتغيَّر ، والذى يُقيم القيامةَ فى مِيقاتها .

---

(١) البلم : صغار السمك .

الشعرُ كالأحلامِ تُدخل على السرورِ السكرى، و تَكثر على الحزون فى السُّرى، وقريحةُ الشاعر كعين صاحب الأيام عندها للحُزن عَبرةٌ وللسرور عِبرة، وهذه أيها الأستاذ الكريم كلمةٌ قيلت والهموم سارية، والأقدار بالمخاوف جارية، والدماء والدموع متبارية، وذِئابُ البشر يقتتلون على الفانية، نظمتُها تغنّياً بمحاسن الماضى وتقييداً لمآثر الآباء، وقضاء لحق «النيل» الأسعد الأمجد ونسبتها إليك عِرفاناً لفضلك على لغة العرب وما أنفقت من شباب وكهولة فى إحياء علومها ونشر آدابها وإلقائها كلماطلعت الشمس خلْف الضّباب دُروساً نافعةً على أنبل شباب العصر، فى أعظم جامعات العالم، فلعلها تقع إليك فنتذاكر على النّوى تلك الأيام، ونتنادم من بُعْد على بِساطِ الأدب والكلام، ونسأل الله أن يحقِن الدماء ويُقيم جِدارَ السلام.

***

من أىّ عَهدٍ فى القُرى تَتَدفّقُ ... وبأىّ كفٍّ فى المدائن تُغدِق

ومن السماء نزلتَ أم فُجّرت من ... عُلْيا الجِنان جداولا تترقرق

وبأىّ عينٍ أم بأيّة مُزْنَة[1] ... أم أىّ طُوفان تَفيض وتَفْهَقُ[2]

وبأىّ نَوْلٍ[3] أنت ناسجُ بردةٍ ... للضفّتين جديدُها لا يَخْلُقُ[4]

تَسودُّ دِيباجاً إذا فارقتها ... فإذا حضرتَ اخضوضرَ الإسْتَبرق[5]

فى كلّ آونةٍ تبدّل صِبْغةً ... عجباً وأنت الصابغُ المتأنّق

أتت الدهورُ عليك مهدُك مترعٌ[6] ... وحِياضك الشُرُق[7] الشهيّة دُفّق

تَسقى وتُطعِمُ لا إناؤك ضائقٌ ... بالواردين ولا خوانك يَنفَق[8]

---

(١) المزنة: المطرة. (٢) تفهق: من فهق الإناء أى امتلأ حتى صار يتصبب.
(٣) النول: خشبة الحائك ينسج عليها. (٤) يخلق: يبلى. (٥) الإستبرق: الحرير.
(٦) مترع: ممتلئ. (٧) الشرق: الشرق. (٨) ينفق: يفنى ويقل.

والماءُ تسكبُه فيَسْبك عسجداً[1] والأرضُ تُغرقها فيحيا المُغْرَق

تُعيِي منابِعُك العقولَ ويستوى مُتَخبِّطٌ فى علمهـا ومحقِّق

أخلقتَ راوُوق[2] الدهورِ ولم تزل بك حَمْأةٌ[3] كالمسك لا تترَّوق[4]

حمراءُ فى الأحواض إلا أنها بيضاءُ فى عُنُق الثرى تتألَق

دينُ الأوائلِ فيك دينُ مروءةٍ لم لا يُؤلَّه من يَقوت ويرزُق

لو أن مخلوقاً يُؤلَّه لم تكن لسِواك مرتبةُ الألوهة تخلُق[5]

جعلوا الهوى لك والوقارَ عبادةً إن العبادةَ خشيةٌ وتعلُّق

دانوا ببحرٍ بالمكارم زاخرٍ عَذْبِ المشارع مَدُّه لا يُلْحق

متقيِّدٍ بعهوده ووعوده يجرى على سَنَن الوفاء ويصدُق[6]

يتقبَّل الوادى الحياةَ كريمةً من راحتيك عميمةً تتدفَّق

متقلِّب الجنبيْن فى نَعمائه يَعرى ويُصبَغ فى نَداك فيُورِق

فيبيت خِصباً فى ثراه ونِعمةً ويعُمُّه ماءُ الحياة الموسَق[7]

وإليك بعد الله يرجع تحته ما جَفَّ أو ما مات أو ما ينفُق[8]

***

أين الفراعنةُ الألى استذرى[9] بهم

(عيسى) و(يوسف) و(الكليم) المُصْعَق

المُورِدونَ الناسَ منهلَ[10] حكمةٍ أفضى إليه الأنبياءُ ليَستَقوا

الرافعون إلى الضحى آباءهم فالشمس أصلهمو الوضيءُ المُعْرِق[11]

وكأنما بين البِلى وقبورِهم عهدٌ على أن لا مساس ومَوْثِق

---

(١) العسجد : الذهب . (٢) الراوُوق : المصفاة . (٣) الحمأة : الطين الأسود . (٤) تتروق : من روق الشراب : صفاه . (٥) تخلق : أى تكون خليقة . (٦) السنن : النهج . (٧) الموسق : من أوسق أى حمل . (٨) ينفق : من نفق الرجل والدابة : ماتا ، يعنى ما مات من الإنسان وما هلك من الحيوان . (٩) استذرى بفلان : التجأ إليه واستذرى بالشجرة : أى استظل بها . (١٠) المنهل : المورد . (١١) المعرق : العريق فى النسب .

لِحجابهم تحت الثرى من هيبة ... كحجابهم فوق الثرى لا يُخرَق

بلغوا الحقيقةَ من حياةٍ علمُها ... حُجُبٌ مكشّفةٌ وسرٌ مُغلَق

وتبيَّنوا معنى الوجودِ فلم يروْا ... دونَ الخلودِ سعادةً تتحقق

يَبنونَ للدنيا كما تَبْنِي لهم ... خِرَباً غرابُ البَيْنِ فيها يَنْعَق

فقصورُهم كوخٌ وبيتُ بداوةٍ ... وقبورُهم صَرحٌ أشمُّ وجَوْسَقُ[1]

رفعوا لها من جَندلٍ وصفائحٍ ... عَمَداً فكانتْ حائطاً لا يَلْتِق[2]

تتشايعُ الدَّاران فيه فما بدا ... دنيا، وما لم يبدُ: أخرى تَصْدُق

للموتِ سِرٌّ تحتَه وجِدارُه ... سور على السرِّ الخفىِّ وخنْدق

وكأنّ منزلهَم بأعماقِ الثرى ... بين المحلة[3] والمحلة فُنْدق

موفورةٌ تحت الثرى أزوادُهم[4] ... رَحْبٌ بهم بين الكهوف المُطْبِق[5]

* * *

ولمن هياكلُ قد علا الباني بها ... بين الثريَّا والثّرى تَتَنسَّق[6]

منها المُشيَّدُ كالبروج وبعضُها ... كالطَّودِ مضطجعٌ أشمُّ مُنَطَّق[7]

جُدُدٌ كأوّلِ عهدها وحِيالها ... تتقادمُ الأرض الفضاء وتَعْتُق[8]

من كلِّ ثِقْل، كاهلُ الدنيا به ... تَعِبٌ ووجهُ الأرض عنه ضيِّق

عالٍ على باع البِلى لا يَهتَدِى ... ما يَعتَلِى منه وما يَتساق

مُتمكن كالطوْدِ أصلاً فى الثّرى ... والفرعُ فى حَرمِ السماء مُحلِّق

هى من بناء الظُلمِ إلاّ أنه ... يَبيَضُّ وجهُ الظلمِ منه ويُشرق

لم يُرهِق الأممَ الملوكُ بمثلها ... فخراً لهم يَبقى وذكراً يَعبَق

(١) الجوسق: القصر. (٢) يلتق: يتزعزع. (٣) المحلة: المنزل. (٤) الأزواد: جمع زاد وهو الطعام يتخذ للسفر. (٥) المطبق: السجن تحت الأرض. (٦) تتنسق: تنتظم. (٧) منطق: مرتفع لا يبلغ السحاب رأسه. (٨) تعتق: من عتق الشىء قدم.

فُتِنَت بشطّيكَ العباد فلم يزل ... قاصٍ يَحُجُّهما ودانٍ يَرْمُق

وتضوّعت مسكَ الدهور كأنما ... فى كل ناحيةٍ بخورٌ يُحرَق

وتقابلت فيها على السُرر الدُّمى[1] ... مستردياتٍ[2] الذلّ لا تَتَمَتَّق[3]

عَطِلَت[4] وكان مكانُهنّ من العُلى ... (بلقيس) تقبِسُ من حلاه وتَسرق

وعلا عليهن الترابُ ولم يكن ... يزكو بهنّ سوى العبير[5] ويَلْبَق[6]

حُجُراتها موطوءةٌ وستورُها ... مهتوكةٌ بيد البِلى تتخرّق

أودى بزينتها الزمانُ وحليها ... والحسنُ باقٍ والشبابُ الرَّيِّق[7]

لو رُدَّ فرعونُ الغداة لراعه ... أنّ الغرانيقَ[8] العُلى لا تنطق

خلع الزمانُ على الورى أيامَه ... فإذا الضُحى لكَ حِصَّةٌ والرَّوْنَق

لكَ من مواسمه ومن أعياده ... ما تحسرُ[9] الأبصارُ فيه وتَبْرق

لا (الفرسُ) أوتوا مثلَه يوما ولا

(بغدادُ) فى ظلّ (الرشيد) و (جلّق)[10]

فتحُ الممالك أو قيامُ (العجل) أو ... يومُ القبورِ أو الزفافُ المونِق

كم موكبٍ تتخايلُ الدنيا به ... يُجلى كما تجلى النجوم ويُنسق

(فرعونُ) فيه من الكتائبِ مُقبِلٌ ... كالسحبِ قرنُ الشمس منها مُفْتِق[11]

تعنو[12] لعزّته الوجوهُ ووجهُهُ ... للشمس فى الآفاق عانٍ مُطرِق

آبتْ من السفرِ البعيدِ جنودُه ... وأتتْه بالفتح السعيدِ الفيلق

---

(١) الدمى : جمع دمية وهى الصورة المنقشة . (٢) مستردیات : لابسات . (٣) تمتق : تتنعم

(٤) عطلت : من عطلت المرأة لم يكن عليها حلى . (٥) العبير : أخلاط من الطيب .

(٦) يلبق : يليق . (٧) الريق من كل شىء أوله وأصله . (٨) الغرانيق : جمع غرنيق وهو الشاب الأبيض الجميل ويقصد التماثيل . (٩) تحسر : من حسر البصر كل لطول مدى . (١٠) جلق : دمشق . (١١) مفتق : من فتق قرن الشمس أصاب فتقا من السحاب فبدا منه . (١٢) تعنو : تخضع وتذل .

ومشى الملوكُ مُصفَّدين،خدودُهم ... نعلٌ لفرعونَ العظيم ونُمرق[1]

مملوكةٌ أعناقُهم ليمينه ... يأبى فيضربُ أو يَمن فيعتق

ونجيبةٍ بين الطفولة والصِّبا ... عذراء تشرَبُها القلوبُ وتعلَق

كان الزفافُ إليكَ غايةَ حظّها ... والحظ إن بلغ النهايةَ مُوبق[2]

لاقيتَ أعراساً ولاقتْ مأتماً ... كالشيخ يَنْعَم بالفتاةِ وتزهق

فى كل عامٍ دُرَّةٌ تُلقى بلا ... ثمنٍ إليكَ وحرّة لا تُصدَق[3]

حولٌ[4] تُسائِل فيه كلُّ نجيبةٍ ... سَبقتْ إليكَ متى يَحول فتلْحق

والمجدُ عند الغانياتِ رغيبةٌ ... يُبغى كما يُبغى الجمالُ ويُعشق

إن زوّجوكَ بهنّ فهى عقيدة ... ومن العقائد ما يلَبُّ[5] ويَحمَق

ما أجملَ الإيمان لولا ضلَّة ... فى كلِّ دينٍ بالهداية تلْصَق

زُفّت إلى ملِكِ الملوك يَحثُّها ... دينٌ ويَدفعها هَوًى وتشوُّق

ولربما حسدتْ عليكَ مكانَها ... تِربٌ[6] تمسَّح بالعروس وتُحدق

مجلوة فى الفُلْك يَحدو[7] فُلْكَها ... بالشاطئينِ مُزغردٌ ومُصفّق

فى مِهْرجانٍ هزَّت الدنيا به ... أعطافَها واختالَ فيه المشرق

فرعونُ تحتَ لوائِه ، وبناتُه ... يَجرى بهنّ على السفينِ الزورق

حتى إذ بلغتْ مواكبُها المَدَى ... وجرى لغايته القضاءُ الأسبَق

وكسا سماءَ المهرجانِ جلالةً ... سيفُ المنيَّة وهو صَلْتٌ[8] يَبرقُ

وتلفَّتتْ فى اليمّ كلُّ سفينةٍ ... وانثال[9] بالوادى الجموعُ وحدّقوا

ألقتْ إليكَ بنفسها ونفيسها ... وأتتكَ شيّقةً حواها شَيِّق

---

(١) النمرق : الوسادة الصغيرة . (٢) موبق : مهلك .

(٣) تصدق : من اصدق الرجل المرأة أى سمى لها صداقها . (٤) الحول : السنة .

(٥) يلب من لب أى صار لبيا . (٦) الترب : من ولد معك . (٧) يحدو : من حدا الإبل ساقها وغنى لها . (٨) الصلت : السيف الصقيل الماضي . (٩) انثال أى انصب .

خلعت عليكَ حياءها وحياتها ... أأعزُّ من هذين شيءٌ يُنفَق

وإذا تناهى الحبُّ واتفقَ الفِدَى ... فالروحُ فى بابِ الضحيَّة أليق

ما العَالمُ السُفِليُّ إلا طِينةٌ ... أزليَّةٌ[1] فيه تُضىء وتُغسِق[2]

هى فيه للخِصْبِ العميمِ خميرةٌ ... يَنْدَى بمـا حملتْ إليه ويَبثُق[3]

ما كان فيهـا للزيادةِ موضعٌ ... وإلى حِماها النقصُ لا يتَطرَّق

منبثَّةٌ فى الأرضِ تَنتظِم الثَرى ... وتنالُ بمـا فى السماء وتَعْلَق

منها الحياةُ لنـا ومنها ضِدُّها ... أبدًا نَعودُ لهـا ومنها نُخلَق

والزرعُ سنبلُه يُصيب وحَبُّه ... منها فيخرج ذا وهذا يُفلَق

وتَشدُّ بيتَ النحلِ فهو مُطنَّبٌ ... وتمدُّ بيتَ النمل فهو مُروَّق

وتظلُّ بين قُوَى الحياةِ جوائلا ... لا تستقِرّ دَوائلاً لا تَمْحَق[4]

هى كلمة الله القدير ورُوحه ... فى الـكائنات وسِرّه المستغلَق

فى النجم والقمرين مظهرُها إذا ... طلعت على الدنيا وساعةَ تَخفُق

والذرّ[5] والصخراتُ مما كوِّرت ... والفيلُ بمـا صوِّرت والخِرنق[6]

فتنت عقولَ الأولين فألَّهوا ... من كلّ شىء ما يَرُوع ويَخْرُق

سجَـدوا لمخلوقٍ وظنُّوا خالقاً ... مَن ذا يميِّز فى الظلام ويَفْـرُق

دانت (بآبِيَس) الرعيَّةُ كلُّها ... من يستغلُّ الأرض أو من يَعزِق

جاءوا من المرعى به يمشى كما ... تمشى وتلتفت المهاةُ وتَرْشُقُ

داجٍ بجُنح الليل زان جبينَهُ ... وضَحٌ عليه من الأهلة أشرَق[7]

العسجد[8] الوهَّاج وشىُ جلالِه ... والورد موطئ خفه والزنبق[9]

(١) أزلية : الأزل : القدم . (٢) تغسق : تظلم . (٣) يبثق : من بثق السيل موضع كذا خرقه وشقه . (٤) تمحق : من محقه أهلكه . (٥) الذر : الهباء المنبث فى الهواء الواحدة ذرة . (٦) الخرنق : الفتى من الأرانب . (٧) الوضح : الغرة ، والوضح التحجيل فى القوائم . (٨) العسجد : الذهب . (٩) الزنبق : نبات له زهر طيب الرائحة .

ومن العجائب بعد طول عبادةٍ ... يُؤتَى به حوضَ الخلودِ فيُغرَق

ياليت شعرى هل أضاعوا العهدَ أم ... حَذِروا من الدنيا عليه وأشفقوا

قومٌ وقارُ الدين فى أخلاقهم ... والشعبُ ما يَعتاد أو يتخلّق

يدعُون خلفَ الستر آلهةً لهم ... ملأوا النَّدِىَّ جلالةً وتأبّقوا[1]

وآستحجبوا[2] الكهان، هذا مُبلغٌ ... ما يهتِفون به وذاك مصدِّق

لا يُسألون إذا جرت ألفاظهم ... من أين للحجر اللسانُ الأذلَقُ

أو كيف تخترق الغيوبَ بهيمةٌ ... فيما يَنوب من الأمور ويَطرق

وإذا همو حجُّوا القبورَ حسبتهم ... وفدَ (العتيق)[3] بهم ترامى الأينُق[4]

يأتون (طيبةَ) بالهَدِىِّ[5] أمامَهم ... يغشى المدائن والقرى ويُطبّق

فالبَرّ مشدودُ الرواحل محدَج[6] ... والبحرُ ممدود الشراع موَسَّق

حتى إذا ألقَوْا بهيكلها العصا ... وَفَّوا النذورَ وقرّبوا وآصَّدّقوا

وجرت زوارقُ بالحجيج كأنها ... رُقْط تَدافعُ أو سهام تمرُق[7]

من شاطئٍ فيه الحياةُ لشاطئٍ ... هو مضجعٌ للسابقين ومِرفق[8]

غربوا غروبَ الشمسِ فيه وآستوى ... شاهٌ ورُخٌّ[9] فى التراب وبيدق[10]

حيث القبورُ على الفضاء كأنها

قِطَعُ السَّحاب أو السَّراب الدَّيْسَق[11]

للحق فيه جولةٌ وله سَنًا ... كالصبح من جنباتها يتفلّق

---

(١) الندى : النادى . (٢) استحجبوا الكهان : أى ولوهم الحجابة وهى خطة الحاجب أى البواب . (٣) العتيق : الكعبة . (٤) الأينق : جمع ناقة . (٥) الهدى : ما أهدى إلى الحرم من النعم وقيل هو جمع الهدى واحدتها هدية . (٦) محدج : من حدج الأحمال شدها ووسقها : (٧) رقط : واحدتها رقطاء وهى الحية . (٨) المرفق : المتكأ (٩) الرخ : قطعة شطرنج يلعب بها . (١٠) البيدق : قطعة شطرنج يلعب بها . (١١) الديسق : بياض السراب .

نزلوا بهـا فشى الملوكُ كرامةً ... وجثا المدِل بمـاله والمَلِق[١]
ضاقت بهم عَرصاتها فكأنمـا ... ردت ودائعها الفلاةُ الفَيهق[٢]
وتَنادم الأحياء والموتى بهـا ... فكأنهم فى الدهر لم يتفرّقوا

***

أصلُ الحضارةِ فى صعيدكَ ثابتٌ ... ونَباتها حَسَنٌ عليك مُخلّق[٣]
وُلِدت فكنتَ المهدَ ثم ترعرعت ... فأظلها منـكَ الحنىُّ المُشفِق
ملأتْ ديارَك حكمةً ، مأثورُها ... فى الصخر والبردِى الكريم منبّق[٤]
وبنت بيوتَ العلم باذخةَ الذُرى ... يسعى لهن مغرّبٌ ومشرّق
واستحدثت ديناً فكان فضائلاً ... وبناء أخلاقٍ يطول ويَشهَق[٥]
مَهَدَ السبيلَ لكل دينٍ بعـــده ... كالمسك ريّاه بأخرى تُفتَق[٦]
يدعو إلى برّ ويرفع صـالحاً ... ويَعاف ما هو للمروءة مَخلق
للناس من أسراره ما عُلـّموا ... ولشُعْبة الكَهنوت ما هو أعمق
فيه محلٌّ للأقانيم[٧] العُـلى ... وللجامع التوحيـــد فيه تعلـّق
تابوتُ موسى لا تزال جلالةٌ ... تبدو عليـك له وريّا تُنشَق[٨]
وجمـالُ يوسُفَ لا يزال لواؤُه ... حولَيْك فى أُفقِ الجلال يُرنّق[٩]
ودموعُ إخوته رسائلُ توبةٍ ... مَسطورهُن بشاطئيْك مُنمّقُ
وصلاةُ مريم فوق زرعك لم يزل ... يَزكو لذكراها النبات ويَسمُق[١٠]
وخُطَى المسيح عليك روحاً طاهراً ... بركاتُ ربّك والنعيم الغَيْدق[١١]

---

(١) الملق : الفقير . (٢) الفيهق : الواسع من كل شىء . (٣) مخلق : متطيب .
(٤) منبق : مصطف . (٥) يشهق : من شهق الجبل : ارتفع . (٦) تفتق : من فتق المسك بغيره استخرج رائحته بشىء يدخله عليه . (٧) الأقانيم : جمع أقنوم وهو الأصل والشخص .
(٨) تنشق : تشم . (٩) يرنق : يخفق . (١٠) يسمق : سمق النبات أى طال وعلا .
(١١) الغيدق : من غيدق المطر : كثر .

ووداثعُ (الفاروقِ)[١] عندك دِينُه ... ولواؤه وبيـــانُه والمنطِق

بعث الصحابةَ يحمِلون من الهدى ... والحق ما يُحيي العقولَ ويُفتق

فتحُ الفتوح من الملائك رَزْدَق[٢] ... فيه ومن (أصحاب بدر) رَزْدَق

يبنون لله الكنانةَ بالقنـا ... واللهُ من حول البِناء موفّق

أحلاسُ[٣] خيلٍ بيد أن حسامهم ... فى السلم من حذرِ الحوادث مقلَق

تُطوى البلادُ لهم ويُنجد جيشَهم ... جيش من الأخلاق غازٍ مورِق[٤]

فى الحق سُلَّ وفيه أُغمِد سيفُهم ... سيفُ الكريم من الجهالة يَفْرَق[٥]

والفتح بغيٌ لا يهون وقعه ... إلا العفيف حسامه المترفق

ما كانت « الفسطاطُ » إلا حائطاً ... يأوى الضعيفُ لركنه والمُرْهَق

وبه تلوذ الطيرُ فى طَلب الكَرى ... ويبيتُ « قيصرُ » وهو منه مؤرَّق

« عمرو » على شُطبِ[٦] الحصير مُعصَّبٌ[٧]

بقلادة الله العـــلىّ مطـــوق

يدعو له « الحاخام » فى صلواته ... (موسى) ويسأل فيه عيسى البطرق

يانيل أنت بطيب مانعت « الهدى » ... وبِمِدْحَةِ (التوراةِ) أحرى أخلق

وإليك يُهدِى الحمدَ خلق حازَهم ... كنَفٌ على مر الدهور مُرهَّق[٨]

كنَف « كمعن » أوكساحة « حاتم » ... خَلَقٌ يودّعه وخلق يَطْرُق

وعليك تُجلى من مصونات النهى ... خُودٌ عرائس خدرهنّ المُهرَق[٩]

الدرّ فى لَبَّاتهن[١٠] منظّم ... والطيب فى حَبَراتهن مرقرق

لى فيكَ مدحٌ ليس فيه تكلفٌ ... أملاه حبٌّ ليس فيـــه تملق

---

(١) الفاروق : عمر بن الخطاب . (٢) الرزدق : الصف من الناس . (٣) أحلاس خيل : أى ملازمين ظهورها . (٤) مورق : غانم . (٥) يفرق : يحذر . (٦) الشطب : الأخضر الرطب من جريد النخل . (٧) معصب : متوج . (٨) مرهق : كثير غشيان الناس والأضياف . (٩) المهرق : الصحيفة . (١٠) لباتهن : واحدتها لبة وهى النحر .

عما يُحمّلنا الهوى لك أفرخٌ   سنطيرُ عنها وهي عندك تُرزق
تهفو إليهم فى التراب قلوبُنا   وتكاد فيه بغير عرقٍ تخفُق
ترجى لهم ، والله جَلَّ جلاله   منا ومنـــك بهم أبَرّ وأرفق
فاحفظ ودائعك التى استُودِعْتَها   أنتَ الوفىُّ إذا اؤتمنت الأصدق
للأرض يومٌ والسماء قيامةٌ   وقيامةُ « الوادى » غداة تحلّق[1]

نَكْبَةُ دِمَشْق

[قيلت فى حفلة أقيمت لإعانة منكوبي سوريا بتياترو حديقة الأزبكية فى يناير سنة ١٩٢٦]

سلامٌ من صبَا (بَرَدَى)[2] أرقُّ   ودمعٌ لا يُكفكف يا دمشقُ
ومعـــذرةُ اليراعةِ والقوافى   جلالُ الرُّزءِ[3] عن وصفٍ يَدِقُّ
وذكرَى عن خواطِرها لقلبي   إليـــكِ تلفُّتٌ أبداً وخَفْق[4]
وبى مما رمتكِ به الليـــالى   جِراحاتٌ لها فى القلب عُمق
دخلتُكِ والأصيلُ له ائتلاقٌ[5]   ووجهُكِ ضاحكُ القسماتِ طَلق
وتحت جِنانك الأنهارُ تجرى   وملء رُباكِ أوراقٌ ووُرْق[6]
وحولى فتيـــةٌ غُرٌّ صِباح   لهم فى الفضلِ غاياتٌ وسَبق
على لَهَوَاتهم[7] شعراء لُسْنٌ[8]   وفى أعطافِهم خطباء شُدْق[9]
رواةُ قصائدى فاعجبْ لشعرٍ   بكلِّ محلّةٍ يَرْويه خَلق

---

(١) يحلق : يجف . (٢) بردى : نهر دمشق . (٣) الرزء : المصيبة .
(٤) خفق : خفوق . (٥) ائتلاق : من ائتلق لمع وأضاء . (٦) الورق : جمع ورقاء هى الحمامة . (٧) لهوات : جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . (٨) لسن : من لسن الرجل فصح أو تناهى فى الفصاحة والبلاغة .
(٩) شدق : جمع أشدق أى بليغ مفوه كريم .

غمزتْ إباءهم حتى تلظّتْ   أنوفُ الأسدِ واضطرمَ[1] المَدَقُ[2]

وضجَّ من الشكيمةِ[3] كلُّ حُرٍّ   أبيٍّ من أميةَ فيه عِتقُ[4]

***

لحاها اللهُ أنباءٌ توالتْ   على سمعِ الوليِّ بما يَشُقُ[5]

يُفصّلها[6] إلى الدنيا بَريدٌ   ويُجملها إلى الآفاق بَرْقُ[7]

تكاد لروعةِ الأحداثِ[8] فيها   تُخال من الخُرافةِ وهي صِدْقُ

وقيل معالمُ التاريخ دُكّت   وقيل أصابها تَلَفٌ وحَرْقُ

ألستِ دمشقُ للإسلام ظِئراً[9]   ومُرضعةُ الأبوّةِ لا تُعقُ

صلاحُ الدين تاجُك لم يُجمَّل   ولم يُوسَم بأزين منه فَرْقُ

وكلُّ حضارةٍ في الأرض طالتْ   لها من سَرحِك العُلويّ عِرْقُ[10]

سماؤُكِ من حُلىِّ الماضي كتابٌ   وأرضُك من حُلىِّ التاريخ رَقٌّ[11]

بنيت الدّولة الكبرى ومُلكاً   غبارُ حَضارتَيه لا يُشق

له بالشامِ أعلامٌ وعُرسٌ   بشائرُه بأندلسٍ تدَقُ

***

رباعُ الخلد ويحَك ما دهاها   أحقٌّ أنها دَرَست أحق

وهل غُرَفُ الجنانِ مُنضّداتٌ[12]   وهل لنعيمهنّ كأمس نَسْقُ

وأين دُمى[13] المقاصِرِ[14] من حِجالٍ   مُهتّكة وأستارٍ تُشَقُ

---

(١) اضطرم من اضطرمت النار : اشتعلت . (٢) المدق : قصبة الأنف . (٣) الشكيمة من اللجام : الحديدة المعترضة في فم الفرس . (٤) العتق : الكرم وخلوص الأصل .

(٥) الولي : المحب والصديق . (٦) فصل : بين . (٧) يجمل ، من أجمل الكلام : فصله وبينه . (٨) الأحداث : المصائب . (٩) الظئر : المرضعة . (١٠) السرح : الشجر العظام . (١١) الرق : جلد رقيق يكتب فيه . (١٢) منضد : منسق . (١٣) الدمى : واحدتها دمية وهى الصورة المنقشة . (١٤) المقاصير : واحدتها مقصورة وهى الحجر .

بَرَزْنَ وفى نواحى الأيكِ نارٌ	وخلفَ الأيكِ أفراخٌ تُزَقّ
إذا رُمنَ السلامةَ من طريقٍ	أتتْ من دونه للموت طُرق
بليـــلٍ للقذائف والمنايا	وراءَ سمائه خَطْفٌ وصَعْقُ
إذا عصفَ الحديدُ آحمرَّ أفقٌ	على جَنَباته وآسودَّ أفق
سَلِى من راعَ غِيدَكِ بعدَ وهْنٍ[1]	أبيْن فؤاده والصخرِ فَرْق؟
وللمستعمرين وإنْ ألانوا	قلوبٌ كالحجارةِ لا ترق
رماكِ بطيشِه ورمى فرنسا	أخو حربٍ به صَلَفٌ وحُمْق
إذا ما جاءه طُلاّبُ حقٍ	يقول عصابةٌ خرجوا وشَقّوا
دَمُ الثُّوارِ تَعرفه فرنسا	وتَعْلمُ أنه نورٌ وحق
جرَى فى أرضها، فيه حياةٌ	كمُنْهَلّ السماء وفيه رِزْق[2]
بلادٌ ماتَ فتيتُها لتَحيا	وزالُوا دون قومِهم ليَبْقوا
وحُرِّرت الشعوبُ على قَناها	فكيف على قَناها تُسْتَرَق[3]
بنى سوريةَ آطَّرِحُوا الأمانى	وألقُوا عنكم الأحلامَ ألقوا
فمن خِدَعِ السياسةِ أن تُغَرُّوا	بألقابِ الإمارة وهى رِق[4]
وكم صَيَدٍ[5] بدا لكَ من ذليلٍ	كما مالتْ من المصلوبِ عُنْق
فُتُوقُ المُلكِ تَحدُثُ ثم تَمضِى	ولا يَمضى لِمُختلفين فَتْق
نَصحتُ ونحن مُختلِفون دارًا	ولكن كلُّنا فى الهمِّ شَرْق
ويجمَعُنا إذا آختلفتْ بلادٌ	بيانٌ غيرُ مختلِفٍ ونُطق
وقفتُمْ بين موتٍ أو حياةٍ	فإن رُمْتم نعيمَ الدهر فاشقَوا
وللأوطانِ فى دمِ كلِّ حُرٍّ	يَدٌ سلفتْ ودَيْنٌ مُسْتَحَق

---

(١) الوهن: نصف الليل أو بعده بساعة. (٢) منهل السماء: أى قطره. (٣) تسترق: تستعبد. (٤) الرق: العبودية. (٥) الصيد: ميل العنق وهو يضرب للمتكبر.

ومَن يَسقِ ويَشربُ بالمنايا ... إذا الأحرارُ لم يُسقَوا ويَسقُوا؟

ولا يَبْنِي الممالكَ كالضحايا ... ولا يُدنِي الحقوقَ ولا يُحِق

ففي القتلى لأجيالٍ حياةٌ ... وفي الأسرى فِدًى لهمُو وعِتْق[1]

وللحريةِ الحمراءِ بابٌ ... بكلِّ يدٍ مضرَّجةٍ يُدَقُّ

جَزاكم ذو الجلالِ بني دمَشقٍ ... وعِزُّ الشرقِ أوَّلُهُ دمَشق

نصرْتم يومَ مِحْنَتِه أخاكم ... وكلُّ أخٍ بنصرِ أخيه حَق

وما كان الدروزُ قَبِيلَ[2] شَرٍّ ... وإن أُخذوا بما لم يَستَحِقُّوا؟

ولكن ذادةٌ[3] وقُرَاةُ ضيفٍ ... كَيَنْبُوعِ الصَّفَا خَشُنُوا ورَقُّوا؟

لهم جَبَلٌ أشَمُّ له شِعَافٌ ... مواردُ في السحابِ الجُونِ بُلْق

لكلِّ لَبُوءةٍ ولكلِّ شِبْلٍ ... نِضَالٌ دونَ غابتِه ورَشْق

كأنَّ من السموأل[4] فيه شيئاً ... فكلُّ جِهاتِه شرَفٌ وخَلْق

رمضان ولّى

[الأبيات التي بين قوسين ترجمتها جريدة الطان بقلم المرحوم عثمان باشا غالب]

رمضانُ وَلّى هاتِها يا ساقي ... مُشتاقةً تَسعَى إلى مُشتاقِ

ما كان أكثرَه على أُلّافِها ... وأقلَّهُ في طاعةِ الخلاقِ

اللهُ غفّارُ الذنوبِ جميعِها ... إن كان ثَمَّ من الذنوب بواقي

بالأمس قد كُنّا سجينَيْ طاعةٍ ... واليوم مَنَّ العيدُ بالإطلاقِ

---

(١) العتق: الحرية. (٢) القبيل: جمع قبيلة وهي العشيرة. (٣) الذادة: جمع ذائد وهو الحامي. (٤) السموأل: هو السموأل بن عادياء اليهودي صاحب القصيدة التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

ضحِكتْ إلىّ من السرور ولم تزل ... بنتُ الكروم كريمةَ الأعراق

هات اسقنيها غيرَ ذات عواقب ... حتى نُراعَ لصَيْحَة الصَّفّاق[1]

صِرفاً مسلَّطةَ الشعاع كأنما ... من وجنتيك تُدار والأحداق

حمراء أو صفراء إنّ كريمَها ... كالغيدِ ، كلُّ مليحةٍ بمذاق

وحَذارِ من دَمِها الزكىّ تريقهُ ... يكفيك يا قاسى دَمُ العشاق

لا تسقنى إلا دِهاقا[2] إننى ... أسقى بكأسٍ فى الهموم دِهاق

فلعلّ سلطان المدامة مخرجى ... من عالَمٍ لم يحوِ غيرَ نفاق

(وطنى أسِفتُ عليكَ فى عيد المَلا ... وبكيتُ من وجدٍ ومن إشفاق)

(لا عيدَ لى حتى أراكَ بأمّةٍ ... شمّاء راويةٍ من الأخلاق)

(ذهب الكرامُ الجامعون لأمرِهم ... وبقيتُ فى خَلَفٍ بغير خَلاق)

(أيظلّ بعضُهم لبعضٍ خاذلا ... ويقال شعبٌ فى الحضارة رَاقِ)

(وإذا أراد اللهُ إشقاء القُرَى ... جعلَ الهُداةَ بها دُعاة شِقاق)

***

العيدُ بين يديك يا ابن محمدٍ ... نَثَر السعودَ حُلىّ على الآفاق

وأتى يقبّل راحتيك ويرتجى ... أن لا يفوتكما الزمانَ تَلاقِ

قابلْتَه بسعودِ وجهك والسَّنا ... فازداد من يُمنٍ ومن إشراق

فاهنأ بطالعِهِ السعيدِ يَزينُه ... عيدُ الفقير وليلةُ الأرزاق

يتنزّلُ الأجرانِ[3] فى صُبحيْهما ... جَزْلَيْن عن صومٍ وعن إنفاق

إنى أجِلُّ عن القتال سرائرى ... إلا قتالَ البؤس والإملاق[4]

وأرى سُمومَ العالمين كثيرةً ... وأرى التعاونَ أنجعَ التِّرياق[5]

---

(١) الصفاق : الديك . (٢) الدهاق : من الكؤوس : الممتلئة .
(٣) الأجران : مثنى أجر أى أجر زكاة الفطر . (٤) الإملاق : من أملق الرجل أنفق ماله حتى افتقر . (٥) الترياق : دواء مركب يدفع السموم .

قَسمت بَنِيها واستبدّت فوقَهم ... دُنيا تَعُقُّ لئيمةُ الميثاق

والله أتعبها وضلّل كيدَها ... من راحتيْك بوابلٍ غَيداق[1]

يأسُو جراحَ اليائسين من الورى ... ويساعد الأنفاسَ فى الأرماق[2]

بلغ الكرامُ المجدَ حين جروْا له ... بسوابقٍ وبلغته (بِبُراق)

ورأوا غبارَك فى السُّها وتراكضوا ... من للنجوم ومن لهم بلحاق

مولاى طِلْبة مصر أن تبقى لها ... فإذا بقيتَ فكل خير باق

سبق القريضُ إليك كلَّ مهنئٍ ... من شاعر متفرد سبّاق

لم يدّخر إلا رضاك ولا اقتنى ... إلا ولاءك أنفسَ الأعلاق[3]

إن القلوب وأنت ملءُ صميمها ... بعثتْ تهانيها من الأعماق

وأنا الفتى (الطائى)[4] فيك وهذه ... كلِمِى هززتُ بها أبا إسحاق[5]

مِصْـــر

[وقال وقد كان أعد وليمة إلى الكاتب الإنجليزى المستر هول كين]

أيها الكاتب المصــوِّر صَوِّر ... مصرَ بالمنظرِ الأنيق الخليق

إن مصرَ روايةُ الدهر فاقرأ ... عِبرَةَ الدهر فى الكتاب العتيق

مَلْعَبٌ مثّل القضاء عليــه ... فى صِبا الدهر آيةَ (الصدّيق)[6]

وامحاء[8] (الكليم)[7] آنس ناراً ... والتجاء (البَتول)[9] فى وقتِ ضيق

---

(١) الغيداق : الكريم الجواد الواسع الخلق الكثير العطية . (٢) الأرماق : جمع رمق وهو بقية الحياة . (٣) الأعلاق : جمع علق وهو النفيس من كل شىء . (٤) الطائى : أبو تمام الطائى الشاعر (٥) أبو إسحاق : المعتصم بالله . (٦) الصديق : يوسف عليه السلام . (٧) امحاء : صحق . (٨) الكليم : موسى عليه السلام . (٩) البتول : مريم العذراء عليها السلام .

ومنايا (منا) (فكسرى) فذى (القرْ ... نيْنِ) فالقيصرَيْنِ (فالفاروق)[1]

دُوَلٌ لم تَبِد ولكن توارت ... خلف ستر من الزمان رقيق

روضتى آزَّيّنت وأبدت حُلاها ... حين قالوا ركابُكم فى الطريق

مثلَ عذراء من عجائزِ (روما) ... بشّروها بزورة البطـريق

ضَحِكُ الماء، والأقاحى[2] عليها ... قابلته الغصونُ بالتصفيق

زرتُها والربيعُ فصلا تحفّت ... نحو ركبيكما خُفوفَ المشوق

فانزلا فى عيونِ نرجسِها الغض ... صِياناً وفوق خـد الشقيق[3]

البَحْرُ الأَبْيَضُ المُتَوَسِّطُ

أىُّ الممالكِ أيها ... فى الدّهرِ مارفعتْ شراعكْ

يا أبيضَ الآثار والصـ ... فحات ضُيِّعَ من أضاعك

إن البيانَ وإنَّ حُسْـ ... نَ العقلِ ما زالا مَتاعَك

أبداً تُذكرنا الذيـ ... ن جلوا على الدنيا شُعاعَك

وبنَوْا منارَك عالياً ... مُتألقاً وبنَوا قِلاعك

وتحكّموا بك فى الوجو ... د تحكّما كان ابتداعَك

حتى إذا جئتَ الأنا ... م بأهل حكمته أطاعَك

واليومَ عقَّ كأنما ... يَنسى جميلك واصطناعَك

فابلغْ فديتك كلَّ ما ... تِك فالملا ينوى ابتلاعَك

---

(١) الفاروق: عمر بن الخطاب رضى الله عنه. (٢) الأقاحى: جمع أقحوانة وهو نباته له زهر أبيض فى وسطه كتلة صغيرة صفراء. (٣) الشقيق: زهر.

وقال عندما زار قسم الأزهار والثمار فى المعرض بباريس سنة ١٩٠١

رزق الله أهلَ باريس خيراً ... وأرى العقلَ خيرَ ما رُزِقوه

عندهم للثمارِ والزهرِ مما ... تنجب الأرض معرضٌ نَسَقوه

جنّةٌ تخلب العقولَ وروضٌ ... تجمع العينُ منه ما فرقوه

من رآه قال قد حُرموا الفر ... دوس لكن بسحرهم سرقوه

ماترى الكَرْمَ قد تشاكل حتى ... لو رآه السُّقاةُ ما حقّقوه

يُسكر الناظرين كَرْما ولمّا ... تَعتصره يدٌ ولا عتّقوه

صوّروه كما يشاءون حتى ... عجب الناسُ كيف لم يُنطِقوه

يجدُ المتّقى يدَ الله فيـــه ... ويقول الجحودُ قد خلقوه

باريس

بجهدُ الصبابةِ ما أكابد فيكِ ... لو كان ما قد ذقتُه يكفيكِ

حتّــامَ هِجرانى وفيمَ تجنّبى ... وإلامَ بى ذُلُّ الهوى يُغريكِ

قد مُتُّ من ظمإٍ فلو سامحتنى ... أن أشتهى ماء الحياةِ بفيكِ

أجدُ المنايا فى رضاكِ هى المُنى ... ماذا وراء الموتِ ما يُرضيكِ

يا بنتَ مخضوبِ الصوارمِ والقنا ... بَرِئتْ بنانُك من سلاح أبيكِ

فخضابُ تلك من العيون وقايةٌ ... وخضابُ ذاك من الدمِ المسفوكِ

جفناكِ أيهما الجرىء على دمى ... بأبى هما من قاتلٍ وشريكِ

بالسيفِ والسحرِ المُبين وبالطّلى[1] ... حملا علىّ وبالقنــا المشبوكِ

---

(١) الطلى : الخمر .

بهما وبى سَقمٌ ومن عجب الهوى　　عُدْوان منكسرٍ على مَنْهوك

رِفقاً بمسبلةٍ [١] الشئونِ [٢] قريحةٍ [٣]　　تسلو عن الدنيا ولا تَسْلوك

أبكيتها وقعدتِ عن إنسانها [٤]　　يا للرِّجال لمُغْرَقٍ مـتروك

ضلت كَرَاها [٥] فى غياهب [٦] حالكٍ　　ضَلَّ الصباحَ عليه صوتُ الديك

رقَّ النسيمُ على دُجاه لأنَّتى　　ورَثى الحالى فى السماء أخوك [٧]

قاسيتُه حتى أنجلى بالصبح عن　　سِرَّى المصونِ ومدْمعى المهتوك

سُلَّت سيوفُ الحىِّ إلا واحداً　　إفرنْدُه [٨] فى جَفْنِه يحميك

جرَّدتِه فى غير حق كالألى　　سَـلوا سيوفَهمُ على أهليك

طلعتْ على حرَمِ الممالكِ خيلُهم　　ناراً سنابكُها [٩] على (البلجيك)

البأسُ والجبروتُ فى أعرافها [١٠]　　والموتُ حول شكيمها [١١] المَعْلوك [١٢]

عزَّت (لياجَ) عن الحصون وجرَّدَت　　(نامورَ) عن فولاذِها المشكوك [١٣]

تمشى على خَطِّ الملوكِ وخَتْمهم　　وعلى مصونِ مواثق وصكوك [١٤]

والحرب لا عقلٌ لهـا فتسومُها　　ما يَنبغى من خُطَّة وسلوك

دكَّت حصونَ القوم إلا مَعْقلاً　　من نخوةٍ وحَميَّةٍ وفُتوك

وإذا احتمى الأقوامُ باستقلالهم　　لاذوا بركنٍ ليس بالمدْكوك

ولقد أقولُ وأدْمعى منهلَّةٌ　　(باريز) لم يعرفْك من يغزوكِ

---

(١) مسبلة : من أسبل الدمع أى أرسله . (٢) الشئون : الدموع .
(٣) قريحة : أى ذات قرحة وهى الجرح . (٤) إنسانها : إنسان العين وهو المثال يرى فى سوادها . (٥) كراها : نومها . (٦) غياهب : جمع غيهب وهو الظلمة .
(٧) أخوك : يعنى البدر . (٨) الإفرند : جوهر السيف ووشيه . (٩) سنابكها : جمع سنبك وهو طرف الحافر . (١٠) أعرافها : الواحد عرف وهو شعر عنق الفرس .
(١١) شكيمها : جمع شكيمة وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس . (١٢) المعلوك : من علك الفرس اللجام لاكه وحركه فى فمه . (١٣) المشكوك : أى المشدود . (١٤) أى أنها انتهكت المعاهدات .

ماخلت جنات النعيم ولا الدمى[1] ... تُرمى بمشهود النهار[2] سفوك

زعموكِ دارَ خلاعةٍ ومجانةٍ ... ودعارةٍ يا إفكَ ما زعموكِ !

إن كنتِ للشهوات رِيًّا فالعُلا ... شهواتُهن مرويّاتٌ فيك

تَلدين أعلامَ البيانِ كأنهم ... أصحابُ تيجانٍ ملوك أريك

فاضت على الأجيال حكمةُ شِعْرهم ... وتفجَّرت كالكوثر المَعْروك[3]

والعلمُ فى شرقِ البلاد وغربها ... ما حجَّ طالبُــه سوى ناديك

العصرُ أنتِ جمالُه وجــلاله ... والرّكنُ من بنيانه المَسْمُوك[4]

أخذت لواء الحق عنك شعوبُه ... ومشت حضارتُه بنورِ بَنيك

وخِزانةُ التـاريخ ساعةَ عَرْضِها ... للفَخر خيرُ كنوزها ماضيك

ومن العجائبِ أن واديكِ الشَّرى[5] ... ومراتع الغزلانِ فى واديك

يا مكتبي قبــلَ الشباب وملعبي ... ومقيلَ أيام الشبابِ النُّوك[6]

ومراحَ لذاتي ومغداها على ... أُفقٍ لجنّات النعيم ضَحُوك

وسماء وحى الشِّعر من مُتدفقٍ ... سَلِسٍ على نَوْلِ[7] السماء حَوك[8]

لـما احتملتُ لكِ الصنيعةَ لم أجد ... غــيرَ القوافى ما به أجزيك

إن لم يَفُوكِ بكل نفسٍ حرةٍ ... فالله جــلّ جلاله واقيك

وقال فى صاحب أهوج كثير الحركة والكلام

لنا صاحبٌ قد مُسَّ إلا بقيّةً ... فليس بمجنونٍ وليس بعاقلِ

له قدَمٌ لا تستقِرُّ بموضعٍ ... كما يتنزَّى[9] فى الحصى غيرُ ناعل

---

(١) الدمى : جمع دمية وهى الصورة المنقشة . (٢) يعنى الحرب . (٣) ماء معروك : أى مزدحم عليه . (٤) المسموك : المرتفع . (٥) الشرى : مأسدة بجانب الفرات يضرب بها المثل . (٦) النوك : جمع أنوك وهو الأحمق ، وقيل العاجز الجاهل .

(٧) النول : خشبة الحائك ينسج عليها . (٨) حوك : من حاك أى نسج .

(٩) ينزى : يثب .

إذا ما بَدا في مجلس ظُنّ حافلاً　　من الصَّخب العالي وليس بحافل

ويُمطرنا من لفظه كلَّ جامدٍ　　ويُمطرنا من رَيْله[1] شرَّ سائلِ

ويُلقِي على السُّمَّارِ كفًّا دعابُها　　كعضّة بَرْدٍ في نواحي المفاصل

وقال يشيع صديقه الدكتور محجوب ثابت وهو مسافر
وفيها وصف لبعض الأماكن المقدسة

(محجوبُ) إن جئت «الحجا　　ز» وفي جوانحك الهوَى له

شــوقاً وحبًّا بالرسو　　ل وآله أزكى سُلاله

فـلمحتَ نضرةَ (بانه)　　وشممت كالريحان (ضاله)

وعلى (العتيق[2]) مشيْتَ تنـ　　ـظر فيه دمعَك وانهماله

ومضى السُّرى بك حيث كا　　ن الروحُ يَسرى والرساله

وبلغت (بيتًا) بالحجا　　ز يُبارك البارى حياله

اللهُ فيـــه جلا الحرا　　مَ لخلقه وجـلا حـلاله

فهناك طبُّ الروح طـ　　ـبُّ العالمين من الجهاله

وهناك أطـلال الفصا　　حة والبـــلاغة والنباله

وهنـــاك أزكى مَسْجدٍ　　أزكى البرية قد مشى له

وهناك عـذريّ الهوى　　وحديثُ (قيس[3]) والغزاله

وهناك مُجْرى الخيل مُجرى　　في أعنّتهـــا خيـــاله

وهناك من جمع السماحة　　والرجاحـــةَ والبســـاله[4]

---

(١) الريل : اللعاب . من رال الصبي ريلا أي جرى لعابه .

(٢) العتيق : الحرم المكي .　　(٣) هو قيس بن الملوح المعروف بمجنون بني عامر وله أحاديث يرجع إليها في الأغاني ومنها حديث الغزالة الأنقة .　(٤) أي هناك الفروسية والبراع .

وهنـاك خيَّمت النُّهى والعـلمُ قد ألقى رِحاله
وهنـاك سَرْحُ حضارةٍ اللهُ فَيَّأنا ظِـلالَه
إن الحسين ابن الحسـ ـين أمير مكة والإياله
قمرُ الحجيج إذا بدا دار الحجيج عليه هاله
أنت العليل فلُذ به مستشفيًا واغنم نواله
لا طِبَّ إلا جَـدّه شافى العقول من الضلاله
قبِّـل ثراه وقل له عنى وبالـغ فى المقاله
أنا يا ابن أحمد بعد مد حى فى أبيك بخير حاله
أنا فى حمى الهادى أبيـ ـك أحبّه وأجلّ آله
شوقى إليك على النوى شوق الضرير إلى الغزالهْ[1]
يا ابن الملـوك الراشديـ ـن الصالحين أولى العداله
إن كان بالملك الجلا لةُ فالنبىّ لكم جلاله
أو ليس جدُّكمُ الذى بلغَ الوجودُ بِه كماله

طُوكيُو

[وصف نكبة اليابان الأخيرة بالزلزال الشهير]

قِفْ (بطوكيو) وطُف على (يوكاهامه)
وسَـل القريتَيْن كيف القيامَه
دنت الساعةُ التى أُنذِرَ النا سُ وحلتْ أشراطُها[2] والعلامه

---

(١) الغزالة : الشمس . (٢) الأشراط : المفرد شرط : العلامة .

قِفْ تأمّل مصارعَ القوم وانظر هل ترى من ديار عادٍ دِعامه

خُسِفَت بالمساكن الأرضُ خسفاً

وطوى أهلُها بِساطَ الإقامه[1]

طوَّفت بالمدينتين المنايا وأدارَ الردى على القوم جامَه[2]

لا ترى العينُ منهما أين جالت غيرَ نقضٍ[3] أو رِمّةٍ أو حُطامه[4]

حازمٌ من مراجل[5] الأرض قبرٌ في مدى الظن عمقُه ألفُ قامه

تحسبُ الميتَ في نواحيه يُعيي نفخةَ الصورِ أن تَلُمَّ عِظامه

أصبحوا في ذرا الحياة وأمسَوْا ذهبت ريحهم وشالوا نعامه[6]

ثِقْ بما شئتَ من زمانك إلا صحبةَ العيش أو جِوارَ السلامه

دولةُ الشرق وهي في ذروة العز تحار العيونُ فيها فخامه

خانها الجيشُ وهو في البر دِرعٌ والأساطيلُ وهي في البحر لامه[7]

لو تأملتها عشيَّةَ جاشت خِلتها في يد القضاء حمامه

رجّها رجّةً أكبَّت على قر نيه (بوذا) وزلزلتْ أقدامه

استعذنا بالله من ذلك السيـ ـل الذي يكسحُ البلادَ أمامه

من رأى جلمدًا يَهُبُّ هبوباً وحميمًا[8] يَسُحّ سحَّ الغمامه؟

ودخاناً يَلُفُّ جُنحًا بجنحٍ[9] لا ترى فيه مِقْصَمِيها اليمامه[10]

وهزيماً كما عوى الذئبُ في كلِّ مكانٍ وزمجر الضرغامه

***

أتت الأرضُ والسماء بطوفا نٍ يُنسّي طوفانَ نوحٍ وعامه

---

(١) أى ارتحلوا . (٢) الجام : الكأس . (٣) النقض : اسم البناء المنقوض .
(٤) الحطامة : ما تحطم من الشيء المحطوم أى ما انكسر منه . (٥) مراجل : جمع مرجل وهو القدر من الحجارة والنحاس . (٦) أى ارتحلوا وتفرقوا
(٧) اللامة : الدرع . (٨) الحميم : الماء الحار . (٩) جنح الليل : طائفة منه .
(١٠) هى زرقاء اليمامة المشهورة بقوة البصر .

فترى البحرَ جُنَّ حتى أجاز(١) الـصبر واحتل موجُه أعلامه

مُزبداً ثائر الأُجاج كجيش قوّضَ العاصفُ الهبوبُ خيامه

فلكُ نوح تعوذُ منه بنوحٍ لو رأته وتستجير زمامه

قد تخيلتهم منابيلَ سحرٍ من قراع القضاء صَرْعى مُدامه

وتخيلتُ من تخاذُل منهم ظنّ ليلَ القيام ذاك ، فنامه

أبراكين تلك أم نزواتٌ(٢) من جراح قديمة مُلْتامه

تجد الأرضُ راحةً حيث سالت راحةَ الجسم من وراء الحِجامه(٣)

ما لها لا تضجّ مما أقلّت من فسادٍ وحُمّلت من ظُلامه

كلما لُبّست بأهل زمانٍ شهدت من زمانهم آثامه

ستوا بالأذى ضُرًا وبالشـر ولوعًا وبالدماء نَهَامه

لبّست هـذه الحياةُ علينا عالم الشر وحشَـه وأنامه

ذاك من مُؤنساته الظفرُ والنا بُ وهـذا سلاحه الصَمْصَامه

سَرّهُ من أسامةَ البَطْشُ والفتـكُ فسمّى وليـدَه بأسامه(٤)

لؤمت منهما الطباعُ ولكن ولدُ العاصيَيْن شرٌّ لأمه !(٥)

طَابَعُ البَرِيد

[العيد الفضى — ١٠ سبتمبر سنة ١٩٠٠ —
لطابع البوستة فى جنيف — سلام على لسان البريد]

أنا من خمسة وعشرين عاما لم أرِحْ فى رِضاكم الأقداما

أركبُ البحرَ تارةً وأجوبُ الـبَرَّ طورًا وأقطعُ الأيّاما

---

(١) أجاز الموضع : سلكه. (٢) نزوات : وثبات . (٣) الحجامة : الفصد .
(٤) أسامة : الأسد . (٥) العاصيين : آدم وحواء .

وُيُوافى النفوسَ منى رسولٌ ... لم يكن خائناً ولا نمَّاما
يَحمِلُ الغشَّ والنصيحةَ والبغضا ... ء والحُبَّ والرضى والملاما
ويَعِى ما تُسِرُّه من كلامٍ ... ويُؤدّى كما وعاهُ الكلاما
ولقد أضحكُ العَبوسَ بيومٍ ... فيه أبكى المُنعَّمَ البسّاما
وأهنِّئُ على النَّوى وأعزّى ... وأفيد الحرمانَ والإنعاما
وجزائى عن خدمتى ووَفائى ... ثمنٌ لا يُكلِّفُ الأقواما
رُبَّ عبدٍ قد اشترانى بمالٍ ... وغُلامٍ قد ساقَ منى غُلاما
عرفَ القومُ فى (جنيفا) محلّى ... وجزَوْنى عن خدمتى إكراما
جاملونى إذ تمَّ لى ربعُ قرنٍ ... مثلما جاملوا الملوكَ العِظاما
ويوبيلُ الملوكِ يلبث يوما ... ويوبيلى يدوم فى الناس عاما

الطَّيَّارُونَ الْفَرَنْسِيُّون

قُمْ (سليمانُ) بِساطُ الريح قاما ... مَلَكَ القومُ من الجوّ الزماما
حين ضاق البرُّ والبحرُ بهم ... أسرجوا الريحَ وساموها اللجاما[1]
صار ما كان لكم معجزةً ... آيةً للعلم آتاها الأناما
قدرةٌ كنتَ بها منفرداً ... أصبحت حِصَّةَ من جَدَّ اعتزاما
(عينُ شمس) قام فيها ماردٌ ... من عفاريتك يُدعى (شاتهاما)
يملأ الجوّ عزيفاً كلما ... ضرب الريحَ بسوطٍ والغماما
ملك الجوّ تليه عصبةٌ ... جمعتْ شهماً ونَدْباً وهماما[2]

---

(١) سام : من سام فلانا الأمر : كلفه إياه . (٢) الندب : الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب لأنه إذا ندب إليها خف لقضائها .

استوَوْا فوقَ «مناطيدهم» ما يُبالونَ حياةً أم حِماما
وقبورًا فى السموات العُلا نزلوا أم حُفُرات ورَغاما[١]
مطمئنين نفوسًا كلما عبَسَتْ كارثةٌ زادوا ابتساما
صهوةَ العزّ اعتلوْا تحسبهم جمعَ أملاكٍ على الخيلِ تَسامى
رفعوا «لولبها» فاندفعت هل رأيتَ الطيرَ قد زَفَّ وحاما[٢]
شال[٣] بالأذناب كلٌّ ورمى بجناحيه كما زُعْتَ النَّعاما
ذهبتْ تسمو فكانت أعْقُبا[٤] فنسوراً فصقوراً فحماما!
تنبرى فى زَرَق الأفق كما سبحَ الحوتُ بدأماء وعاما[٥]
بعضُها فى طلب البعض كما طارد «النَّسرُ» على الجوّ القَطاما[٦]
ويراها عالَمٌ فى زُحَلٍ[٧] أُرسلتْ من جانب الأرض سِهَاما
أو نجوماً ذات أذنابٍ بدت تُنذرُ الناسَ نُشورًا وقياما[٨]
أترى القوّة فى جُؤجُؤه[٩] وهو بالجؤجؤ ماضٍ يترامى؟
أم تراها فى الخوافى[١٠] خفيتْ أم مَقَرّ الحول[١١] فى بعض القُدامى[١٢]
أم ذُناباه إذا حرّكه يَزِنُ الجسم هبوطاً وقياما
أم بعينيه إذا ما جالتا تكشفان الجوّ غيثاً أم جَهاما[١٣]
أم بأظفارٍ إذا شبّكها نفذت فى الريح دَفْعًا واستلاما
أم أمدّته بروحٍ أمّه يومَ ألقته وما جاز الفِطاما

---

(١) الرغام : التراب . (٢) زف الطائر : رمى بنفسه أو بسط جناحيه .
(٣) شالت الناقة بذنبها : رفعته . (٤) أعقبا : جمع عقاب ، وهو طائر من الجوارح .
(٥) الدأماء : البحر . (٦) القطاما : الصقر . (٧) زحل : كوكب من الخنس سمى به لبعده وتنحيه . (٨) انشورا : من نشر الله الموتى : أحياهم . (٩) الجؤجؤ من الطائر : الصدر (١٠) الخوافى : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت وقيل هى الأربع اللواتى بعد المناكب . (١١) الحول : القوة والقدرة على التصرف (١٢) القدامى : جمع قادمة وهى عشر ريشات فى مقدم الجناح . (١٣) الجهام : السحاب لا ماء فيه .

فتلقاه أبٌ ، كم من أبٍ دونَه فى الناس بالولد اهتماما
فلــكىٌّ هـــو إلا أنه لم ينل فَهْماً ولم يُعطَ الكلاما
طِلْبةٌ قد رامهـــا آباؤُنا وابتغاها من رأى الدهرَ غلاما
أسقطت « إيكارَ » فى تجربة « وابنَ فِرْناس» فمااسطاعا قياما
فى سبيل المجد أودى نفرٌ شهداء العلم أعلامِ مقاما
خلفاء الرسل فى الأرض همُو يبعث الله بهم عاماً فعاما
قطرةٌ من دمهم فى ملكه تملأ الملك جمالاً ونظاما

* * *

رَبِّ إن كانت لخيرٍ جُعِلت . فاجعل الخيرَ بناديها لِزاما
وإن اعتزّ بها الشرُّ غداً فتعالت تُمطِرُ الموتَ الزؤاما
فاملأ الجوَّ عليهـــا رُجُما رحمةً منك وعدلاً وانتقاما

* * *

يا « فرنسا » لا عَدِمنا مِنَّنا لكِ عند العلمِ والفنِّ جِساما
لَطَفَ اللهُ « بباريسَ » ولا لقيتْ إلاّ نعيماً وســلاما
رَوّعت قلبي خُطوبٌ روّعت سامِرَ الأحياء فيهـا والنياما
أنا لا أدعو على « سين » طغى إنّ « للسين » وإن جار ذماما
لستُ بالناسي عليـــه عيشةً كانت الشُّهدَ وأحبـاباً كراما
اِجعلوها رُسلكم أهلَ الهوى تحملُ الأشواقَ عنكم والغراما
واستعيروها جناحاً طالمـا شَغَفَ الصَّبَّ وشاقَ المستهاما
يحمِلُ المُضنَى إلى أرض الهوى « يمناً » حلَّ هواه أم « شآما »

* * *

أركب الليثَ ولا أركبُها وأرى ليثَ الشرى أوفى ذِماما

غدرتْ « جيرونَ » لم تحفل به — وبما حاولَ من فوزٍ وراما

وقعتْ ناحيــةً فاحــترقت

مثل قُرص الشمس بالأفق اضطراما

راضها باليمنِ من طلعته — خيرُ من حجَّ ومن صلى وصاما

لخليــلِ الله فى حضرته — خَرَّتِ النَّارُ خشوعاً واحتراما

* * *

ما (لروحى) صاعداً مايلتهى ؟ — أتراه آثرَ الجوّ فراما ؟

كلمــا دار به دورَتَه — أبدت الريحُ امتثالاً وارتساما

أنا لو نلتُ الذى قد ناله — ماهَبَطْتُ الأرضَ أرضاها مُقاما

هل ترى فى الأرضِ إلا حسَدًا — ورياءً ونزاعًا وخصاما ؟

* * *

مُلكُ هــذا الجوّ فى منْعته — طالما للنجم والطير استقاما

حسد الإنسانُ سِرْبَيه[1] بما — أوتيا فى ذُروةِ العزّ اعتصاما

دخلَ العشُّ على « أنسُرهِ » — أترى يغشى من النجم السَّناما[2] ؟

أيها الشرق أنتبــهْ من غفلة — ماتَ مَن فى طُرُقاتِ السَّيلِ ناما

لا تقولنَّ عظاميٌّ أنا — فى زمانٍ كان للناس عِصاما

شاقت العلياءُ فيــه خَلفَنَا — ليس يألوها طِلاَبًا واغتناما

كلَّ حينٍ منهــمو نابغــةٌ — يفضُل البــدرَ بهاءً وتماما

* * *

خالقِ العُصفورِ حــيرتَ به — أمَمًا بادوا وما نالوا المراما

أفنَوا النَّقدَين فى تقليــده — وهو كالدِّرهم ريشًا وعِظاما

---

(١) السرب : القطيع من الظباء والنساء وغيرها . (٢) السنام : حدبة فى ظهر البعير .

وَصْفُ مَرْقَص

[وقال يصف «البال» الخديوى الذى أقيم سنة ١٩٠٣ بسراى عابدين]

طَالَ عليها القِدَمْ ... فهى وجودٌ عَدَمْ

قد وُئِدتْ فى الصِّبا[1] ... وٱنبعثتْ فى الهَرَمْ

بالغَ فِرعونُ فى ... كَرْمتِها من كَرَمْ

أهرقَ عُنْقودَها ... تَقْدِمَةً للصَّنَمْ

خَبَّأها كاهنٌ ... ناحيةً فى (الحَرَمْ)

أكتُشِفت فامَّحت[2] ... غيرَ شذًا[3] أو ضَرَمْ[4]

أو كخيالٍ لها ... بعد مَتابٍ ألَمّ[5]

نَمَّ بها دَنُّها ... وهى عليه أنَمّ

بى رَشَأٌ ناعمٌ[6] ... ما عرَف العُمرَ كَمْ

أخرجها اللهُ كالـ ... ـزهرة والحسنُ كِمّ[7]

تخطُر عن عادلٍ ... لم يُرَ إلا ظَلَمْ

تبسُم عن لؤلؤٍ ... قدَّره من قِسَمْ

كرَّمه فى النوى ... هذَّبه فى اليُتْمْ[8]

مضطَّهدٌ خصرُها ... جانبُه مُهتضَمْ

طاوعَ من صدرِها ... أىَّ قوىٍّ حكمْ

---

(١) وئدت : من وأد ابنته دفنها فى القبر وهى حية . (٢) امحى الشىء : ذهب أثره .
(٣) الشذا : قوة ذكاء الرائحة . (٤) الضرم : الاشتعال . (٥) أى كخيال الخمر إذا ألم بالتائب عنها . (٦) رشأ : الرشأ ولد الظبية الذى قد تحرك ومشى .
(٧) كم : غطاء النور . (٨) اليتم مصدر : يقال درة يتيمة أى ثمينة لا نظير لها .

حمّلَه ثِقلَه   ثم عليه ادّعم[1]

تسأل أترابَها   مؤمنةً بالعَنَم[2]

أىُّ فتى ذلك   مِنَ العربىّ العَلَم ؟

يَشربها ساهراً   ليلتَه لم يَنَم

قُلْنَ تجاهلتِه   ذلك ربُّ القلَم

شاعرُ مصر الذى   لو حَنِق النجمُ لم

قلتُ لها ليتَ لم   نُزَم ولم نُتَّهم

عاذلَتِي فى الطِّلى[3]   لو أنصفتْ لم ألَم

إن عَبَس العيشُ لى   عُذتُ بها فابتَسم

يَشربها كابر[4]   بين ضلوعى أشَمّ

يَبذلُ إلا النُّهى   يهتِك إلا الحُرَم

يُكسبها خُلقه   يَمزُجها بالشِّيم

يَمنعها حلمه   إن دفعتْه احتشم

تلك شموسُ الدّجى   أم ظَبيَاتُ الخِيَم

تقبِلُ فى موكب   شَقَّ سناه الظُّلَم

خِلت بأنواره   قُرِنَ ذُكاء نَجَم[5]

مقصِدُها سُدّةٌ   آل إليها العِظَم

حيث كبارُ المَلا   بعضُ صِغارِ الخدَم

قد وقفوا النُّهى   فانسَرَبت[6] من أَمَم[7]

---

(١) ادعم : ارتكز .   (٢) العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب .   (٣) الطلى : الخمر .   (٤) الكابر : الكبير . والكابر الرفيع الشأن والشرف .   (٥) ذكاء : الشمس .   (٦) انسربت : يقال انسرب الظبي إذا دخل فى سربه .   (٧) من أمم : أى من قريب .

تخطُر من جمعهم بين ليوثٍ بُهَم[1]
خارجةً من شَرَى داخلةً في أَجَم
ناعمةً لم تُرَعْ لاهيةً لم تَهِم
انتثرت لؤلؤًا في المُهَجات انتظم
تمرَح في مأمنٍ مثلَ حمامِ الحَرَم
مؤتلفٌ سِربُها حيث تلاقي التأم
مندفعاتٌ على مختلفاتِ النَّغَم
بين يدٍ في يدٍ أو قَدَمٍ في قَدَم
تذهب مشيَ القطا ترجع كرَّ النَّسم
تبعث أنَّى بدت ضوءَ جبين وفم
تُعْجِل خطوًا، تَني[2] فاتنةً بالرَّسَم[3]
تجمع من ذيلها تتركه لم يُلمّ
ترفُل في مَخْمَلٍ نَمٌ ولما يَنِم
تتبعُ إلا الهوى تَقْرَبُ إلا التُّهم
فاجتمعت فالتقتْ حول خِوانٍ نُظِم
منتِهبٍ كلما ظُنّ به النقص تَمّ
مائدةٌ مدَّها بحرُ نوالٍ خِضَم
تحسَبها صُوِّرت من شهوات النَّهِم
لم تُرَ في (بابل) ما عُهِدت في (إرَم)
(حاتِم) لو شامَها أقلع عما زَعَم

---

(١) بهم : واحدها بهمة وهو الشجاع . (٢) تني : تتأنى .
(٣) الرسم : حسن المشي .

(مَعْن) لو أتتابها	أدركَ معنى الكرم
أشبَهُ بالبحر لا	يخرجها مزدحم
قام لديها المـــلا	يبلغ ألفين ثَم
مقترحاً ما اشتهى	ملتقيـــاً ما رَسَم
لو طلَب الطيرَ من	أيكته ما احتَرم[1]
يا مليكا لم تضق	ســـاحته بالأمَم
تجمعُ أشرافَها	من عَرَب أو عجم
يخطُر مَنْ أمّهـــا	بين صنوف النِّعَم
سادةُ أفريقيــا	لُجّتهـــا والأكم
أنت رشيدُ العلى	فى المَلأين احتكم[2]
ليلتُكــم قدرُها	فوق غوالى القِيَم
مشرقةٌ ، مثلُهـا	فى زمن لم يَقُم
لا برح الصفوُ فى	ظِلّكــمو يُغتنم
ما شربوهـا وما	طال عليها القدَم

تُوت عَنْخ آمُون وَحَضَارَةُ عَصْرِه

دَرَجتْ على الكنزِ القرونْ	وأتت على الدّنّ السِّنونْ[3]
خيرُ السيوف مضى الزما	نُ عليه فى خيرِ الجفونْ[4]

---

(١) احترم الشىء : منعه .
(٢) الملأين : العرب والعجم .
(٣) الدن : باطية الخمر .
(٤) الجفون : الأغماد .

فى منزل كمحجَّب الـ غيب آستتر عن الظنون[1]
حتى أتى العلم الجسو رُ ففضَّ خاتمه المصون
والعلم (بدْرىٌّ)[2] أحـ لَّ لأهله ما يصنعون
هتك الحجالَ[3] على الحضا رةِ والخدورَ على الفنون
وآندسَّ كالمصباح فى حُفَرٍ من الأجداثِ جُون[4]
حُجَرٌ مُرَدَّةٌ[5] المعا قِلِ فى الثرى شُمُّ الحصون
لا تهتدى الريحُ الهبو بُ لها ولا الغيث الهتون
خانت أمانةَ جارِها والقبرُ كالدنيا يخون

* * *

يا آبن الثواقبِ من (رَعٍ) وآبن الزواهر من (أمونْ)[6]
نسبٌ عريقٌ فى الضحى بذَّ القبائلَ والبُطون
أرأيتَ كيف يؤوب من غَمْرِ القضاء المُغْرَقون ؟
وتدولُ آثارُ القرو ن على رَحَى الزمن الطَّحون ؟
حبُّ الخلودِ بنى لكم خُلُقًا به تتفرّدون
لم يأخذِ المتقدّمو ن به ولا المتأخّرون
حتى تسابقتم إلى الإ حسان فيما تعملون
لم تتركوه فى الجليـ لِ ولا الحقير من الشؤون
هذا القيامُ ، فقل لنا اليـ ومُ الأخيرُ متى يكون ؟
البعثُ غايةُ زائلٍ فانٍ وأنتم خالدون

---

(١) استتر : توارى . (٢) بدرى : نسبة إلى بدر ، وفى الأثر أن أهل بدر مغفورة لهم هفواتهم . (٣) الحجال : جمع حجلة وهو ستر العروس فى جوف البيت .
(٤) جون : سود . (٥) ممردة : مطولة . (٦) رع وأمون : معبودان مصريان قديمان .

السبق من عاداتكم . أترى القيامةَ تسبقون ؟
أنتم أساطين الحضا رةِ والبُناةُ المحسنون
المتقنون وإنما يُجزَى الخلودَ المتقنون

* * *

أنزلتَ حُفرةَ هالكٍ أم حجرةَ الملكِ المكين ؟
أم فى مكانٍ بينَ ذ لكَ يُدهش المتأمِّلين ؟
هو من قبور المتلَف ين ومن قصورِ المُترَفين
لم يبقَ غالٍ فى الحضا رةِ لم يَحزهُ ولا ثمين
ميتٌ تُحيط به الحيا ةُ ، زمانُه معه دفين
وذخائرٌ من أعصُرٍ ولّ تْ ومن دُنيا ودِين
حملَتْ على العَجَبِ الزما نَ وأهلَه المستكبِرين
فتلفّتت (باريسُ) تحْ سَبُ أنها صنعُ البنين

* * *

ذهبٌ ببطنِ الأرضِ لم تذهبْ بلمحتِه القرون
آستحدثتْ لك جَنْدَلاً وصفائحاً منه القُيُون[1]
ونَواوِسًا[2] وهَّاجةً لم يتَّخذها الهامدون
لو يفطُنُ الموتى لها سَرَحوا الأناملَ ينبشون
وتنازعوا الذهبَ الذى كانوا له يتفاتنون
أكفانُ وشيٍ فُصِّلتْ برقائق الذهب الفَتين[3]
قد لفَّها لفَّ الضما دِ مُحنِّطٌ آسٍ رَزين
وكأنهنَّ كمائم وكأنكَ الوردُ الجنين

---

(١) القيون : الصناع . (٢) نواوس : توابيت . (٣) الفتين : المحرق .

وبكلِّ رُكنٍ صورةٌ ... وبكل زاويةٍ رَقِين[1]
وترى الدُّمَى فتخالُها آنـ ... ـسَتْ على جَنبات زُون[2]
صوَرٌ تُريك تحرُّكا ... والأصلُ فى الصُّورِ السُّكون
وبمرِّ رائع صَمْتِها ... بالحسِّ كالنُّطقِ المُبين
صحِبَ الزمانَ دِهانُها ... حيناً عهيداً بعد حين[3]
غض على طول البِلى ... حى على طول المنون
خدعَ العيونَ ولم يَزلْ ... حتى تحدَّى اللَّامِسين
غلمانُ قصرك فى الرِّكا ... بِ يُناوِلونَ ويَطْرَدون[4]
والبوقُ يهتِفُ ، والسِّها ... مُ تَرِنُّ ، والقوسُ الحَنون
وكلابُ صيدِكَ لُهَّثٌ ... والخيلُ جُنَّ لها جُنون
والوحشُ تنفرُ فى السُّهو ... لِ وتارةً تَثِبُ الحُزُون
والطيرُ ترسُفُ فى الجِرا ... ح وفى مناقِرِها أنين
وكأنَّ آباءَ البريَّـ ... ـةِ فى المدائن مُحضَرون
وكأنَّ دولةَ (آل شمـ ... ـسٍ) من شِمالكَ واليَمين[5]

* * *

مِلكَ الملوكِ تحيَّةً ... وولاءُ مُحتفِظٍ أمين
هذا المقامُ عرفتُه ... وسبقتُ فيه القائلين
ووقفتُ فى آثاركم ... أزِنُ الجلالَ وأستَبين
وبنيتُ فى العشرينَ من ... أحجارِها شِعرى الرَّصين
سالتْ عيونُ قصائدى ... وجَرَى من الحجَرِ المَعين

(١) الرقين : الرقيم وهو الكتاب . (٢) الزون : معرض الأصنام . (٣) العهيد : القديم . (٤) يطردون : يزاولون الصيد . (٥) آل شمس : الفراعنة .

أقعدتُ جيلاً للهوى ... وأقمتُ جيلاً آخرين

كنتمْ خيالَ المجدِ يُرْ ... فعُ للشبابِ الطامحين

وكم استعرتُ جلالكم ... لمحمّـدٍ والمالكين[1]

تاجٌ تنقّلَ في الخيا ... لِ فما استقرّ على جَبين

خرَزاتُه السيفُ الصّقيـ ... ـلُ يَشُدُّه الرمحُ السّنين

* * *

قلْ لي: أحينَ بدَا الثّرَى ... لكَ، هل جزِعتَ على العَرين

آنستَ مُلْكاً ليس بالشّا ... كي السّلاحِ ولا الحَصين

البَرُّ مغلوبُ القَبا ... والبحرُ مَسْلوبُ السّفين

لما نظرتَ إلى الديا ... رِ صدَفتَ بالقلبِ الحزين[2]

لم تلقَ حولكَ غيرَ (كَرْ ... تَرَ) والنّطاسيِّ المُعين!

أقبلتَ من حُجُبِ الجلا ... لِ على قبيلٍ مُعرِضين

تاجُ الحضارة حين أشر ... قَ لم يجدْهم حافلين

واللهُ يعلمُ لم يرَوْ ... هُ من قرونٍ أربعين

* * *

قَسَمًا بمن يُحيي العظا ... مَ، ولا أزيدُكَ من يَمينْ

لو كانَ من سفرٍ إيا ... بُكَ أمسِ أو فتحٍ مُبين

أو كان بعثُكَ من دَبِيـ ... ـبِ الرُّوحِ أو نَبْضِ الوَتين

وطلعتَ من وادي الملو ... كِ عليكَ غارُ الفاتحين

الخيلُ حولكَ في الجِلا ... لِ المسجديّةِ يَنْثنين[3]

---

(١) الخديوي محمد توفيق الأول . (٢) صدفت : أعرضت .

(٣) الجلال : جمع جل وهو غطاء الفرس .

وعلى بجادِكَ هالتـــا ... نِ من القَنا والدَّارعـين
والجندُ يَدفعُ فى رِكا ... بكَ بالملوكِ مُصَفَّدين
لرأيتَ جيـــلاً غيرَ جيـ ... ـلِكَ بالجبابرِ لا يَدين
ورأيتَ محكومين قد ... نَصَبُوا وردُّوا الحاكمين
رُوحُ الزمانِ ونَظْمُه ... وسبيلُه فى الآخـرين
إن الزمانَ وأهلَه ... فَرَغا من الفردِ اللعين
فإذا رأيتَ مَشايخـا ... أو فِتيةً لك ساجدين
لاقِ الزمانَ تجدْهمو ... عن رَكبه مُتخلِّفين
هُمْ فى الأواخرِ مولِدًا ... وعقولُهم فى الأولين !

دِمَشْـــق

قم ناجِ جِلّقَ[1] وانْشُدْ رسمَ مَن بانوا
مشَتْ على الرَّسْمِ أحداثٌ وأزمانُ
هذا الأديمُ[2] كتاب لا كِفاءَ لهُ ... رَثُّ الصحائف باقٍ منه عُنوان
الدِّينُ والوَحْيُ والأخلاقُ طائفةٌ ... منه وسائره دنيا وبهتانُ
مافيه إنْ قُلِّبَتْ يوماً جواهرُهُ ... إلا قرائحُ مِنْ رَادٍ وأذهان[3]
بنو أُمَيَّةَ للأنباءِ ما فتحوا ... وللأحاديثِ ما سادوا وما دانُوا[4]
كانوا ملوكاً سَريرُ الشَّرقِ تحتَهمُ ... فهل سألتَ سَريرَ الغربِ ما كانوا
عالينَ كالشمسِ فى أطرافِ دولتها ... فى كل ناحيةٍ مُلكٌ وسلطان

---

(١) جلق : دمشق . (٢) الأديم : الأرض . (٣) الراد : الراديوم .
(٤) دانوا : ما غلبوا من الأمم وقهروا .

ياويحَ قلبيَ مهما انتاب أرسُمهم   سرَى به الهمُّ أو عادتهُ أشجان

بالأمس قمتُ على (الزهراء)[١] أندبُهم
والبومَ دمعي على (الفيحاء) هتَّان[٢]

في الأرض منهم سماواتٌ وألويةٌ   ونَيِّراتٌ وأنواءٌ وعِقْبان

معادنُ العزّ قد مال الرَّغامُ[٣] بهم   لو هان في تُرْبَةٍ الإبريزُ ماهانوا

لولا دمشقُ لمَا كانت (طُلَيطلةٌ)   ولا زَهَتْ ببني العباسِ بَغْدان[٤]

مَررتُ بالمسجدِ المحزونِ أسأله   هل في المصَلّى أو المحرابِ (مروان)

تغيَّرَ المسجدُ المحزون واختلفت   على المنابرِ أحرارٌ وعِبدان

فلا الأذان أذانٌ في منارته   إذا تعالى ولا الآذانُ آذان

***

آمنتُ بالله واستثنيتُ جنَّتَه   دمَشقُ رَوْح وجناتٌ وريحان

قال الرفاقُ وقد هبَّتْ خمائلُها   الأرضُ دارٌ لها (الفيحاء) بستان

جَرَى وصَفَّقَ يلقانا بها (بَرَدَى)[٥]   كما تلقَّاك دون الخلدِ رضوان

دخائلُها وحواشيها زُمُرُّدَةٌ   والشمسُ فوقَ لُجَينِ الماءِ عِقْيان[٦]

والحورُ في (دُمَّرٍ[٧]) أو حول (هامَتِها)
حُورٌ[٨] كواشفُ عن ساقٍ وولدان

و(ربوةُ) الوادِ في جِلبابِ راقصةٍ   الساقُ كاسيةٌ والنحرُ عُريان

والطير تصدح من خلف العيون بها   وللعيون كما للطير ألحان

---

(١) الزهراء: قصر خلفاء بني أمية بالأندلس. (٢) الفيحاء: دمشق. (٣) الرغام: التراب. (٤) بغدان: إحدى لغات كثيرة في بغداد. (٥) بردى: نهر دمشق.
(٦) العقيان: الذهب الخالص. (٧) دمر: ضاحية دمشق. (٨) الحور: شجر عظيم يشبه السرو.

وأقبلتْ بالنبات الأرضُ مختلفاً ... أفوافُه فهو أصباغٌ وألوان[1]

وقد صَفَى (بَرَدَى) للريح فابتَرَدت[2] ... لدى ستورٍ حواشيهن أفنان

ثم انثنت لم يزل عنها البلال[3] ولا ... جفّتْ من الماءِ أذيالٌ وأردان[4]

خلّفتُ (لُبنان) جناتِ النعيم وما ... نُبِّئتُ أن طريقَ الخلد لُبنان

حتى انحدرتُ إلى فيحاء وارفة ... فيها الندى وبها (طيٌّ) (وشيبان)[5]

نزلتُ فيها بفتيان[6] جَحَاجِحة ... آباؤهم في شباب الدهر غسّان[7]

بيضِ الأسِرَّة[8] باقٍ فيهمُ صَيَدٌ[9] ... من (عبد شمس)[10] وإن لم تبقَ تيجان

يافتيةَ الشام شكراً لا انقضاء له ... لو أن إحسانكم يجزيه شكران

ما فوق راحاتكم يوم السماح يدٌ ... ولا كأوطانكم في البشر أوطان

خميلةُ اللهِ وشَّتها يداه لكم ... فهل لها قَيِّمٌ منكم وجنّان[11]

شيدُوا لها الملكَ وابنوا ركنَ دولتها ... فالملك غرسٌ وتجديدٌ وبنيان

لو يُرجع الدهر مفقودًا له خطرٌ ... لآب بالواحد المبكىّ ثكلان

المُلكُ أن تعملوا ما استطعتمو عملا ... وأن يَبين على الأعمال إتقان

الملكُ أن تخرَجَ الأموال ناشطة ... لمطلب فيه إصلاح وعُمران

الملكُ تحت لسانٍ حوله أدبٌ ... وتحت عقل على جَنْبَيه عِرفان

---

(١) أفوافه : جمع فوف بالضم : نوع من الثياب والمراد هنا الزهر . (٢) ابتردت : اغتسلت . (٣) البلال : أى البلل . (٤) أردان : جمع ردن وهو الكم .

(٥) طي وشيبان : قبيلتا حاتم ومعن . (٦) جحاجح : جمع جحجح وهو السيد المسارع إلى المكارم . (٧) غسان : أبو قبيلة باليمن منهم ملوك غسان وكانوا ملوكا للشام .

(٨) الأسرة : الوجوه . (٩) الصيد : رفع الرأس كبرا . (١٠) عبد شمس : يعني بني أمية . (١١) جنان : بستاني .

الملكُ أن تتلاقوا فى هوى وطنٍ ... تفرقت فيه أجناس وأديان

***

نصيحة ملؤها الإخلاص صادقة ... والنصحُ خالصُه دينٌ وإيمان

والشعر مالم يكن ذكرى وعاطفة ... أو حكمة فهو تقطيع وأوزان

ونحن فى الشرق والفصحى بنو رحِمٍ ... ونحن فى الجُرح والآلام إخوان

أختُ أمينـــة

[وقال وقد رأى فى الفلك وهى ترجع به إلى مصر طفلة فيها من كريمته أمينة مشابهة]

هـذه نورُ السفينهْ ... هذه شِبْهُ (أمينهْ)

هذه صورتُها مُنْـ ... ـبئةٌ عنهـا مُبينه

هــــذه لؤلؤةٌ عنـ ... ـدى لها مثلُ ثمينه

من بناتِ الرومِ لكن ... لم تكن عندى مَهينه

أنا من يترك للديّـ ... ـان فى الدنيا شؤونه

يا ملاك الفُلك لى صنـ ... ـوك فى تلك المدينة[1]

أنت فى الفلك بهـاء ... وهو فى (حلوان) زينه

ناجه واذكر له وجـ ... ـدَ أبيـــه وحنينه

وأفِدْهُ أننى فى الـ ... ـبحر مذ دُسْتُ عرينه

لستُ بالنفس ضنينًا ... وبه نفسى ضنينـه

أسأل الرحمنَ يُرعيـ ... ـكَ وإياه عيـــونه

---

(١) الصنو : الأخ .

أندلسية

[نظمها فى منفاه بأسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز ويصف كثيراً من مشاهده ومعاهده]

يانائح (الطلح)[١] أشباهٌ عوادينا[٢] — نشجى لواديك أم نأسى لوادينا؟
ماذا تقصُّ علينا غيرَ أن يداً — قصَّتْ جناحك جالت فى حواشينا!
رمى بنا البينُ أيكاً غيرَ سامرِنا — أخا الغريب: وظِلّاً غير نادينا
كلٌ رمته النوى؛ ريشَ[٣] الفراق لنا — سهواً، وسُلّ عليك البين سِكّينا
إذا دعا الشوقُ لم تبرحْ بمُنْصَدِعٍ — من الجناحين عَيٍّ لا يلبِّينا
فإن يكُ الجنسُ يابن الطلح فرّقنا — إن المصائبَ يجمعن المُصابينا
لم تألُ ماءَك تَحناناً ولا ظمأً — ولا ادّكاراً[٤]، ولا شجواً أفانينا[٥]
تجرُّ من فَنَنٍ[٦] ساقاً إلى فننٍ — وتسحب الذيلَ ترتاد المؤاسينا
أساةُ[٧] جسمك شتّى حين تطلبهم — فمن لروحك بالنُّطْس[٨] المُداوينا!

* * *

آهاً لنا! نازِحَيْ أيكٍ[٩] بأندلس — وإن حللنا رفيفاً[١٠] من روابينا
رسمٌ وقفنا على رسم الوفاء له — نجيش بالدمع، والإجلالُ يَثنينا
لفتيةٍ لا تنال الأرضُ أدمُعَهم — ولا مَفارقَهم إلا مُصلّينا[١١]
لو لم يسودوا بدينٍ فيه مَنْبهة[١٢] — للناس كانت لهم أخلاقهم دينا

---

(١) الطلح: واد بظاهر اشبيليا كان ابن عباد شديد الولع به. (٢) عوادينا: عوادى الدهر: مصائبه. (٣) ريش: من راش السهم ألصق عليه الريش. (٤) ادكارا تذكارا. (٥) أفانين: أجناس. (٦) الفنن: الغصن المستقيم. (٧) الأساة: الأطباء. (٨) النطس: الأطباء الحذاق. (٩) الأيك: الشجر الكثيف الملتف. (١٠) الرفيف: الخصيب. (١١) يقصد بهم ملوك الأندلس. (١٢) منبهة: أى شرف ورفعة.

لم نسْرِ من حرَم إلا إلى حرم — كالخمر من (بابلٍ) سارت (لدارينا)[١]

لما نَبا الخلدُ نابت عنه نسختُه — تَماثل الورد (خِيريًّا) و (نَسْرِينا)[٢]

نَسقِي ثَراهمْ ثناء ، كلما نُثِرتْ — دموعُنا نُظِمتْ منها مراثينا

كادت عيون قوافينا تُحرِّكه — وكِدنَ يوقِظْنَ فى الترب السلاطينا

لكنّ مصرَ وإن أغضتْ على مِقَةٍ[٣] — عينٌ من الخُلْدِ بالكافور تَسقينا

على جوانبها رفّتْ تمائمُنا — وحول حافاتها قامت رواقينا[٤]

ملاعبٌ مَرِحتْ فيها مآرِبُنا — وأربُعٌ أنِستْ فيها أمانينا

ومطلَعٌ لسعودٍ من أواخرنا — ومَغْرِبٌ لجدودٍ من أوالينا[٥]

بِنّا فلم نخلُ من رَوْحٍ[٦] يُراوِحُنا — من برّ مصرَ وريحانٍ يُغاديِنا

كأمّ موسى، على اسم الله تكفُلُنا — وباسمه ذهبتْ فى اليمّ تُلقينا[٧]

ومصرُ كالكَرْمِ ذى الإحسان : فاكهةٌ

لحاضِرينَ وأكوابٌ لبادينا

***

يا سارىَ البرقِ يَرمى عن جوانحنا — بعد الهدوء ويَهمى عن مآقينا

لما ترقرق فى دمع السماء دماً — هاج البكا فخضَبْنا الأرضَ باكينا

الليلُ يشهد لم نَهتِكْ دياجيَه — على نيامٍ ولم نهتف بسالينا

والنجمُ لم يَرَنا إلا على قدمٍ — قيامَ ليلِ الهوى للعهد راعِينا

كزفرةٍ فى سماء الليل حائرةٍ — مما نُردِّد فيه حين يُضوينا

---

(١) بابل ودارينا : مدينتان مشهورتان بجودة الخمر . (٢) خيريا ونسرينا : نوعان من الزهر . (٣) المقة : المحبة . (٤) الرواقى : واحدها راقية وهى التى ترقى الصبى إذا كان به سحر . (٥) الجدود : الحظوظ . (٦) الروح : الرحمة والرزق .

(٧) شبه مصر حين ضاقت به على الرغم منها فركب البحر وخرج إلى المنفى كأم موسى عليه السلام حين ألقته فى اليم صبيا وسألت الله أن يكفله .

بالله إن جُبتَ ظلماء العُباب على ... نجائب النُّور محدوًّا (بجرينا)

تَرُدّ عنك يداه كلّ عادية ... إنسًا يَعِثْنَ فسادًا أو شياطينا

حتى حوتك سماء النيل عالية ... على الغيوث وإن كانت مَيامينا

وأحرزتكَ شُفُوف اللّازَوَرْد على ... وشْي الزبرجد من أفواف وادينا[1]

وحازكَ الريفُ أرجاء مؤرّجة ... ربَتْ خمائلَ واهتزّت بساتينا

فقفْ إلى النيل واهتف فى خمائله ... وانزل كما نزل الطَّلُّ الرياحينا

وآسِ ما باتَ يذوَى من منازِلنا ... بالحادثات ويَضوَى من مغانينا

***

ويا مُعطَّرَةَ الوادى سرَتْ سَحَرًا ... فطابَ كلُّ طَرُوحٍ من مرامينا

ذَكيّةَ الذيلِ لو خلنا غِلالتَها ... قيصَ يوسفَ لم نُحسَبْ مُغالينا

جَشِمتِ شوْكَ السُّرى حتى أتيتِ لنا ... بالوَرْدِ كُتْبًا وبالرَّيّا عناوينا

فلو جزيناكِ بالأرواح غاليةً ... عن طيبِ مَسْراكِ لم تنهض جَوازينا

هل من ذيولكِ مِسكيٌّ نُحمّلُه ... غرائبَ الشوق وَشْيًا من أمالينا

إلى الذين وجدنا وُدَّ غيرِهم ... دُنْيَا وودُّهمو الصافى هو الدينا

***

يا من نَغَارُ عليهم من ضمائرنا ... ومن مصون هواهم فى تناجينا

ناب الحنينُ إليكم فى خواطرنا ... عن الدلال عليكم فى أمانينا

جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا ... فى النائبات فلم يأخذ بأيدينا

وما غُلِبنا على دمعٍ ولا جَلَدٍ ... حتى أتتنا نواكم من صَياصِينا[2]

---

(١) الشفوف واحدها شف : الثوب الرقيق ، واللازورد : حجر صاف شفاف أزرق ، والأفواف : يريد بها الخائل . (١) الصياصى : الحصون وكل ما امتنع به .

ونابغيٍّ[1] كأنّ الحشرَ آخره ... تُميتُنا فيه ذكراكم وتُحيينا
نطوى دُجاه بجُرحٍ من فراقكمو ... يكاد فى غَلَس الأسحار يَطوينا
إذا رَسا النجمُ لم تَرْقأْ محاجرُنا ... حتى يزولَ ، ولم تهدأْ تراقينا
بتنا نقاسِى الدواهى من كواكبه ... حتى قعدنا بها : حَسْرَى تُقاسينا
يبدو النهارُ فيُخفيه تجلُّدُنا ... للشامتين ويأسُوه تأسِّينا

***

سَقيًا لعهدٍ كأكنافِ الرُّبَى رِقَةً[2] ... أنَّا ذهبنا وأعطافُ الصِّبا لِينا
إذ الزمانُ بنا غَيْناءُ زاهيةٌ ... تَرِفُّ أوقاتنا فيها رَياحينا
الوصلُ صافيةٌ ، والعيشُ ناغيةٌ ... والسعدُ حاشيةٌ ، والدهرُ ماشينا
والشمسُ تختال فى العِقْيان تَحْسَبها ... (بُلقيسَ) ترفُلُ فى وشىِ اليَمانينا
والنيلُ يُقبلُ كالدنيا إذا احتفلتْ ... لو كان فيها وفاءٌ للمُصافينا
والسعدُ لو دامَ ، والنُّعمَى لو اطَّرَدتْ ... والسيلُ لو عَفَّ ، والمِقدارُ لو دِينا
ألقى على الأرض حتى ردها ذَهَبًا ... ماءٌ لَمَسنا به الإكسيرَ أو طِينا
أعداه من يُمنه (التابوتُ) وارتسمت
على جوانبه الأنوارُ من سِينا
له مبالغُ ما فى الخُلْق من كَرَمٍ ... عهدُ الكرامِ وميثاقُ الوفِيِّينا
لم يَجْرِ للدهرِ إعذارٌ[3] ولا عُرُسٌ ... إلَّا بأيامِنا أو فى ليالينا
ولا حوى السعدُ أطغَى فى أعِنَّتِه ... منا جِيادًا ولا أرخَى ميادِينا
نحن اليواقيتُ خاضَ النارَ جوهرُنا ... ولم يهُن بيد التَّشتيت غالينا
ولا يحول لنا صِبْغٌ ولا خُلُقٌ ... إذا تلوَّن كالحِرباء شانِينا

---

(١) يريد به الليل الذى ملؤه الهم والأرق إشارة إلى قول النابغة :
كلينى لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطىء الكواكب
(٢) الرقة : النضرة . (٣) الإعذار : طعام يتخذ لسرور حادث .

لم تنزل الشمسُ ميزانًا ولا صعِدت ... في ملكها الضخم عرشًا مثل وادينا

ألم تُؤلَّه على حافاته ورأت ... عليه أبناءها الغُرَّ الميامينا ؟

إن غازلتْ شاطئيه في الضحى لبِسا ... خمائلَ السُّندسِ الموشيَّةِ الغِينا(١)

وبات كلُّ مُجاجٍ(٢) الوادِ من شجرٍ ... لوافظَ القزِّ بالخيطانِ ترمينا

وهذه الأرضُ من سهلٍ ومن جبلٍ ... قبل (القياصرِ) دِنّاها (فراعينا)

ولم يضع حجرًا بانٍ على حجرٍ ... في الأرض إلاّ على آثار بانينا

كأن أهرامَ مصرٍ حائطٌ نهضت ... به يدُ الدهر لا بنيانُ فانينا

إيوانُه الفخمُ من عُليا مقاصِرِه ... يُفني الملوكَ ولا يُبقي الأواوينا(٣)

كأنها ورمالا حولها التطمتْ ... سفينةٌ غرِقتْ إلاّ أساطينا(٤)

كأنها تحت لألاءِ الضُّحى ذهبًا ... كنوزُ (فرعونَ) غطّينَ الموازينا

***

أرضُ الأُبُوةِ والميلاد ، طيّبها ... مَرُّ الصِّبا في ذيولٍ من تصابينا

كانت محجّلةً ، فيها مواقفُنا ... غُرًّا مُسلسَلةَ المَجرى قوافينا

فآب من كُرَةِ الأيامِ لاعِبُنا ... وثاب من سِنَةِ الأحلامِ لاهينا

ولم نَدَع لليالي صافيًا ، فدَعَتْ ... (بأن نَغَصَّ فقال الدهرُ : آمينا)

لو استطعنا لخُضْنا الجوَّ صاعقةً ... والبرَّ نارَ وغًى ، والبحرَ غِسْلينا(٥)

سعيًا إلى مصرَ نقضي حقَّ ذاكرنا ... فيها إذا نَسِيَ الوافي وباكينا

كنزٌ (بحلوانَ) عند الله نطلبُه ... خيرَ الودائعِ من خيرِ المؤدّينا(٦)

لو غاب كلُّ عزيزٍ عنه غيبتَنا ... لم يأته الشوقُ إلاّ من نواحينا

إذا حملنا لمصرٍ أو له شَجَنًا ... لم ندرِ أيَّ هوى الأُمَّينِ شاجينا

---

(١) الغين : واحدها أغين : الخضر . (٢) المجاج : ما مجه الأرض من شجر وغيره أى ما تخرجه . (٣) جمع إيوان . (٤) الأساطين : واحدتها أسطوانة وهى السارية .
(٥) الغسلين : الصديد . (٦) إشارة إلى المرحومة والدة الناظم .

وَصْفُ الْغَوَّاصَة

ونكبة الباخرة لوزيتانيا

[قال فى حادثة نسف غواصة ألمانية للباخرة لوزيتانيا] :

رأيتُ على لوْح (الخيال[١]) يتيمة ... قضى يومَ (لوسيتانيا) أبَواها

فيالكَ من حاكٍ أمينٍ مصدّقٍ ... وإن هاج للنفس البكا وشَجاها

فوَاهاً عليها ذاقت اليُتْمَ طِفلةً ... وقُوّض رُكناها وذلّ صِباها

وليت الذى قاست من الموت ساعةً ... كما راح يَطْوى الوالدَيْن طواها

كفرخٍ رمى الرامى أباهُ فغالهُ ... فقامتْ إليه أمُّهُ فرماها

فلا أبَ يَسْتَذْرِى[٢] بظلّ جناحه ... ولا أمّ يَبغى ظِلّها وذَراها[٣]

ودبّابةٍ[٤] تحت العُباب بمكْمَنٍ ... أمينٍ ترى السارى وليس يَراها

هى الحوتُ أو فى الحوت منها مشابهٌ ... فلو كان فولاذاً لكان أخاها

أبثّ لأصحابِ السّفين غوائلا ... وألأمُ نابا حين تَفْغَرُ فاها

خؤونٌ إذا غاصتْ ، غَدورٌ ، إذا طفَت ... مُلعَنــةٌ فى سَبْحِها وسُراها

تُبيّت[٥] سُفنَ الأبرياء من الوغى ... وتجنى على من لا يخوض رَحاها

فلو أدركت تابوتَ موسى اسلّطتْ ... عليه زُبَاناها[٦] . وحَرّ حَمَاها

ولو لم تغيّبْ فُلكُ نوحٍ وتحتجب ... لما أمِنت مقذوفَها ولَظاها

فلا كان بانيها ولا كان ركْبُها ... ولا كان بحرٌ ضمّها وحواها

وأفّ على العلم الذى تدّعونه ... إذا كان فى علم النفوس رَدَاها

---

(١) الخيال : السينماتوغراف . (٢) يستذرى : يستظل . (٣) الذرى بالفتح : الفناء . (٤) الدبابة : يعنى بها الغواصة . (٥) يقال : بيت العدو إذا أوقع به ليلا من دون أن يعلم . (٦) زبانا العقرب : قرناها .

جِسْرُ البُسْفُور

[هذه القصيدة اهتم بها المغفور له السلطان عبد الحميد وطلبها وقرأها باهتمام]

أميرَ المؤمنين رأيتُ جسراً ... أمرُّ على الصراطِ ولا عليْهِ

له خشبٌ يجوع السوسُ فيه ... وتمْضى الفأرُ لاتأوى إليه

ولا يتكلّفُ المنشار فيه ... سوى مَرّ القَطيم بساعديه

وكم قد جاهد الحيوانُ فيه ... وخلَّف فى الهزيمةِ حافِرَيه

وأسمجُ منه فى عينى جُباةٌ(١) ... تراهم وَسْــطَه وبجانبيه

إذا لاقيتَ واحدهم تَصدّى ... كعفريت يشير براحتَيْه

ويمشى (الصدْرُ(٢)) فيه كلَّ يوم ... بموكِبه السَنىّ وحارسيه

ولكن لا يمرُّ عليه إلا ... كما مرّت يداه بعارِضيه

ومن عجبٍ هو الجسرُ المعلّ ... على البسفور يجمع شاطئيه

يُفيد حكومة السلطان مالا ... ويُعطيها الغنى من مَعْدِنيه

يجود المالُكون عليه، هذا ... بعَشرته وذاك بعَشرتيه

وغايةُ أمره أنا سمعنا ... لسانَ الحال يُنشدنا لديه

(أليس من العجائب أنّ مثلى ... يرى ما قلّ مُمتنِعاً عليه)

(وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شىءٌ فى يديه)

---

(١) جباة: جمع جابي وهو المحصل. (٢) يريد به الصدر الأعظم — وهو كبير الوزراء.

كتاب بعث به إلى المرحوم حسين واصف باشا يستهديه لكرمة ابن هانى بالمطرية شجيرات وكان مشهوراً باقتناء الرياحين والعناية بتربيتها :

إلى حسينٍ حاكمِ القنالِ ... مثالِ حسن الخُلْق فى الرّجال

أُهدي سلاما طيِّبا كخُلْقهِ ... مع احترامٍ هو بعضُ حقِّه

واحفظ العهدَ له على النوى ... والصدقَ فى الودّ له وفى الهوى

وبَعْدُ فالمعروفُ بين الصَّحبِ ... أنّ التهادى من دواعى الحُبِّ

وعندك الزّهر وعندى الشِّعرُ ... كلاهما فيما يقال نَدرُ

وقد سَمِعتُ عنك من ثقاتِ ... أنك أنتَ مَلِكُ النّباتِ

زهرُك ليس للزهور رَوْنقُه ... تكاد من فرطِ اعتناء تخلُقه

ما نظرتْ مثلكَ عينُ النرجسِ ... بعد ملوك الظّرف فى الأندلسِ

ولى من الحدائق الغنّاء ... روضٌ على (المَطرية) الفيحاء

أتيتُ أستهدى لها وأسألُ ... وأرتضى النّزرَ ولا أُثقّلُ

عشرَ شُجيراتٍ من النوالى ... تَنْدُر إلا فى رياض الوالى

تزكو وتزهو فى الشتا والصيفِ ... وتجمع الألوانَ مثلَ الطّيفِ

تُرسِلها مُؤمَّناً عليها ... إن هلكتْ لى الحقُّ فى مِثلَيها

والحق فى الخرطوم أيضا حقّى ... والدرسُ للخادم كيف يَسقِى

وبعد هذا لى عليك زَوْرَهْ ... لكى تدور حول روضى دَوْرَهْ

فإن فعلتَ فالقوافى تفعلُ ... ما هو من فعل الزهور أجملُ

فما رأيتُ فى حياتى أزْيَنا ... للمرء بين الناس من حُسْن الثّنا

باب النسيب

خدعوها

خدعوها بقولهم حسناء	والغواني يغرّهنّ الثناء
أتراها تناست اسميَ لما	كثرت في غرامها الأسماء
إن رأتني تميل عني كأن لم	تكُ بيني وبينها أشياء !
نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ	فكلامٌ فموعدٌ فلقاء
يومَ كنا ولا تَسل كيف كنا	نتهادى من الهوى ما نشاء
وعلينا من العَفافِ رقيبٌ	تعِبَتْ في مِراسه الأهواء
جاذبتني ثوبي العصيّ وقالت	أنتم الناسُ أيها الشعراء
فاتقوا الله في قلوب العذارى	فالعذارى قلوبهنّ هواء

أخذ البيت الرابع فزاد عليه قوله :

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ	فكلامٌ فموعد فلقاء
ففراقٌ يكون فيه دواءٌ	أو فراق يكون منه الداء

وقال :

لا الشّهد يَطويه ولا الإغضاء	ليلٌ عِدادَ نجومه رُقباء
داجي عُبابِ الجُنح فوضى فُلكُه	ما للهموم ولا لها إرْساء
أغزالةَ الإشراق أنتِ من الدُّجى	ومن السهادِ إذا طلعت شِفاء
رفقاً بجفنٍ كلما أبكيتِه	سال العقيق[1] به وقام الماء

---

(١) العقيق : كناية عن الدم .

مامدّ هُدبَيْه ليصطاد الكَرَى إلا وطيفُك فى الكرى العنقاء
مَن لى بهنّ لياليا نَهِلَ[1] الصّبا مما أفضنَ وَعلَّت[2] الأهواء
ألفّنَ أوطارى فعَيْشِىَ والمُنى فى ظلِّهِنّ الكأسُ والصهباء

وقال :

سُوَيْجِعَ النيل رفقًا بالسويداء فما تُطيق أنينَ المفردِ النائى[3]
لله وادٍ كما يهوى الهوى عجبٌ تركتَ كلَّ خلىٍّ فيه ذا داء
وأنتَ فى الأسر تشكو ما تكابده لصخرة من بنى الأعجام صمّاء
اللهَ فى فَنَنٍ تلهو الزمانَ به فإنما هو مشدودٌ بأحشائى
وفى جوانحك اللاتى سَمَحْتَ بها فلو ترفّقت لم تسمح بأعضائى
ماذا تريد بذى الأنّات فى سهرى هذى جفونىَ تسقى عهد إغفائى
حسبُ المضاجع منى ما تعالج من جنبى ومن كبدٍ فى الجنب حَرّاء
أمسى وأصبح من نجواك فى كلَفٍ حتى ليعشق نطقى فيك إصغائى
الليلُ يُنهضنى من حيث يُقعدنى والنجم يملأ لى والفكرُ صهبائى
آتى الكواكبَ لم أنقل لها قدمًا لا ينقضى سهرى فيها وإسرائى
وألحظ الأرض أطوى ما يكون إلى ما كان من آدم فيها وحواء
مؤيدًا بك فى حِلِّى ومُرْتَحلى وما هما غير إصباحى وإمسائى
توحى إلىّ الذى تُوحى وتسمع لى وفى سماعك بعد الوحى إغرائى

وقال أبو نواس :

ياويح أهلىَ أبلى بين أعينهم على الفراشِ ولا يدرُون ماداءى

(١) نهل ، من نهلت الإبل:شربت أول الشرب .
(٢) علت : من عل الرجل شرب شربة ثانية .
(٣) سويجع : تصغير ساجع والسويداء : حبة القلب .

وطلب إليه تشطير هذا البيت فقال :

يا ويح أهــلىَ أبلىَ بين أعينهم	ويَدرُجُ الموتُ فى جسمى وأعضائى
وينظرون لجنب لا هدوء له	على الفراشِ ولا يدرون ما دائى

وقال :

منــك يا هاجرُ دائى	وبكفّيك دوائى
يا مُنى روحى ودُنيا	ى وسُؤْلى ورَجائى
أنتَ إن شئتَ نعيمى	وإذا شئتَ شقائى
ليس من عمرىَ يومٌ	لا ترى فيه لِقائى
وحياتى فى التّــدانى	ومماتى فى التنائى
نَمّ على نسيان سُهدى	فيك وآضحك من بكائى
كلُّ ما ترضاه يامو	لاى يَرضاه وَلائى
وكما تعلم حبى	وكما تدرى وفائى
فيك يا راحةَ روحى	طال بالواشى عَنائى
وتواريتُ بدمعى	عن عيونِ الرُّقباء
أنا أهواك ولا أرْ	ضَى الهوى مِن شركائى
غِرتُ حتى لترى أر	ضِىَ غيْرَى من سمائى
ليتنى كنتُ رداءً	لك أو كنتَ ردائى
ليتنى ماؤك فى الغُـ	لّةِ أوليتَــك مائى

وقال :

لقد لامنى ياهندُ فى الحب لائم	محب إذا عُدّ الصّحابُ حبيبُ
فما هو بالواشى على مذهب الهوى	ولا هو فى شَرع الوداد مُريب

وصفتُ له من أنت ثم جرى لنا — حديثٌ يهمّ العاشقينَ عجيب
وقلت له صبراً فكلُّ أخي هوًى — على يدِ مَن يهوى غداً سيتوب

وقال :

على قدرِ الهوى يأتي العِتابُ — ومَن عاتبتُ يَفْديه الصِّحابُ
ألومُ معذِّبي فألومُ نفسي — فأُغضِبها ويُرضيها العذاب
ولو أنى استطعتُ لتبتُ عنه — ولكن كيف عن روحي المتاب
ولي قلبٌ بأن يهوى يُجازَى — ومالِكُه بأن يَجني يُثاب
ولو وُجِدَ العِقابُ فعلت لكن — نِفارُ الظبيِ ليس له عقاب
يلوم اللائمون وما رأوه — وقِدماً ضاع في الناس الصَّواب
صحوتُ فأنكر السُّلوانَ قلبي — عليَّ وراجع الطربَ الشباب
كأنّ يدَ الغرامِ زِمامُ قلبي — فليس عليه دون هوًى حِجاب
كأنّ روايةَ الأشواقِ عَوْدٌ — على بَدءٍ وما كمُل الكتاب
كأني والهوى أخَوا مُدامٍ — لنا عهدٌ بها ولنا اصطحاب
إذا ما اعتضتُ عن عشقٍ بعشقٍ — أُعِيدَ العهدُ وامتدّ الشَّراب

وقال :

أريد سلوّكم والقلبُ يأبى — وأعتِبكم وملءُ النفس عُتبى
وأهجرُكم فيهجرُني رُقادي — ويضويني الظلامُ أسًى وكَرْبا[1]
أذكركم برؤيةِ كلّ حسنٍ — فيصبو ناظري والقلبُ أصبى[2]
وأشكو من عذابي في هواكم — وأجزيكم عن التعذيب حُبّا
وأعلم أن دأبَكم جفائي — فما بالي جعلتُ الحبَّ دأبا

---

(١) يضويني : يضعفني . من أضواه الأمر : أضعفه . (٢) والقلب أصبى : أي أشد صبوة .

وَرُبَّ معاتَبٍ كالعيش يُشكى ... وملءُ النفس منه هوى وعُتْبى
أتجزيني عن الزُّلْفى نِفاراً ؟ ... عتبْتك بالهوى وكفاك عَتبا
فكلُّ ملاحةٍ فى الناس ذنبٌ ... إذا عُـدّ النِّفارُ عليكَ ذنبا
أخذتُ هواكَ عن عيني وقلبي ... فعيني قد دعت والقلب لَبّى
وأنتَ من المحاسن فى مِثالٍ ... فديتُكَ قالَباً فيه وقَلبا
أحبك حين تَثْني الجيدَ تِيهاً ... وأخشى أن يصير التيهُ دأبا
وقالوا فى البديلِ رضاً ورَوح ... لقدرمتُ البديلَ فرمتُ صعبا
وراجعتُ الرشادَ عساى أسلو ... فما بالى مع السلوان أصبى
إذا ما الكأس لم تُذهِب همومى ... فقد تبّت يدُ الساقى وتبّا
على أنى أعفُّ مَن احتساها ... وأكرمُ من عَذارى الدير شُرْبا
ولى نفسٌ أُرَوِّيها فتزكو ... كزهر الورد نَدَّوه فهبّا

وقال :

رَوّعوه فتـولّى مُغْضَبا ... أعلمتم كيف ترتاعُ الظِّبا
خُلِقت لاهيـةً ناعمـةً ... ربما روّعها مرُّ الصَّبا
لى حبيبٌ كلما قيل له ... صدّق القول وزكّى الرِّيبا
كذَب العُذّال فيما زعموا ... أمَـلى فى فاتنى ما كذَبا
لو رأوْنا والهـوى ثالثُنا ... والدّجى يُرخى علينا الحُجبا
فى جِوارِ الليل فى ذمّته ... نذكر الصبحَ بأن لا يقرُبا
مِلءُ بُردَيْنا عَفافٌ وهوًى ... حفِظَ الحسنَ وصنتُ الأدبا
يا غزالاً أهلُ[1] القلبُ به ... قلبيَ السفح وأحنى مَلْعبا

---

(١) أهل به : عمر .

لك ما أحببتَ من حَبته — مَنهلاً عَذبا ومرعًى طيّبا
هو عند المالك الأولى به — كَيف أشكو أنه قد سُلِبا
إن رأى أبقَى على مملوكه — أو رأى أتلفَه واحتسبا
لك قدٌ سجدَ البانُ له — وتمنّت لو أقلّته الرُّبى
ولحاظٌ من معانى سحرِه — جمع الجفنُ سهاما وظُبى[١]
كان عن هذا لقلبي غُنيةٌ — ما لقلبي والهوى بعد الصبا
فِطرتى لا آخذ القلبَ بها — خُلِق الشاعرُ سَمْحاً طَرِبا
لو جلَوْا حسنَك أو غنَّوْا به — « لِلَبيد » فى الثمانين صَبا[٢]
أيها النفسُ تجدّين سُدًى — هل رأيتِ العيشَ إلا لعِبا
جرّبى الدنيا تهُنْ عندكِ ما — أهونَ الدنيا على من جرّبا
نلتِ فى ما نلتُ من مظهرها — ومُنحتِ الخلدَ ذكرا ونَبا

وقال والمعنى لشاعرٍ تركى :

ما تلكَ أهدابى تنظّـم بينها الدمعُ السكوبْ
بل تلك سُبحةُ لؤلؤٍ — تحصى عليكَ بها الذنوب

وقال :

لا والقوامِ الذى والأعين اللّاتى — ما خُنتُ ربَّ القنا والمَشرفيّاتِ
ولا سلوتُ ولم أهمُم ولا خطرت — بالبالِ سلواك فى ماضٍ ولا آتِ
وخاتَمُ الملكِ للحاجات مطّلبٌ — وثغرك المتمنّى كلُّ حاجاتى

---

(١) الظبى : جمع ظبة وهى حد السيف . (٢) هو لبيد بن ربيعة الشاعر الذى قال حين بلغ الثمانين وقد شكا ثقل السمع وتهدم الشيخوخة :

إن الثمانين وبلغتها — قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

وقال :

لحظها لحظها، رويدًا رويدا ... كم إلى كم تكيدُ للروح كيدا
كُفَّ أو لا تكُفَّ إن بجنبي ... لسهامًا أرسلتَها لن تُردّا
تصلُ الضربَ ما أرى لك حدًّا ... فاتقِ الله والتزمْ لك حدّا
أو فصُغ لي من الحجارة قلبًا ... ثم صُغ لي من الحدائد كِبدا
واكْفُفِ جفنيَّ دافقًا ليس يرقا ... واكفف جَنبيَّ خافقًا ليس يهدا
فمن الغبن أن يصير وعيدًا ... ما قطعتُ الزمانَ أرجوه وعدا

وقال :

الرشدُ أجمل سيرة يا أحمدُ ... ودُّ الغواني من شبابِكَ أبعد
قد كان فيك لودِّهن بقيةٌ ... واليومَ أوشكتِ البقيةُ تنفَد
« هاروت » شعركَ بعد « ماروت » الصبا
أعيا وفارقه الخليلُ المُسعِد
لما سمعنكَ قلن شعرٌ أمردٌ ... يا ليت قائلَهُ الطَّريرُ الأمرَد
ما للنَّواهي الناعماتِ وشاعرٍ ... جعل النسيبَ حبالةً يتصيَّد
ولكم جمعتَ قلوبَهن على الهوى ... وخدعتَ من قطعت ومن تتودّد
وسخِرتَ من واشٍ وكدتَ لعاذلٍ ... واليومَ تنشُدُ من يَشي ويفنِّد
أئذا وجدتَ الغيد ألهاكَ الهوى ... وإذا وجدتَ الشعرَ عزَّ الأغيد

وقال :

إن الوشاةَ وإن لم أُحصِهم عددا ... تعلموا الكيدَ من عينيك والفَنَدا[1]

---

(١) الفند : الكذب وكفر النعمة .

لا أخلفَ الله ظنى فى نواظرِهم ماذا رأت بىَ مما يبعثُ الحسدا!

هم أغضبوكَ فراح القَدُّ منثنيا والجَفنُ منكسرًا والخد متّقدا!

وصادفوا أذنًا صَغْوَاءَ ليِّنَةً فأسمعوها الذى لم يُسمعوا أحدا!

لولا احتراسىَ من عينيكَ قلتُ ألا فانظر بعينيك هل أبقيتَ لى جَلَدَا!

اللهَ فى مهجةٍ أيتمتَ واحدَها ظلمًا وما اتخذت غيرَ الهوى ولدا!

ورُوحِ صبٍّ أطالَ الحبُّ غُربَتَها يخافُ إن رَجعت أن تُنكرَ الجسدا

دع المواعيدَ إنى متُّ من ظمأ وللمواعيد ماء لا يَبُلُّ صَدى

تدعو ومن لىَ أن أسعى بلا كبدٍ فمن مُعيرىَ من هذا الورى كبدا!

وقال:

بثثتُ شكواىَ فذابَ الجليدْ وأشفق الصخرُ ولان الحديدْ

وقلبُك القاسى على حاله هيهات بل قسوتُه لى تَزيد

وقال:

يمُدُّ الدُّجى فى لوعتى ويَزيدُ ويُبدئُ بَثِّىَ فى الهوى ويُعيدُ

إذا طال واستعصى فما هى ليلة ولكن ليالٍ مالهنّ عديدُ

أرِقتُ وعادتنى لذكرى أحبَّتى شجونٌ قيام بالضلوع قعودُ

ومن يحمِل الأشواقَ يتعبْ ويختلف

عليهِ قديمٌ فى الهوى وجديد

لقيتَ الذى لم يلقَ قلبٌ من الهوى

لك اللهُ يا قلبى أأنت حديد

ولم أخلُ من وجد عليك ورقّة إذا حلّ غيدٌ أو ترحّل غيدُ

وروضٍ كما شاء المحبون ظِلُّهُ ... لهم ولأسرار الغرام مديدُ
تُظلِّلنا والطيرَ فى جنباته ... غصونٌ قيام للنسيم سجود
تَميل إلى مُضنَى الغرام وتارةً ... يعارضها مُضنَى الصَّبا فتحيد
مشى فى حواشيها الأصيلُ فذُهِّبت ... وماس عليها الحَلْيُ وهى تَميد
وقامت لديها الطيرُ شتى ، فآنسٌ ... بأهل ومفقودُ الأليف وحيد
وباكٍ ولا دمع وشاكٍ ولا جوى ... وجذلان يشدو فى الرُّبى ويُشيد
وذى كَبْرَةٍ لم يُعطَ بالدهر خِبرةً ... وعُريان كاسٍ تزدهيه مهود
غشيناه والأيامُ تندى شبيبةً ... ويقطر منها العيشُ وهو رغيد
رأت شَفَقاً يَنْعى النهار مضرَّجاً ... فقلت لها حتى النهارُ شهيد
فقالت وما بالطير : قلت سكينةٌ ... فما هى مما نبتغى ونَصيد
أُحِلَّ لنا الصيدان يوم الهوى مَهاً ... ويوم تُسَلّ المُرهَفات أُسودُ
يُحَطِّم رمحٌ دوننا ومهنَّدٌ ... ويقتلنا لحظٌ ويأسِر جيدُ
ونحكم حتى يَقبلَ الدهرُ حكمَنا ... ونحن لسلطان الغرام عبيد
أقول لأيام الصِّبا كلما نأت ... أما لك يا عهدَ الشباب مُعيد
وكيف نأت والأمسُ آخرُ عهدها ... لأمسٍ كباقى الغابرات عَهيدُ[1]
جزِعتُ فراعتنى من الشَّيب بَسمةٌ ... كأنى على دَرْب المَشيب (لبيد)
ومن عَبَث الدنيا وما عبثت سدًى ... شَبِبنا وشِبنا والزمانُ وليد

وقال :

هام الفؤادُ بشادنٍ ... ألِف الدَّلالَ على المَدَى
أبكى فيَضحكُ ثغرُه ... والكُمّ يفتحه النَّدى[2]

(١) العهيد : القديم . (١) الكم بكسر الكاف : الغلاف الذى ينشق عن الثمر .

وقال عن شاعر تركى :

للعاشقين رضاك والـْ	حسنى ولى هجرٌ وصَدُّ
ذكروا فكانوا سُبحةً	وأنا العلامةُ لا تُعَدّ

وقال :

فى مقلتيك مصارعُ الأكباد	اللهَ فى جنبٍ بغير عِماد
كانت له كَبِد لحاق بها الهوى	قُهرت وقد كانت من الأطواد
وإذا النفوسُ تطوّحت فى لذّة	كانت جنايتُها على الأجساد
نَشوى وما يُسقَيْن إلاّ راحتى	وَسْنى وما يطعمن غيرَ رُقادى
ضَعْفَى وكم أبلَيْن من ذى قوةٍ	مَرْضى وكم أفنيْن من عُوّادِ
يا قاتلَ اللهُ العيونَ فإنها	فى حَرِّ ما تَصْلى الضعيفُ البادى
قاتلن فى أجفانهنّ قلوبَنا	فصرَعنها وسَلِمن بالأغماد
وصَبَغن من دمِها الخدودَ تنَصُّلا	ولقين أربابَ الهوى بسواد

وقال :

قِفْ باللواحظ عند حدِّكْ	يكفيك فتنةُ نارِ خدِّكْ
وَاجْعَلْ لِغمْدك هدنةً	إن الحوادث ملءُ غِمدك
وصُنِ المحاسنَ عن قلو	بٍ لا يدَيْن لها بجُنْدك
نظرتْ إليك عن الفتو	رِ وما اتّقت سطوات حدِّك
أعلى رواياتِ القنا	ما كان نِسبتُه لقَدِّك
نال العواذلُ جَهْدَهم	وسمعتَ منهم فوق جهْدِك
نقلوا إليك مَقالةً	ما كان أكثرَها لعبدك

قسماً بما حمّلتني ... لحملت من وجدي وصدك
ما في السهام الكثر من ... جفنيك لكن سهم بُعدك

وقال:

مضناك جفاه مرقده ... وبكاه ورحّم عوّده
حيران القلب معذبه ... مقروح الجفن مسهّده
أودى حرقاً إلا رمقاً ... يبقيه عليك وتنفده
يستهوي الوُرقَ تأوّهه ... ويذيب الصخرَ تنهّده
ويناجي النجمَ ويتعبه ... ويقيم الليلَ ويقعده
ويعلّم كلّ مطوّقة ... شجناً في الدّوح تردّده
كم مدّ لطيفك من شَرَك ... وتأدّب لا يتصيّده
فعساك بغُمض مُسعِفُه ... ولعلّ خيالك مُسعِده
الحسن حلفتُ بيوسفه ... و(السورة) إنك مفرده
قد ودّ جمالك أو قبساً ... حوراء الخلد وأمرده
وتمنّت كلٌّ[1] مقطّعة ... يدَها لو تُبعث تشهده
جَحَدت عيناك زكيّ دمي ... أكذلك خدّك يجحده
قد عزّ شهودي إذ رمتا ... فأشرت لخدّك أشهده
وهممتُ بجيدك أشركه ... فأبى واستكبر أصيده
وهززتُ قوامك أعطفه ... فنبا وتمنّع أملده
سببٌ لرضاك أمهّده ... ما بال الخصر يعقّده

---

(١) يعني بكل مقطعة يدها الخ . . . صواحبات يوسف الصديق اللواتي ورد ذكرهن في السورة .

بينى فى الحب وبينك ما ... لا يَقـدِر واشٍ يُفسِده
ما بال العاذلِ يَفتح لى ... بابَ السُّلوان وأوصِده
ويقول تكاد تُجنُّ به ... فأقول وأوشِك أعْبُده
مولاى ورُوحى فى يده ... قد ضيَّعها سلِمتْ يده
ناقوسُ القلبِ يدُقّ لهُ ... وحنايا الأضلُع معبده
قسمًا بثنايا، لؤلؤها ... قَسَم الياقوت مُنَضَّدُهُ
ورضابٍ يوعد كوثرُهُ ... مقتولُ العشق ومُشْهَده
وبخالٍ كاد يحج لهُ ... لو كان يقبِّل أسوده
وقوامٍ يروى الغصن له ... نسبًا والرمح يفنِّده
وبخصرٍ أوهن من جلدى ... وعَوَادى الهجر تبدِّده
ماخنتُ هواكِ ولاخطرت ... سلوى بالقلب تبرِّده

وقال :

بالله يا نسماتِ النِّيل فى السَّحَرِ ... هل عندكن عن الأحباب من خَبَرِ
عرفتكن بعَرْف لا أكيِّفه ... لافى الغوالى ولافى النَّوْر والزَّهَر
من بعض مامسح الحُسن الوجوه به ... بين الجبين وبين الفَرْق والشَّعَر
فهل علِقتنّ أثناء السرى أرَجًا ... من الغدائر أو طيبًا من الطُّرَر
هِجْتُنّ لى لوعةً فى القلب كامنةً ... والجُرحُ إن تمترِضه نَسْمةٌ يَثُرِ
ذكرتُ مصرَ ومن أهوى ومجلسَنا ... على الجزيرة بين الجسر والنهر
واليومُ أشيبُ والآفاق مُذْهَبَةٌ ... والشمسُ مُصفرَّةٌ تجرى لمُنْحَدَر
والنخلُ متَّشِحٌ بالغيم تَحْسَبُهُ ... هِيفَ العرائس فى بِيضٍ من الأُزُرِ
وما شجانىَ إلا صوتُ ساقيةٍ ... تستقبل الليلَ بين النَّوْح والعِبَرِ

لم يترك الوجد منها غيرَ أضلُعها ... وغيرَ دَمعٍ كصوْبِ الغيثِ مُنهمِر
بخيلة بمآقيها فلو سُئلتْ ... جَفنَنا يُعين أخا الأشواق لم تُعِر
فى ليلةٍ من ليالى الدهر طيِّبةٍ ... محا بها كلَّ ذنب غير مُغتفَر
عفّت وعفّ الهوى فيها وفاز بها ... عَفُّ الإشارة والألفاظ والنَّظر
بتنا وباتت حنانا حولنا ورِضًا ... ثلاثةً بين سَمْع الحبّ والبصر
لا أكذبُ اللهَ كان النجمُ رابعنا ... لو يُذكر النجم بعد البدر فى خَبَر
وأنصفتنا فظُلمٌ أن نُجازيَها
شكوى من الطول أو شكوى من القِصَر
دع بعد رِيقَة من تَهوى ومنطقه ... ماقيل فى الكأس أوماقيل فى الوتر
ولا تُبالِ بكنزٍ بعد مَبْسِمه ... أغلى اليواقيت ماأُعطيت والدُّرَر
ولم يَرُعْنِيَ إلا قولُ عاذلةٍ ... ما بال أحمد لم يَحْلُم ولم يَقِر
هلا ترفع عن لهوٍ وعن لَعِبٍ ... إنّ الصغائرَ تُغرى النفسَ بالصِّغر
فقلت للمجد أشعارى مسيَّرةٌ ... وفى غوانى العلا لا فى المَها وطَرى
مصرُ العزيزة مالى لا أودّعها ... ودَاعَ محتفظٍ بالعهد مدَّكِرِ
خلّفتُ فيها القطا ما بين ذى زَغَبٍ ... وذى تمائم لم ينهض ولم يَطِرِ
أسلمتهم لعيون الله تحرُسهم ... وأسلَمونى لظلّ الله فى البشر

وقال :

عَرضوا الأمانَ على الخواطِرْ ... واستعرضوا السُّمْرَ الخواطِرْ (١)
فوقفتُ فى حذرٍ وبا ... بى القلبُ إلا أن يُخاطِر

(١) السمر : الرماح ، والخواطر . المهتزات ، يقال : خطر الرمح إذا اهتز ، وهى هنا كناية عن القدود .

يا قلب شأنك والهوى ... هذى الغصونُ وأنتَ طائر
إن التى صادتك تسـ ... ـعى بالقلوب لها النَّواظر
يا ثغرَها أمسيتُ كالـ ... ـغوَّاص أحلُم بالجواهر
يا لحظَها مَنْ أمُّها ... أو من أبوها فى الجآذِر
يا شعرَها لا تَسعَ فى ... هتكى فشأن الليل ساتر
يا قدَّها حتّام تغـ ... ـدو عاذلاً وتروح جائر
وبأىِّ ذنبٍ قد طعنـ ... ـتَ حشاىَ يا قدَّ الكبائر

وقال :

فى ذى الجفونِ صوارمُ الأقدار ... راعى البريةَ يا رَعاكِ البارى
وكفى الحياةُ لنا حوادثَ فافتِنى ... مَلأَ النجوم وعالَمَ الأقمار
ما أنتِ فى هذى الحلى إنسيَّة ... إن أنت إلا الشمسُ فى الأنوار
زهراء بالأُفق الذى من دونه ... وثبُ النّهى وتطاولُ الأفكار
تتهتّك الألبابُ خلفَ حجابها ... مهما طلعتِ فكيف بالأبصار
يا زينةَ الإصباح والإمساء بل ... يا رونقَ الآصال والأسحار
ماذا تحاول من تنائينا النّوى ... أنتِ الدُّنى وأنا الخيال السارى
ألقِ الضحى ألقاكِ ثمَّ من الدجى ... سُبُلٌ إليك خفيَّةُ الأغوار
وإذا أنستُ بوَحدتى فلأنها ... سببى إليك وسُلّمى ومَنارى
إيه.زمانى فى الهوى وزمانَها ... ما كنتما إلاَّ النميرَ الجارى
متسلسِلاً بين الصَّبابة والصِّبا ... مترقرِقًا بمسارح الأوطار
نظر الفراقُ إليكما فطواكما ... إن الفراقَ جهنم الأقدار

وقال :

لك أن تلومَ ولى من الأعذار ... إن الهوى قدَرٌ من الأقدار
ما كنتُ أسلم للعيون سلامتى ... وأبيحُ حادثةَ الغرام وقارى
وطَرٌ تعلَّقه الفؤادُ ويَنقضى ... والنفسُ ماضيةٌ مع الأوطار
يا قلبُ شأنَك لاأمُدُّك فى الهوى ... أبدًا ولا أدعوك للإقصار
أمرى وأمرُك فى الهوى بيد الهوى ... لو أنه بيدى فككتُ إسارى
جارِ الشبيبةَ وانتفع بجوارها ... قبل المشيبِ فما له من جار
مَثَلُ الحياة تُحَبّ فى عهد الصّبا ... مَثَلُ الرياض تُحَبُّ فى آذار[1]
أبداً (فَروق) من البلاد هى المُنى ... ومُناىَ منها ظبيةٌ بِسِوار
ممنوعةٌ إلا الجمالَ بأسْره ... محجوبةٌ إلا عن الأنظار
خطواتُها التّقوى فلا مَزْهُوّةٌ ... تمشى الدّلال ولا بذات نِفار
مرّت بنا فوق الخليج فأسفرت ... عن جَنّة وتلفّتت عن نار
فى نِسوةٍ يُورِدْن مَن شِئْن الهوى ... نَظَراً ولا ينظرن فى الإصدار
عارضتهُنّ وبين قلبى والهوى ... أمرٌ أحاول كَتْمَه وأدارى

٥

وقال :

«أتغلبنى ذاتُ الدّلال على صَبْرى»[2] ... إذَن أنا أولى بالقِناع وبالخِدْرِ
تَقِيَّةُ ولى حِلمٌ إذا ما ركِبْتُه ... رددتُ به أمرَ الغرام إلى أمرى
وما دَفْعِىَ اللُّوامَ فيها سآمةٌ ... ولكنّ نفسَ الحرّ أزجرُ للحرّ
وليلٍ كأنّ الحشرَ مَطْلعُ فجرِه ... تراءت دموعى فيه سابقةَ الفجر

---

(١) آذار : شهر مارس وهو أول فصل الربيع . (٢) هذا الشطر من المطلع للمرحوم محمود سامى باشا البارودى تقلبه ثم أمسك فأكمله الشاعر وأضاف إليه هذه الأبيات .

سريتُ به طيفاً إلى من أُحِبُّها ... وهل بالسُّهافى حُلّةِ السُّقمِ من نُكرِ
طرقتُ حِماها بعد ما هَبّ أهلُها ... أخوض غمارَ الظنّ والنَّظرِ الشَّزْرِ
فما راعنى إلا نساءٌ لقيتَنى ... يُبالغن فى زَجْرى ويُسرفن فى نَهْرى
يَقُلْن لِمن أهوى وآنَسْنَ رِيبةً ... نَرى حالة بين الصَّبابة والسّحر
إليكنّ جارات الحى عن مَلامتى ... وذَرْنَ قضاء الله فى خَلْقه يَجرى
وأحرَجنى دمعى فلما زجرتُه ... رددتُ قلوبَ العاذلات إلى العُذْر
فَساءلْنها ما اسمى فسمَّت فجئْنَنى ... يَقُلْن أماناً للعَذارى من الشّعر
فقلتُ أخاف اللهَ فيكن إننى ... وجدتُ مقال الهُجْر يُزرَى بأن يُزرِى
أخذتُ بحظ من هواها وبَيْنِها ... ومَنْ يَهْوَ يَعدِلْ فى الوصال وفى الهجر
إذا لم يكن للمرء عن عيشة غِنىً ... فلا بدّ من يُسْرٍ ولا بد من عُسْرِ
ومن يَخْبُر الدنيا ويَشربْ بكأسها ... يَجدْ مُرَّها فى الحلو والحُلْوَ فى المرّ
ومن كان يغزو بالتَّعِلاّت فقرَه ... فإنى وجدتُ الكَدَّ أقتلَ للفقر
ومن يَستعِن فى أمره غيرَ نفسه ... يَخُنْه الرفيقُ العوْنُ فى المسلك الوَعْر
ومن لم يُقِمْ سِتراً على عيب غيره ... يَعِشْ مستباحَ العِرض منهتك السّتر
ومن لم يُجمِّل بالتواضع فضلَه ... يَبِنْ فضلُه عنه ويَعْطَلْ من الفخر

وقال :

قلبٌ يذوب ومدمعٌ يَجْرى ... ياليلُ هل خَبرٌ عن الفجر
حالت نجومُك دون مطلعه ... لا تَبْتغى حِوَلاً ولا يسرى
وتطاولت جُنْحا فَخُيِّل لى ... أن الصباحَ رهينة الحشر
أرسيتَها وملكتَ مذهبَها ... بدُجُنّة كسريرة الدّهر
ظُلَمٌ تَجىء بها وتُرجِعها ... والموجُ مُنقلِبٌ إلى البحر

ليت الكرى (موسى) فيوردها (فرعون) هذا السهد والفكر

* * *

ولقــد أقول لهاتف سحرًا يبكى لغير نوًى ولا أسر

والروض أخرس غير وسوسة خفق الغصون وجرية الغدر

والطير ملء الأيك أروسها مثل الثمار بدت من السدر

ألقى الجناح وناء بالصدر ورنا بصفراوين كالتبر

كلم السهاد بيوت هدبهما وأقام بين رسومها الحمر

تهدا جوانحه فتحسبه من صنعة الأيدى أو السحر

وتثور فهو على الغصون يد علقت أناملها من الجمر

* * *

يا طير بث أخاك ما يجرى إنا كلانا موضع السر

بى مثل ما بك من جوًى ونوًى أنا فى الأنام وأنت فى القمر[1]

عبث الغرام بنا وروعنا أنا بالملام وأنت بالزجر

يا طير لا تجزع لحادثة كل النفوس رهائن الضر

فيما دهاك لو اطلعت رضًى شر أخف عليك من شر

يا طير كدر العيش لو تدرى فى صفوه والصفو فى الكدر

وإذا الأمور استصعبت صعبت ويهون ما هونت من أمر

يا طيــر لو لذنا بمصطبر فلعل روح الله فى الصبر

وعسى الأمانى العذاب لنا عون على السلوان والهجر

---

(١) القمر : جمع قرية وهى ضرب من الحمام .

وقال :

بَدَأَ الطيفُ بالجميـــل وزَارا ... يارسولَ الرِّضى وُقيت العِثارا
خذ من الجفن والفؤاد سبيلا ... وتَيمَّم من السُّـــويداء دارا
أنت إن بِتَّ في الجفون فأهلٌ ... عادةُ النُّور ينزل الأبصـــارا
زار والحرب بين جفني ونومى ... قد أعدّ الدُّجى لهـــا أوزارا
حسنٌ يا خيالُ صُنْعك عندى ... أجملُ الصُّنع ما يُصيب افتقارا
مالربِّ الجمـال جار على القلـ ... ـب كأن لم يكن له القلب جارا
وأرى القلبَ كلمـا ساء يجزيـ ... ـه عن الذنب رقَّةً واعتذارا
أجريحُ الغرامِ يطلب عطفا ... وجـريح الأنام يطلب ثارا
أيها العاذلون نِمتم ورام السـ ... ـهدُ من مقلتَىَّ أمراً فصارا
آفةُ النُّصح أن يكون لجاجًا ... وأذى النُّصح أن يكون جهارا
ساءلتْنى عن النهـار جفونى ... رحم اللهُ يا جفونى النهـــارا
قلن نَبكيه قلت هاتى دموعا ... قلْن صبراً فقلت هاتى اصطبارا
يا ليـــالىّ لم أجِدْكِ طِوالا ... بعد ليلى ولم أجِدْك قِصارا
إنَّ من يحمل الخطوبَ كِبارًا ... لا يُبـــالى بحملهن صِـــغارا
لم نُفِقْ منك يازمانُ فنشكو ... مُدمِنُ الخمر لا يُحسّ الخُمارا
فاصرِفِ الكأسَ مُشفِقاأوفواصِلْ ... خرج الرشدُ عن أكفّ السُّكارى

وقال :

أُبثُّكَ وجدى يا حمامُ وأُودِعُ ... فإنك دون الطيرِ للسرِّ موضعُ
وأنت مُعينُ العاشقين على الهوى ... تَئِنُّ فنُصغى أو تَحِنُّ فنَسمع
أراكَ يمـانيًّا ومصرُ خميلتى ... كلانا غريبٌ نازحُ الدار مُوجَع

هما اثنان دانٍ فى التغرب آمن ... وناء على قربٍ ، الديار مُروّع
ومن عجبِ الأشياء أبكى وأشتكى ... وأنت تُغنّى فى الغصون وتَسجع
لعلك تُخفى الوجدَ أو تكتمُ الجوى ... فقد تُمسك العينان والقلبُ يدمع
شجاكَ صغارٌ كالجمانِ وموطنٌ ... نَدٍ مثل أيام الحداثة مُمرِعُ
إذا كان فى الآجال طولٌ وفسحةٌ ... فما البينُ إلا حادثٌ متوقَّع
وما الأهلُ والأحبابُ إلا لآلئٌ ... تُفرّقها الأيامُ والسِّمطُ يجمع
أمُنكرَتى ، قلبى دليلى وشاهدى ... فلا تُنكريه فهو عندك مُودَع
أسيرُك لو يُفدى فَدتْه بجمعها ... جوانحُ فى شوقٍ إليه وأضلُع
رماه إليك الدهرُ من حالق الهوى ... يُذالُ على سفح الهوان ويُوضع
ومن عجبٍ يأسَى إذا قلت متعَبٌ ... ويطرَبُ إن قلتُ الأسيرُ المُمتّع
لقيتِ عليّا بالغوانى وإنما ... هو القلبُ كالإنسان يُغرَى ويُخدَع
وأعلم أن الغدرَ فى الناس شائعٌ ... وأن خليلَ الغانيات مُضيَّع
وأن نزاعَ الرشد والغىّ حالةٌ ... تجىء بأحلامِ الرجال وتَرْجِع
وأن أمانىَّ النفوس قواتلٌ ... وكثرتها من كثرة الزَّهر أصرَع
وأن دُعاة الخير والحقّ حربُهم ... زمانٌ بهم من عهد سُقراطَ مُولَع

وقال :

تأتى الدلالَ سجيّةً وتصنُّعا ... وأراك فى حالَىْ دلالك مُبدِعا
تهْ كيف شئتَ فما الجمالُ بحاكمٍ ... حتى يُطاعَ على الدلال ويُسمعا
لكَ أن يروعك الوشاة من الهوى ... وعلىّ أن أهوى الغزالَ مُروَّعا
قالوا لقد سَمِع الغزالُ لمن وَشى ... وأقول ما سَمِع الغزالُ ولا وَعى

أنا مَن يحبُّك فى نفارك مؤنسًا ... ويحب تيهَك فى نفارك مُطمعَا

قدمتُ بين يدىَّ أيامَ الهوى ... وجعلتُها أملاً عليك مُضَيَّعا

وصدقتُ فى حبِّى فلستُ مُباليًا ... أن أمنَحَ الدنيا به أو أمنَعا

يامَنْ جَرَى من مُقلتَيْه لىَ الهوى ... صِرفًا ودارَ بوجنَتيْه مُشَعْشَعَا[1]

اللهَ فى كبدٍ سقيتَ بأربَعٍ ... لو صبَّحوا (رَضْوَى) بها لتصدعا[2]

وقال :

رُدَّت الرُّوحُ على المُضْنَى معكْ ... أحسنُ الأيام يومٌ أرْجَعَكْ

مَرَّ من بُعدك ما رَوَّعَنى ... أتُرى يا حلو بُعدى رَوَّعك

كم شكوتُ البَيْن بالليل إلى ... مَطلع الفجر عسى أن يُطْلِعَك

وبعثتُ الشوقَ فى ريح الصَّبا ... فشكا الحُرْقةَ مما استودَعَك

يا نعيمى وعذابى فى الهوى ... بعذولى فى الهوى ما جَمَعَك

أنتَ رُوحى ظَلَم الواشى الذى ... زَعَم القلبَ سلا أو ضيَّعَك

موقعى عندك لا أعلمه ... آه لو تعلم عندى موقِعَك

أرجَفوا أنك شاكٍ مُوجَعٌ ... ليت لى فوق الضَّنا ما أوجَعَك

نامت الأعينُ إلاّ مقلةً ... تسكُبُ الدمعَ وتَرْعى مَضجَعَك

وقال مشطِّرا حيث اجتمع بعضُ الأدباء فى مجلس فذكر أحدهم بيتا للبَهاء زُهير وهو :

يقول أناسٌ لو وصفت لنا الهوى

فوالله ما أدرى الهوى كيف يُوصف

---

(١) مشعشعا : الشراب يمزج بالماء . (٢) رضوى : اسم جبل .

فقال :

يقول أُناسٌ لو وصفتَ لنـــا الهوى
لعلَّ الذى لا يَعْرِفُ الحبَّ يَعْرِفُ
فقلت لقـــد ذقتُ الهوى ثم ذقتهُ
فوالله ما أدرى الهوى كيف يوصف

وقال :

علّموه كيفَ يجفو لجفَا — ظالمٌ لاقيت منه ما كفى
مسرفٌ فى هجرِه ما ينتهى — أتُراهم علّمـــوه السَّرَفا ؟
جعـلوا ذنبي لديْهِ سَهَرِى — ليتَ يَدْرِى إذ دَرَى الذنبَ عفا
عرف الناسُ حقوقى عنده — وغريمى ما درى ما عَرَفا
صحَّ لى فى العُمرِ منه موعِدٌ — ثم ما صــدّقت حتى أخلفا
ويرى لى الصبرَ قلبٌ مادَرى — أنَّما كلفــنى ما كلفــا
مُسْتهامٌ فى هواه مدنَفٌ — يترضَّى مُستهامًا مُدْنَفَا
يا خليلىَّ صِفا لى حيـــلةً — وأرى الحيـلةَ أن لا تصِفا
أنا لو ناديتُـــه فى ذِلةٍ — هى ذى روحى فخُذها، ما اَحتفى

وقال :

جئتنا بالشعورِ والأحـداقِ — وقسمن الحظوظَ فى العُشّاقِ
وهززن القَنـا قدودًا فأبلى — كلُّ قلب مُسْتَضْعَفٍ خفّاقِ
حبذا القِسمُ فى المحبِّين قِسمى — لو يُلاقون فى الهوى ما أُلاقى
حيلتى فى الهوى وما أتمنّى — حيلةُ الأذكياء فى الأرزاق

لو يُجازى المحب عن فرط شوق ... لجزيت الكثيرَ عن أشواقى

وفتاةٍ ما زادها فى غريب الـ ... ـحسن إلا غرائب الأخلاق

ذقت منها حلواً ومرًّا وكانت ... لذّةُ العشق فى اختلاف المذاق

ضربت موعداً فلما التقينا ... جانبتنى تقول فيم التلاقى

قلت ما هكذا المواثيق قالت ... ليس للغانيات من ميثاق

عطّفتها تحرّقى وشجاها ... شافعٌ بادرٌ من الآماق

فأرتنى الهوى وقالت خشينا ... والهوى شُعبةٌ من الإشفاق

يافتاةَ العراقِ أكتم من أنـ ... ـت وأكنى عن حبّكم بالعراق

لى قوافٍ تعفّ فى الحب إلا ... عنك سارت جوائب الآفاق

لا أتمنى الزمان منها مزيداً ... إن تمنّيت أن تفكى وثاقى

حمّلينى فى الحب ماشئت إلا ... حادثَ الصدّ أو بلاء الفراق

واسمحى بالعناق إن رضى الدلُّ ... وسامحت فانياً فى العناق

وقال :

مُضنًى وليس به حَراكْ ... لكن يَخِفُّ إذا رآكْ

ويميل من طربٍ إذا ... مامِلْتَ ياغصنَ الأراك

إن الجمالَ كساك من ... ورَق المحاسن ما كساك

ونَبَتَّ بين جوانحى ... والقلبُ من دَمه سقاك

حُلوَ الوعود متى وفاك ... أتراكَ مُنجِزَها تُراك

من كل لفظ لو أذنـ ... ـت لأجله قبّلت فاك

أخذَ الحلاوةَ عن ثنا ... ياك العذاب وعن لماك

ظلماً أقول جنى الهوى ... لم يجنِ إلا مقلتاك
غدتا منيَّةَ من رأيـ ... ـت وروحت منيةَ من رآك

وقال :

فدَتْك الجوانحُ من نازلِ ... وأهلا بطيفكَ من واصلِ
بذلت له الجفنَ دون الكرى ... ومَنْ بالكرى للشجى الباذلِ
وقلت أراكَ برغم العذول ... فنابَ السُّهادُ عن العاذلِ
فويح المتيَّم حتى الخيال ... إذا زارَ لم يَخْلُ من حائلِ
تحنّ إليك ضلوعٌ عفت ... من البين فى جَسَدٍ ناحلِ
وقلبٌ جوٍ عندها خافقٌ ... تعلّق بالسند المائلِ
ومن عَبَثِ العشقِ بالعاشقين ... حنينُ القتيل إلى القاتلِ
غفَلت عن الكأسِ حتى طغت ... ولى أدبٌ ليس بالغافلِ
وشفَّت وما شفَّ منى الضميرُ ... وأين الجمادُ من العاقلِ
يَظلُّ نديمى يسقى بها ... ويشربُ من خُلُقِ الفاضلِ
أبدّدها كرماً كلما ... بدَتْ لىَ كالذهب السائلِ

وقال :

لامَ فيكم عذولُه وأطالا ... كمْ إلى كمْ يُعالج العُذّالا
كلَّ يوم لهم أحاديثُ لوْم ... بدأت راحةً وعادت مَلالا
بعثت ذكرَكم فجاءت خفافاً ... واقتضت هجرَكم فراحت ثقالا
أيها المُنكِرُ الغرامَ علينا ... حسبُكَ اللهُ قد جحدت الجمالا
آيةُ الحسن للقلوب تجلَّت ... كيف لا تعشق العيون امتثالا

لكَ نُصحى وماعليك جدالى ... آفة النُّصح أن يكون جدالا
وهب الرشد أنني أنا أسلو ... ما من العقل أن تَروم مُحالا

وقال :

بات المعنّى والدجى يبتلى ... والبَرْحُ لا وانٍ ولا مُنْجَلِى
والشُّهب فى كلّ سبيلٍ له ... بموقف اللوّام والعُـــذّل
إذا رعاها ساهياً ساهراً ... رعَيْنه بالحَدَق العُفَّـــل
ياليلُ قد جُزت ولم تَعْدِلِ ... ما أنت يا أسود إلا خَلِى
تالله لو حُكّمت فى الصبح أن ... تفعل أحجمت فـــلم تفعل
أو شِمت سيفاً فى جيوش الضُّحى ... ما كنت للأعداء ما أنتَ لى
أبيتُ أسقَى ويُدير الجوى ... والكأسُ لا تَفنى ولا تَمتلى
الخدّ من دمعى ومن فَيْضه ... يشرب من عينٍ ومن جَدْول
والشوقُ نارٌ فى رماد الأسى ... والفكرُ يُذكِى والحشا يَصْطَلى
والقلبُ قوّامٌ على أضلعى ... كأنه الناقوس فى الهيـكل

وقال :

أنا إن بذلت الروحَ كيف ألامُ ... لمـــا رمَتْ فأصابت الآرامُ
عمدَتْ إلى قلبى بسهمٍ نافذٍ ... فيـه لمحتومِ القضاء سهـــام
ياقلب لا تجزَع لحادثة الهوى ... واصبِر فما للحادثاتِ دَوام
عرَفت قلوبُ الناسِ قبلكَ ما الجوى ... وأذاقهـــا قدرٌ له أحـكام
تجرِى العقولُ بأهلها فإذا جرى ... كبَت العقولُ وزلّت الأحلام
ما كنتُ أعلمُ والحوادثُ جمّةٌ ... أن الحوادثَ مُقلةٌ وقَوام

جنيا على كبدى وما عرّضتُها كبدى عليك من البرىء سلام
ولقد أقولُ لمن يحثّ كؤوسَها قعدتْ كؤوسُك والهمومُ قيام
لم تجـــرِ بين جوانحى إلا كما جرَتِ الدنانُ بها وسال الجَام

وقال :

هل تيم البان فؤاد الحمام فناح فاستبكى جفون الغمام
أم شفه ما شـــفني فانثنى مبلبلَ البال شريدَ المنام
يهزه الأيك إلى إلفـــه هزَّ الفراش المدنفِ المستهام
وتوقد الذكـــرى بأحشائه جمراً من الشوق حثيثَ الضرام
كذلك العاشق عند الدجى يا للهوى ممـا يثير الظلام!
له إذا هب الجوى صرعة من دونها السحر وفعل المدام
يا عادى البين كفى قسوة روعت حتى مُهجات الحمام
تلك قلوب الطــيرِ حمّلتُها ما ضعفت عنه قلوب الأنام
لا ضرب المقـدور أحبابنا ولا أعادينا بهـذا الحسام
يا زمن الوصل لأنت المنى والمُنى عقـدٌ وأنت النظام
لله عيش لى وعيش لهـا كنتَ به سمحاً رخىّ الزمام
وأنس أوقاتٍ ظفرنا بها فى غفلة الأيام لو دمت دام
لـكنه الدهر قليل الجدى مُضيّع العهـــد لئيم الزمام
لو سامحتنا فى السلام النوى لطال حتى الحشر ذاك السلام
ولانقضى العمران فى وقفة نسلو بها الغمض ونسلو الطعام
قالت وقد كاد يَميد الثرى من هدّة الصبر وهول المقام

وغابت الأعين فى دمعها ونالت الألسن إلا الكلام

يا بين ولّى جلدى فاتئد ويا زمانى بعضُ هذا حرام

فقلت والصبر يجارى الأسى واللت مأخوذ ودمعى انسجام

إن كان لى عندكِ هذا الهوى بأيّما قلت كتمت الغرام

وقال :

صريعُ جفنيك يَنْفِى عنهما التُّهَما فما رميت ولكنّ القضاء رَمَى

اللهَ فى روح صَب يغشيان بها موارد الحتف لم ينقل لها قدما

وكُفّ عن قلبه المعمود نَبْلهما أليس عهدك فيه حبةً ودما

سَلوا غزالا غزا قلبي بحاجبه أما كفى السيف حتى جَرّد القَلَما

واستخبروه إلى كم نارُ جَفوته أما كفى ماجنت نار الخدود أما

واستوهبوه يداً فى العمر واحدةً ومهدوا عذره عنى إذا حرما

ولا تَرَوْا منه ظلماً أن يضيّعنى من ضيع العَرَضَ المملوك ماظلما

وقال :

ذَاد الكرى عن مقلتيك حمامُ لبَّاه شوقٌ ساهرٌ وغرامُ

حيرانُ مشبوب المضاجع ليلُه حربٌ وليلُ النائمين سَلام

بين الدّجى لكما وعادية الدّجى مهجٌ تؤلّف بينها الأسقام

تتعاونان ، وللتعاون آمة لا الدهرُ يخذلُها ولا الأيام

يا أيها الطيرُ الكثيرُ سميرُه هل ريشةٌ لجناحه فيقام

عانقت أغصاناً وعانقت الجوى وشكوتَ والشكوى علىّ حرام

أحرَمَ الأجفان إدناء الكرى يهنيك ما حرمت حين تنام

حاوَلْن منه إلى خيالك سُلَّما ... لو سامَحَت بخيالك الأحلام

فأْذَن لِطَيْفِك أن يُلِمّ مُجامِلاً ... ومُؤَمَّلٌ من طيفك الإلمام

وقال :

شغلَته أشغالٌ عن الآرام ... وقضى اللُّبانة من هوًى وغرامِ

ومَضى يجرُّ على الهوى أذيالَه ... ويلومُ حامِلَه مع اللُّوّام

ويذُمُّ عهدَ الغانيات كناقِهٍ ... بعد الشِفاءِ يذُمّ عهد سَقام

لا تعجلَنّ وفى الشباب بقيّةٌ ... إن الشبابَ مَزَلّةُ الأحلام

كانت إنابتُك المريبة سَلْوةً ... نسجت على جُرحٍ بجنبك دام

إن الذى جعلَ القلوبَ أعِنّةً ... قاد الشبيبةَ للهوى بزِمام

ياقلبَ أحمدَ والسهامُ شديدةٌ ... ماذا لقِيتَ من الغزال الرامى

تدْرى وتسألنى تجاهلَ عارفٍ ... أرَنا بعينٍ أم رنَى بسهام

مازلتَ تركَبُ كلَّ صعبٍ فى الهوى

حتى ركِبتَ إلى هواك حِمانى

وإذا القلوبُ استرسلت فى غيّها ... كانت بليّتُها على الأجسام

وقال :

به سِحْرٌ يتيّمه ... كلا جفْنيك يعلّمه

هما كادا لمهجته ... ومنكَ الكيدُ معظمُه

تُعذّبه بسحرِهما ... وتُوجِدُه وتُعدِمه

فلا هارُوتَ رَقّ له ... ولا ماروتَ يرْحَمه

وتظلمُه فلا يشكو ... إلى من ليس يظلمه

أسرّ فمات كِتمانًا ... وباح لسانه فمُه

فويحَ المدنَفِ المعمـــودِ حتى البَثُّ يُحرَمه

طويلُ الليـل ترحمُه هواتفُه وأنجمُـــه

إذا جدّ الغــرَامُ به جرَى فى دَمعِـه دمُه

يكاد لطول صحبتـــه بعادِى السُّقمِ يُسقمُه

ثَنَى الأعنَـاق عوّدُه وألقى العــذر لوّمُه

قضى عشقا سوى رَمَقٍ إليكَ غــدًا يقدّمه

عسى إن قيل ماتَ هوى تقـولُ الله يرحمُـه

فتحيـا فى مراقِدها بلفظٍ منكَ أعظمُـه

* * *

بروحى البانُ يومَ رنا عن المقـدورِ أعصَمُه

ويومَ طُعِنتُ من غُصُنٍ معلّمُـــه منَعّمُــه

قضـــاهُ الله نظرتُـه ولُطفُ الله مَبسِمُه

ومى فاستهدفت كبدى بِىَ الرامى وأسهُمـه

له من أضلُعى قاعٌ ومن عَجَبٍ يسلّمه

ومن قلبى وحبتِه كِناسٌ بات يَهدِمُه

غزالٌ فى يديه التيـــهُ بين الغِيد يَقسِمُه

وقال :

من صُوَرِ السِّحرَ المُبينَ عيونا وأحلّه حدَقًا لها وجفونا

نظرتْ لحاظُ بجانبى فاستهدَفتْ كبِدى وكان فؤادىَ المغْبونا

ورمت بسهم جال فيـه جولةً حتى استقرّ فرَنّ فيه رَنينا

فلمَسْتُ صدرى مُوجِسًا ومروّعًا ولمَستُ جَنْبى مُشفِقًا وضَنينا

ياقلب إن من البواتر أعيُنًا سُودًا وإنّ من الجآذر عِينا

لا تأخذنّ من الأمورِ بظاهرٍ إنّ الظواهرَ تخدَعُ الرَّائينا

فلكم رجعتُ من الأسنّة سالمًا وصدَرتُ عن هِيفِ القدود طَعينا

وخميلةٍ فوق الجزيرة مَسّها ذَهَبُ الأصيلِ حواشيًا ومُتُونا

كالتبرِ أُفقًا والزبرجدِ رَبْوةً والمِسْك تربًا واللُّجَيْنُ مَعينا

وقف الحيا من دونها مُستأذنا ومشى النسيمُ بظلّها مأذونا

وجرى عليها النيلُ يَقذِف فضّةً نثرا ويكسر مرمرا مَسْنُونا

يُغرى جوارِيَهُ بها فَيَجِئنَها ويُغيرهن بها فيَستَعلينا

راع الظلامُ بها أوانسَ تَرْتمى مثلَ الظباء من الرُّبى يَهْوِينا

يخطرن فى ساحِ القلوب عواليا ويملن فى مَرْأى العيون غُصُونا

عِفْن الذيولَ من الحرير وغيره وسَحَبن ثمّ الآسَ والنّسْرينا

عارضتُهن ولى فؤادٌ عُرْضَةٌ لهوى الجآذر دان فيه ودينا

فنظرن لا يَدرين أذهب يُسْرةً فَيَحِدْن عنّى أم أميلُ يَمينا

ونَفَرْن من حولى وبين حبائلى كالسِّرب صادف فى الرَّواح كَمِينا

فجمعتُهن إلى الحديث بدأتُه فغَضِبن ثم أعدتُه فَرضِينا

وسمعتُ من أهوى تقول لِتِربها[1] أحْرَى بأحمد أن يكون رَزِينا

قالت أراه عند غاية وجْده فلعلّ ليلى ترحَمُ المَجنونا

وقال :

أذعَنَ للحُسنِ عصىُّ العِنانْ وحاولت عيناكَ أمْرًا فكانْ

يَعيشُ جفناك لبَثِّ المُنى أو الأسى فى قلبِ راجٍ وعانْ

---

(١) الترب بالكسر : ما ولد معك ، وأكثر ما يستعمل فى المؤنث ، يقال هذه ترب فلانة إذا كانت على سنها .

يامُسرفاً فى التِّيه ما ينتهى أخافُ أن يَفنى علينا الزمان
ويا كثيرَ الدَّلِّ فى عِزِّه لا تنس لى عِزِّى قُبَيْلَ الهوان
ويا شديدَ العُجْبِ مهلاً فما من مُنكرٍ أنكَ زينُ الحسان

وقال :

يا حسنَه بين الحِسـانْ فى شكله إن قيل بان
كالبـدر تأخذه العيو نُ وما لهن به يَدان
مَلك الجوانح والفؤا دَ ففى يديه الخافقان
ومناىَ منه نظرةٌ فعسى يُشير الحاجبان
فعَسَى يزكّى حسنَه من لا له فى الحسن ثان
فدعوه يعـدل أو يجو ر فإنه مَلَكَ العِنان
حقٌّ الدلالُ لمن له فى كل جارحةٍ مكان

وقال :

يا ناعماً رقدت جفونُه مُضناكَ لا تهدا شجونُه
حملَ الهوى لك كلَّه إن لم تُعنه فمن يُعينه
عُد منعماً أو لا تَعُد أودعتَ سرك من يصُونه
بينى وبينكَ فى الهوى سببٌ سيجمعُنا مَتينه
رشأ يُعابُ الساحرو ن وسحرُهم إلاّ جفونه
الروحُ ملكُ يمينه يَفديهِ ما ملكت يمينهُ
ما البانُ إلاّ قدُّه لو تيَّمت قلباً غصونُه
ويزينُ كلَّ يتيمةٍ فمُه وتحسبُها تزينُه
ما العمرُ إلا ليـلةٌ كان الصباحَ لها جبينهُ
بات الغرامُ يَديلُنا فيها كما بتنا ندينه

بين الرقيب وبيننـا واد تُباعده حزونُه
نعتابُه ونقــول لا بَقِىَ الرقيب ولا عيونُه

وقال :

صحا القلب إلا من خُمارِ أمانى يجاذبُنى فى الغيدِ رث عنانى
حنانيكَ قلبى هل أعيدُ لك الصبا وهل للفتى بالمستحيل يدان
تحنُّ إلى ذاكَ الزمانِ وطيبه وهل أنتَ إلا من دم وحَنان
إذا لم تصُن عهداً ولم ترعَ ذمةً ولم تذكر إلفًا فلستَ جنانى
أتذكر إذ نعطى الصبابةَ حقها ونشربُ من صرفِ الهوى بدنان
وأنتَ خفوق والحبيبُ مباعدٌ وأنت خفوقٌ والحبيبُ مدان
وأيامَ لا آلو رِهانًا مع الهوَى وأنتَ فؤادى عند كل رِهان
لقد كنتُ أشكو من خفوقِك دائبًا فولِّ فيا لهفى على الخفقان
سقاكَ التصابى بعدما علَّك الصِّبَا فكيف ترى الكأسين تختلفان
وما زلتُ فى ريع الشبابِ وإنما يشيبُ الفتى فى مصرَ قبل أوان
ولا أكذبُ البارى بنى اللهُ هيكلى صنيعةَ إحسانٍ ورِقُّ حسان
أدينُ إذا اقتادَ الجمالُ أزمتى وأعنو إذا اقتادَ الجميلُ عنانى

وقال :

اللهَ فى الخلق من صبٍّ ومن عانى تفنى القلوبُ ويبقى قلبكِ الجانى
صونى جمالَك عنَّا إنَّنا بشرٌ من التراب وهذا الحسنُ روحانى
أو فابتغِى فلكًا تأوينَه مَلَكًا لم يتَّخذ شركا فى العالم الفانى
يَلساب فى النورِ مشغوفًا بصورته مُنعَّمًا فى بديعات الحُلَى هانى
إذا تبسم أبدى الكونُ زينتَه وإن تنفَّس أهدى طِيبَ ريحان

وأشرق من سماء العزّ مُشرقةً بمنظرٍ ضاحكِ اللألاء فتّان
عسى سكبتْ دموعٌ فيكِ هامعةٌ لا تطلعُ الشمس والأنداء فى آن[1]
يامن هجرتْ إلى الأوطان رؤيتها فرحت أشوقَ مشتاقٍ لأوطان
أتذكرين حنينى فى الزمان لها وسكبيَ الدمع من تذكارها قانى
وغبطىَ الطير ألقاه أصيح به ليت الكريمَ الذى أعطاك أعطانى

وقال :

قلبٌ بوادى الحمى خلّفتُه رمقًا ماذا صنعت به يا ظبيةَ البان
أخى عليك من الكثبان فاتخذى عليه مرعاك من قاعٍ وكثبان
غرّبته فَهوَى جَنْبى لفرقته وحنّ للنازح المأسور جُثمانى
لا ردّه اللهُ من أسرٍ ومن خبلٍ إن كان فى ردّه صحوى وسُلوانى
دلّهته بعزيزٍ فى محاجره ماضٍ له من مُبين السّحر جفنان
رمى فضجّت على قلبى جوانحُه وقال سهمٌ فقتال القلب سهمان
يا صورةَ الحور فى جلباب فانيةٍ وكوكبَ الصبح فى أعطاف إنسان
مُرى عَصِىَّ الكرى يَغشى بجاملةً وسامحى فى عناق الطيفِ أجفانى
لحسب خدّىّ من عينىّ ما شربا فمثل ما قد جرى لم تلقَ عينان

وقال :

قولوا له رُوحى فداه هذا التّجنّى ما مَداه
أنا لم أقُم بصدوده حتى يحمّلنى نواه
تجرى الأمور لغايةٍ إلاّ عذابى فى هواه

(١) الأنداء : الأمطار .

سَمَّيتُـه بدرَ الدُّجى ومن العجائب لا أراه
ودعوتُه غصنَ الرّبا ض فلم أجدو وضّاحواه
وأقولُ عنه أخو الغزا ل ولا أرى إلاّ أخاه
قال العواذلُ قد جفا مابالُ قلبك ما جفاه
أنا لو أطعتُ القلب فيـ ـه لم أزِدْه على جَواه
والنُّصحُ متَّهمٌ وإن نَثرتهُ كالدُّرّ الشفاه
أُذنُ الفتى فى قلبـه حينا وحينا فى نُهـاه

وقال :

مقادير من جفنيْك حوَّلـن حاليا فذقتُ الهوى من بعدما كنت خاليا
نفذْن علىَّ اللب بالسَّهم مُرْسَلا وبالسِّحر مقضيًّا وبالسيف قاضيا
وألبسْنَنى ثوبَ الضَّنى فلبستُه فأَحْبِب به ثوبًا وإن ضمَّ باليا
وما الحب إلا طاعةٌ وتجاوزٌ وإن أكثروا أوصافَه والمعانيا
وما هو إلا العين بالعين تلتقى وإن نوّعوا أسبابَه والدَّواعيا
وعنـدى الهوى موصوفُه لا صفاتُه
إذا سألونى ما الهـــوى قلت ما بِيا
وبى رَشأٌ قد كان دنياى حاضِرًا فغادَرَنى أشتاق دُنياى نائيـا
سَمحتُ برُوحى فى هواه رخيصةً ومن يَهوَ لا يُؤْثِر على الحب غاليا
ولم تَجْرِ ألفاظُ الوُشاة بريبة كهذى التى يجرى بها الدمع واشيا
أقول لمن ودّعت والركب سائر برغم فؤادى سـائر بفؤاديا
أمانًا لقلبى من جفونك فى الهوى كفى بالهوى كأسًا وراحا وساقيا

ولا تجعليه بين خدّيك والنّوى ... من الظلم أن يغدو لنارين صاليا
ولم يندملْ من طعنة القد جرحه ... فرفقًا به من طعنة البين داميا

وقال :

أهلَ القدود التى صالت عواليها ... اللهَ فى مُهَج طاحت غواليها
خُذْن الأمانَ لها لو كان ينفعها ... واردُدْنها كرمًا لو كان يُجديها
وانظرن مافعلت أحداقُكن بها ... ماكان من عبث الأحداق يكفيها
تعرضت أعينٌ منّا فعارَضنا ... على (الجزيرة) سِربٌ من غوانيها
ماثرن من كُنُس[1] إلاّ إلى كُنُس ... من الجوانح ضمّتها حوانيها
عَنّت لنا أُصلا تُغرى بنا أَسَلاً ... مهزوزةً شَكلاً مشروعةً تِيها[2]
وأرهفَت أعيُنًا ضَعْفَى حمائلُها ... تشوى مناصِلُها كَحْلَى مواضيها
لنا الحبائلُ نُلقيها نَصيدُ بها ... ولم تخلْ ظَبيات القاع تُلقيها
نَصَبْنَها لك من هُدْبٍ ومن حَدَقٍ ... حتى انثنيت بنفسٍ عزّ فاديها
من كلّ زهراء فى إشراقها ضَحِكَت ... لبّاتُها عن شبيه الدر من فيها
شمسُ المحاسن يُستَبق النهارُ بها ... كأن يُوشَعَ مفتونٌ يُجاريها
مشت على (الجسر) ريمًا فى تلفتها ... للناظرين وبانًا فى تثنّيها
كأن كلّ غوانيه ضرائرُها ... عُجبًا وكلّ نواحيه مَرائيها
عارَضتُها وضميرى من محارمها ... يَزْوَرُّ عن لحظاتى فى مَساويها
أعِفُّ من حَليها عما يُجاوره ... ومن غلائلها عمّا يُدانيها
قالت لعلّ أديبَ النيل يُحرِجُنا ... فقلتُ هل يُحرِج الأقمارَ رائيها

(١) الكنس : جمع كناس هو بيت الظبي .

(٢) يقال : شكلت المرأة شكلا : كانت ذات شكل أى غنج ودلال وغزل .

بيني وبينك أشعارٌ هتفتُ بها ما كنتُ أعلم أن الرِّيم يُرْويها
والقولُ إن عفَّ أو ساءت مواقعُه
صـــدى السريرةِ والآدابِ يحكيها

وقال :

أداري العيونَ الفاتراتِ السواجيا
وأشكو إليها كيد إنسانها لِيـا
قتلْنَ ومنَّين القتيلَ بألسنٍ من السحرِ يُبدلنَ المنايا أمانيا
وكلَّمن بالألحاظِ مَرْضى كليـــلةً
فكانت صِحاحًا في القلوبِ مواضيا
حببتُكِ ذاتَ الخالِ والحبُّ حالةٌ إذا عرَضت للمرءِ لم يدرِ ماهيا
وإنكِ دُنيا القلبِ مهما غدرْتِه أتى لكِ مملوءًا من الوجْد وافيا
صدودُكِ فيه ليس يألوه جارحًا ولفظُكِ لا ينفكُّ للجرح آسِيا
وبين الهوَى والعَذْلِ للقلب موقفٌ
كخالِكِ بين السيفِ والنـارِ ثاويا (1)
وبين المُنى واليأس للصبر هِزَّةٌ
كخصركِ بين النهدِ والردفِ واهيا
وعرَّض بي قومي يقولونَ قد غوى
عدِمتُ عذولي فيكِ إن كنت غاويا
يرومونَ سُلوانًا لقلبي يُريحهُ ومن لِيَ بالسلوانِ أشريه غاليا
وما العشقُ إلا لذةٌ ثم شِقوةٌ كما شقِيَ المخمورُ بالسُّكر صاحيا

(1) يعني الشاعر بهذه التورية أن خالها بين نار الخد وهي كناية عن الحمرة وبين سيف اللحظ وهو معروف .

متفرقات

مَصايرُ الأيّام

ألا حبذا صُحبةُ المكتَبِ ... وأحبِبْ بأيامه أحبِبِ !

وياحبَّذا صِبيةٌ يَمرحو ... ن، عِنانُ الحياة عليهم صَبِي

كأنهمو بَسَماتُ الحيا ... ة وأنفاسُ رَيْحانها الطيِّب

يُراح ويُغدَى بهم كالقطيـــع على مشرِقِ الشمس والمَغرب

إلى مَرتِعٍ ألِفوا غيرَه ... وراعٍ غريب العصا أجنبي

ومُستقبَلٍ من قيود الحيا ... ة شديد على النفس مُستصعَب

فِراخٌ بأيكٍ فمن ناهضٍ ... يَروضُ الجناحَ ومن أزْغَب

مقاعدُهم من جناح الزما ... ن وماعلِموا خَطَرَ المَرْكَب

عصافيرُ عند تهجِّى الدرو ... س[1] مِهارٌ عرابيدُ فى المَلْعَب

خَليُّون من تَبِعات الحيا ... ة على الأم يُلقونها والأب

جُنونُ الحداثة مِن حولهم ... تَضيقُ به سَعَةُ المذهب

عدا فاستبدَّ بعقل الصبيِّ ... وأعدى المؤدِّبَ حتى صَبِي !

لهم جَرَسٌ مُطرِبٌ فى السَّرا ... ح، وليس إذا جدَّ بالمطرِب

توارثَ به ساعةٌ للزما ... ن على الناس دائرةُ العقرب

تَشُولُ[2] بإبرتها للشبا ... ب وتَقذِف بالسّم فى الشُّيَّب

---

(١) المهار : جمع مهر ، والعرابيد جمع عربيد بالكسر ، والعربيد : الكثير العربدة .

(٢) تشول : ترفع ، أخذاً من قولهم شالت الناقة ذنبها إذا رفعته .

يَدُقُّ بمطرقتيها القضـــا ء وتجرى المقاديرُ فى اللولب

وتلك الأواعى بأيمانهم[1] حقائبُ فيها الغدُ المُختَبى

ففيها الذى إن يُقِمْ لا يُعَدّ من الناس، أو يَمض لا يُحسَب

وفيها اللـــواء وفيها المنا رُ وفيها التّبيعُ وفيها النّبى

وفيها المؤخَّرُ خلف الزحا م وفيها المقدَّمُ فى الموكب

***

جميلٌ عليهم قشيب[2] الثيا ب وما لم يُجمّلْ ولم يَقشب

كساهم بنانُ الصّبا حُلّةً أعزّ من المخملِ المُذْهَب

وأبهى من الورد تحت النّدى إذا رفّ فى فرعه الأهدب

وأطهرَ من ذيلها لم يَلُمّ من الناس ماشٍ ولم يَسحَب

***

قطيعٌ يُزجّيه راعٍ من الدهـــر، ليس بلَيّنٍ ولا صُلّب

أهابتْ هـــرواته بالرّفا ق ونادت على الحيّد المُترّب

وصرّفَ قُطعانه فأستبدّ ولم يخشَ شيئًا ولم يَرْهَب

أراد لمن شاء رَعْىَ الجديـ ب وأنزلَ من شاء بالمُخصِب

ورَوّى على رِيّها النّاهلا ت وردّ الظّماء فلم تشرَب

وألقى رقابًا إلى الضاربيـ ن وضَنّ بأخرى فلم تُضرَب

وليس يبالى رضا المستريـــح ولا ضجرَ الناقمِ المُتعَب

وليس بمُبقٍ على الحاضريـ ن وليس بباكٍ على الغُيّب

***

فياويحهم ! أحسّوا الحيا ة ؟ لقد لعبوا وهى لم تلعب

تُجرّب فيهم وما يعلمو ن كتجربة الطّبّ فى الأرنب

---

(١) الإيمان جمع يمين وهى اليد اليمنى . (٢) القشيب : الجديد .

سَقَتْهم بسُمٍّ جرى فى الأصو

ل وروّى الفروعَ ولم يَنضُب

ودار الزمانُ فدال الصِّبا وشبَّ الصِّغارُ عن المكتب

وجَدّ الطلابُ وكدّ الشبا

بُ وأوغل فى الصَّعب فالأصعب

وعادت نواعِمُ أيامِه سِنينَ من الدَّأب المُنْصِب

وعُذّب بالعلم طُلّابُه وغصُّوا بِمَنْهَلِه الأعذب

رَمَتْهم به شهواتُ الحيا ة وحُبُّ النَّباهة والمَكسب

وزَهوُ الأُبوةِ من مُنجبٍ يفاخرُ من ليس بالمُنجِب

وعقلٌ بعيدُ مرامى الطِّما ح كبيرِ اللُّبانةِ والمأرَب

ووُلوعُ الرّجاء بما لم تَنَلْ عقولُ الأوالى ولم تطلُب

تنقَّلَ كالنجم من غَيْهب يَجوبُ العصورَ إلى غَيْهب

قديم الشُّعاع كشمس النها ر جديدٌ كمِصباحها المُلهب

أبوقراطُ مثلُ ابنِ سينا الرئيـ س وهوميرُ مثلُ أبى الطَّيِّب

وكلُّهمو حَجَرٌ فى البنـا ء وغرسٌ من المثمرِ المُعقِب

* * *

تُؤلّفُهم فى ظِلال الرخا ء وفى كَنف النسب الأقرب

وتكبيرُ فيهم غرور الثرا ء وزهوَ الولادة والمنصب

بيوتٌ منزَّهةٌ كالعتيـ ق وإن لم تُستَرْ ولم تُحجَب

يُدانى ثراها ثرى مكّةٍ ويقرُب فى الطُّهر من يَثرب

إذا ما رأيتهمو عندها يموجون كالنحل عند الرُّبى

رأيت الحضارةَ فى حصنها هناك وفى جندها الأغلب

وتَعرِضُهم مَوكِبًا موكِبًا وتسألُ عن عَلَمِ الموكب
دَعِ الحظَّ يطلعْ به فى غدٍ فإنك لم تَدرِ من يجتبى
لقد زَيَّنَ الأرض بالعبقرىِّ تُحلِّى السماوات بالكوكب

***

وخدّش ظفرُ الزمان الوجو ه وغيَّض من بشرها المعجب
وغال الحداثةَ شَرْخُ الشبا ب ولو شِيبَت المُردُ فى الشُّيَّب
سرى الشيب مُتَّئدا فى الرءو س سرى النار فى الموضع المعشب
حريقٌ أحاطَ بخيط الحيا ة تعجبت كيف عليهم غبى
ومن تظهرِ النارُ فى داره وفى زرعــه منهمو يَرعَب
قد انصرفوا بعد علم الكتا ب لباب من العلم لم يُكتَب
حياةٌ يُغامِرُ فيها امرؤٌ تسلَّحَ بالناب والمِخلَب
وصار إلى الفاقة ابنُ الغنىِّ ولاقى الغِنَى ولدُ المُترِب
وقد ذهب المتلى صحةً وصحَّ السقيمُ فلم يذهب
وكم مُنجِبٍ فى تَلقِّى الدرو س تلقَّى الحياةَ فلم يُنجِب
وغاب الرفاقُ كأن لم يكن بهم لك عهدٌ ولم تَصحب
إلى أن فنَوْا ثُلّةً ثُلّةً فناء السراب على السَّبسب

لُبْنَان

السِّحرُ من سُود العيون لقيتُهُ والبابلىُّ بلحظهن سُقيتُه
الفاترات وما فَتَرْن رِمايةً بمُسَدّدٍ بين الضلوع مَبيته
الناعسات الموقظاتى للهوى المُغْريات به وكنت سَليتُه

القاتلاتِ بعابثٍ فى جفنه ... ثملِ الغرارِ مُعَرْبِدٍ إصليتُه[1]

الشارعاتِ لهُدْبَ أمثالَ القنا ... يُحيي الطَّعينَ بنظرة ويُميته

الناسجاتِ على سَواء سُطورِه ... سَقَمًا على منوالهن كُسِيته

* * *

وأغنَّ أكحلَ من مَهادِ بكَنْفِيَّةٍ ... عِلِقت محاجرُه دمى وعَلِقتُه

لُبنانُ دارُته وفيه كِناسُه ... بين القنا الخطَّار خُطَّ نحيتُه

السلسبيلُ من الجداول وِرْدُه ... والآسُ من خُضْرِ الخمائل قوتُه

إن قلتُ تمثالُ الجمال مُنَصَّبًا ... قال الجمال براجِيٌّ مَثَّلْته

دخل الكنيسةَ فارتقبْتُ فلم يطل ... فأتيتُ دون طريقه فزحمته

فازْوَرَّ غضبانًا وأعرض نافرًا ... حالٌ من الغِيد الملاح عرفْته

فصرفتُ تَلْعابي إلى أترابِه ... وزَعمتُهن لُباتى فأغرتُه

فمشى إلىّ وليس أولَ جُؤذرٍ ... وقعت عليه حبائلى فقنصته

قدجاء من سحر الجفون فصادنى ... وأتيتُ من سحر البيان فصِدْته

لما ظفرتُ به على حَرَمِ الهُدَى ... لابن البَتول وللصلاة وهبتُه[2]

قالت ترى نجمَ البيان فقلتُ بل ... أفق البيان بأرضكم يَمَّمته

بلغ السُّها بشموسه وبدُوره ... لُبنانُ وانتظم المشارقَ صِيته

من كلّ عالى القدر من أعلامه ... تتهلل الفُصْحى إذا سَمَّيْته

حامى الحقيقة، لا القديم يَؤودُه ... حفظًا ولا طابُ الجديد يفوته

وعلى المَشيد الفخمِ من آثاره ... خُلُقٌ يبين جلاله وثبوته

فى كل رابيةٍ وكلِّ قرارةٍ ... تِبْرُ القرائح فى التراب لمحته

أقبلتُ أبكى العلم حول رسومهم ... ثم انثنيت إلى البيان بكيته

---

(١) الإصليت : السيف . (٢) ابن البتول هو المسيح عليه السلام .

***

لبنانُ والخلد ، اختراع الله لم ... يُوسَم بأزينَ منهما ملكوته

هو ذِروةٌ فى الحسن غير مرُومةٍ ... وذَرا البَراعة والحجى «بَيروته»

مَلِكُ الهضابِ الشُّمّ سلطانُ الرُّبى ... هامُ السحاب عروشُه وتُخوته

سيناء شاطَره الجلالَ فلا يُرى ... إلاّ له سُبُحاته[1] وسُمـوته[2]

والأبلقُ الفردُ انتهت أوصافهُ ... فى السُّؤدد العـالى له ونعوته

جبـلٌ على آذار يُزرى صيفُه ... وشتاؤه يَئِـد القرى جبَروته

أبهى من الوَشْى الكريم مروجُه ... وألذُّ من عَطلٍ[3] النُّحورِ مُرُوته[4]

يغْشى روابيَه على كافورها ... مِسْكُ الوهاد فَتيقُه وفَتيتُه[5]

وكأن أيامَ الشباب ربوعُه ... وكأن أحلامَ الكعاب بيوتُه

وكأن ريْعانَ الصِّبا رِيْحانُه ... سِرُّ السرور يَجُوده ويقوتُه[6]

وكأن أثداء النـواهد تينُه ... وكأن أقراط الولائد توته

وكأن همس القاع فى أذُن الصفا[7] ... صوتُ العتابِ ظهوره وخُفوته

وكأن ماءهما وجَرْسَ[8] لُجَينه ... وَضحُ[9] العروس تبينه وتُصيتُه[10]

***

زعماء لُبنانٍ وأهلَ نَديّه ... لبنانُ فى ناديكمو عظَمتُه

قد زادنى إقبالُكم وقبولُكم ... شرَفًا على الشَّرف الذى أوليتُه

تاجُ النيابة فى رفيع رؤوسكم ... لم يُشْرِ لؤلؤه ولا ياقوتُه

(١) السبحة : بضمتين : الجلال . (٢) السمت بالفتح : هيئة أهل الخير .
(٣) عطل النحر من الحلى : خلا . (٤) المروت : جمع مرت وهى المفازة بلا نبات .
(٥) فتق المسك . استخرجه بشىء يدخله عليه ، والفتيت : المفتوت . (٦) يقوته : يطعمه
(٧) الصفا : الصخر . (٨) الجرس : الصوت . (٩) الوضح : حلى من الفضة .
(١٠) تصيته : تجهله بصوت .

«موسى»[1] عدوُّ الرِّق حول لوائكم ... لا الظُّلم يُرهِبه ولا طاغوتُه
أنتم وصاحبكم إذا أصبحتمو ... كالشَّهرِ أكملَ عِدَّةً موقوتُه
هو غُرَّةُ الأيام فيه وكلكم ... آحادُه فى فضاهـــا وسُبُوته

المؤتمـــر[2]

صَرحٌ على الوادى المباركِ ضاحى ... متظاهرُ الأعلام والأوضـــاحِ
ضافى الجلالة كالعتيق مُفَصَّلٌ ... ساحاتِ فضلٍ فى رحابِ سَماحِ
وكأن رَفرَفَه رِواقٌ من ضُحًى ... وكأن حائطَه عمودُ صَباحِ
الحقُّ خلفَ جناح استذرى[3] به ... ومَرَاشدُ السلطانِ خلفَ جَناحِ
هو هيكلُ الحرية القانى ، له ... ما لِلهيا كلِ من فِدًى وأضاحِ
يُبنَى كما تُبنَى الخنادقُ فى الوغى ... تحتَ النبالِ وصَوْبها السَّحَّاحِ
يَنهارُ الاستبداد حولَ عِراصِه ... مِثلَ انهيار الشركِ حولَ (صَلاحِ)[4]
ويُكَبُّ طاغوتُ الأمورِ لوجهِه ... متحطِّمَ الأصنـــامِ والأشباحِ
هو ما بَنَى الأعزالُ بالرَّاحات أو ... هو ما بَنَى الشهداءُ بالأرواحِ
أخذَتْه (مصرُ) بكل يوم قاتم ... وَرْدِ الكواكب أحمرِ الإصباحِ
هبَّتْ سِماحًا بالحياةِ شَبابُها ... والشِّيبُ بالأرماق غيرُ شِحَاحِ
ومشتْ إلى الخيلِ الدوارع وانبرَتْ ... للظافرِ الشاكى بغيرِ سِلاحِ
وقفاتُ حقٍّ لم تَقِفها أمةٌ ... إلا انثنَتْ آمالُها بنَجـــاحِ

---

(١) موسى نمور بك رئيس مجلس النواب اللبناني . (٢) مؤتمر سياسى اجتمعت فيه كلمة الأحزاب السياسية المصرية على إنقاذ الدستور برياسة المغفور له سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٦ . (٣) استذرى : استظل . (٤) صلاح : اسم لمكة ..

وإذا الشعوبُ بنَوا حقيقةَ مُلكِهِم　　جعلوا المآتمَ حائطَ الأفراحِ

***

بشرى إلى الوادى تَهزُّ نَباتَه　　هَزَّ الربيعِ مَناكبَ الأدواحِ

تسرى مُلمَّحَةَ الحُجولِ[1] على الرُّبى　　وتَسيلُ غُرَّتُها بكلِ بِطاحِ

التامَتِ الأحزابُ بعدَ تَصَدُّعٍ　　وتصافتِ الأقلامُ بعد تَلاحِى

سُحِبَتْ على الأحقادِ أذيالُ الهوى　　ومَشَى على الضِّغْنِ الودادُ الماحى

وجَرَتْ أحاديثُ العتابِ كأنها　　سَمَرٌ على الأوتارِ والأقداحِ

تَرْمِى بطَرْفِكَ فى المجامعِ لا ترى　　غيرَ التعانُقِ واشتباكِ الراحِ

***

شمسَ النهارِ تعلَّمِى الميزانَ من　　(سَعْد) الديارِ وشَيخِها النَضَّاحِ[2]

مِيلى انظريه فى النَّدىّ كأنّه　　(عثمانُ) عن أمِّ الكتابِ يُلاحِى

كم تاجِ تضحيةٍ وتاجِ كرامةٍ　　للعينِ حولَ جبينِهِ اللمَّاحِ

والشيبُ مُنْبَثِقٌ كنورِ الحقِّ من　　فَوْدَيْهِ أو فجرِ الهدى المُنْصاحِ[3]

لبّى أذانَ الصُّلحِ أولَ قائمٍ　　والصلحُ خمسُ قواعدِ الإصلاحِ

سبَقَ الرجالَ مصافحًا ومعانِقًا　　يُمْنَى السَماحِ وهيكَلَ الإسجاحِ[4]

(عدلى) الجليلُ ابنُ الجليلِ من الملا　　والماجدُ ابنُ الماجدِ المِسماحِ

حُلوُ السجيَّةِ فى قناةٍ مُرَّةٍ　　ثَمِلُ الشمائلِ فى وقارٍ صاحِ

***

شَتَّى فضائلَ فى الرجالِ كأنّها　　شَتَّى سلاحٍ من قنًا وصِفاحِ[5]

فإذا هيَ اجتمعت لمُلكٍ جَبهَةً　　كانت حُصُونَ مَناعَةٍ ونطاحِ

اللهُ ألّفَ للبلادِ صُدورَها　　من كل داهيةٍ وكلِّ صُراحِ

---

(١) الحجول : الخلاخيل . (٢) النضاح : الراى بالنبل وهى هنا كناية عن الحامى والدافع
(٣) المنصاح : الخالص . (٤) يقال سجح خلقه : سهل ولان . (٥) الصفاح : السيوف .

وزراء مملكة دعائم دولة ... أعلام مؤتمر أسود صباح[1]
يبنون بالدستور حائط ملكهم ... لا بالصفائح ولا على الأرماح
وجواهر التيجان مالم تتخذ ... من معدن الدستور غير صحاح

* * *

احتل حصن الحق غير جنوده ... وتكالبت أيد على المفتاح
ضجت على أبطالها سكناته ... واستوحشت لكماتها النزاح
هجرت أرائكه وعطل عوده ... وخلا من الغادين والرواح
وعلاه نسج العنكبوت فزاده ... كالغار من شرف وسمت[2] صلاح

* * *

قل للبنين مقال صدق واقتصد ... ذرع الشباب يضيق بالنصاح
أنتم بنو اليوم العصيب نشأتمو ... فى قصف أنواء وعصف رياح
ورأيتمو الوطن المؤلف صخرة ... فى الحادثات وسيلها المجتاح
وشهدتمو صدع الصفوف وما جنى ... من أمر مفتات ونهى وقاح
صوت الشعوب من الزئير مجمعا ... فإذا تفرق كان بعض نباح
أظمتكمو الأيام ثم سقتكمو ... رنقا من الإحسان غير قراح
وإذا منحت الخير من متكلف ... ظهرت عليه سجية المناح
تركتكمو مثل المهيض جناحه ... لا فى الحبال ولا طليق سراح
من صير الأغلال زهر قلائد ... وكسا القيود محاسن الأوضاح
إن التى تبغون دون منالها ... طول اجتهاد واضطراد كفاح
سيروا إليها بالأناة طويلة ... إن الأناة سبيل كل فلاح
وخذوا بناء الملك عن دستوركم ... إن الشراع مثقف الملاح

* * *

(١) صباح : أى حرب . (٢) السمت : هيئة أهل الخير .

يادارَ محمودٍ سلمتِ وبُورِكتْ ... أركانُكِ الهرميَّـةُ الصُّفّاح[1]
وازْدَدْتِ من حسنِ الثناء وطيبه ... حجرًا هو الدُّرِّىُّ فى الأمداح
الأمّة انتقلتْ إليكِ كأنّمـا ... أنزلتها من بيتها بجناح
بَرَكاتُ شيخٍ بالصعيد مُحمّلٍ ... عبءَ السـنينَ مؤمّلٍ نفّاح
بالأمسِ جادَ على القضيّةِ بابنه ... واليوم آواها بأكرمِ ساح

النَّسر المِصْرى[2]

أعُقابٌ فى عِنان الجو لاحْ ... أم سحاب فرّ من هوج الرياحْ
أم بِساط الريح ردّته النوى ... بعد ما طوّف فى الدهر وساح
أو كأن البرجَ ألق حوتَه ... فتراءى فى السماوات الفساح

***

أقبلت من بعدِ تحسبها ... نحلة عنت وطنت فى البراح
يا سلاح العصر بُشرنا به ... كل عصر بكِمِيّ وسلاحْ
إن عزا لم يظلّلْ فى غد ... بجناحيك ذليـل مستباح
فتكاثر وتألف فيلقـا ... تعصم السلم وتعلو الكفاح
مصر للطـير جميعًا مسرح ... مالنـا فيه ذنابى أو جناح
رب سرب قاطـع مرَّ به ... هبط الأرض مليًّا واستراح
لم لا يفتن فتيانُ الحمى ... ذلك الإقدام أو ذاك الطماح
من فتى حـل من الجو بهم ... فتلقوهُ على هـام وراح

---

(١) الصفاح : حجارة عريضة . (٢) قيلت بمناسبة قدوم صدقى الطيار المصرى الأول من برلين إلى القاهرة طائرا فى سنة ١٩٣٠ .

إنه أول عصفــور لهم — هز فى الجو جناحيه وصاح
دبت الهمة فيــــه ومشت — عزمات منك يا (حرب) صِحاح[1]
ناطح النجم فتى علمتــــه — فى حياة حرة كيف النطاح
لك فى الأجيال تمثال مشى — وجدوا الرشد عليه والصلاح
جاوز النيل وعَــبريه إلى — أكم الشام وهاتيك البطاح

* * *

فارسَ الجو سلام فى الذرى — وعلى الماء ومن كل النواح
ثب إلى النجم وزاحم ركنه — وامتلئ من خيلاء ومراح
إن هــذا الفتح لا عهد به — لضفاف النيل من عهد (فتاح)
تلك أبوابُ السماء انفتحت — ما وراء البـاب يا طير النجاح ؟
أسماء النيــــل أيضًا حرمٌ — من طريق الهند أم جوٌّ مباح

* * *

عين شمس ملئت من موكب — كان للأبطال أحيانًا يتاح
ربما جلّل وجه الأرض أو — ربمـا سدّ على الشمس السراح
إن يَغشه الجيش أو روْعته — لم يغشه النشأ الزهر الصباح
وفدى (فائزةً) سُمْر القنا — وفدى حارسها بيض الصفاح
ولقـد أبطأت حتى لم يَنمْ — للحمى ليلٌ ولم يَنعم صباح
فابتغى العُذْرَ كرامٌ وانبرتْ — ألسنٌ فى السّلم والهدم فصاح
تلتوى الخيـــلُ على راكبها — كيف بالعاصف فى يوم الجماح
ليس من يركب سرجًا ليّنا — مثل من يركب أعراف الرياح
سرْ رُوَيْدًا فى فضاء سافر — ضاحك الصفحة كالفردوس صاح

---

(١) طلعت بك حرب مدير بنك مصر .

طرفت عيناً به الشمس فلو ... حُيِّرت لم تتحفّز للرواح
وتكاد الطيرُ من خفّته ... تتعالى فيه من غير جناح
قف تأمل من عــلو قبّةً ... رُفِعتْ للفصل والرأى الصراح
نزل النواب فيها فتيــة ... فى جناح وشيوخاً فى جناح
حمّلوا الحق وقاموا دونَهُ ... كرَعيل الخيل أو صفّ الرماح

***

يا أبا الفاروق مَنْ ترعى فنى ... كنف الفضل وفى ظل السماح
أثبت من آبائك السُّحب وما ... فى بناء السُّحُب الأيدى الشحاح
يذكُ السَّمْحَةُ فى الخير وفى ... همة الغرس وفى أَسْوِ الجراح
نحن أفلحنا على الأرض بكم ... ورجونا فى السماوات الفلاح

تُوتْ عَنْخ آمُون وَالبَرْلَمَان

قم سابق (الساعة) واسبق وعـدَها
الأرضُ ضاقت عنكَ فأصدعْ غِمْدَها
واملأ رماحا غورَها ونجْـدَها ... وافتح أصولَ النيل واستردَّها
شلالهـــا وعَذْبَها وعِدّها[1] ... واصرِفْ إلينا جزرَها ومدّها
تلك الوجوه لا شكونا فقدها ... بيَّضت القربى لنا مُسْوَدَّها
سُللتَ من (وادى الملوكِ) فازدهى ... وألقت الشمسُ عليه رأدها
واسترجعتْ دُولتُـه إفرنْدَها ... أبيضَ ريَّانَ المتُونِ وَرْدَها
أبلى طَبِّي الدهرِ وفـلّ حدَّها ... وأخلق العُصورَ واستجدَّها

(١) العد : الماء الجارى له مادة لا تنقطع .

سافرَ أربعـــين قرنًا عدَّها حتى أتى الدارَ فألـفَى عِنـدَها
إنجلـــترا وجَيْشَها ولُورْدَها مَسْلُولَـةَ الهنديّ تحمى هِنْدَها
قامَتْ على السودانِ تَبْنِي سدَّها وركَزَتْ دُونَ القَناةِ بَنْـدَها[1]

* * *

فقالَ والحسْرَةُ ما أشــدَّها ليتَ جدارَ القـبرِ ماتَدهدَها[2]
وليتَ عَيني لم تُفارق رَقْدَها قُمْ تَبْنِي يابنتـــوور مادها[3]
مصر فتاتى لم توقّرْ جـدَّها دقت وراءَ مَضْجعى جازْبَنْدَها
وخَلطَتْ ظِبــاءها وأُسْدَها وسـكبَ الساقى الطِّلا وبدها[4]
قد سَحبتْ على جلالى بُردَها ليتَ جلالَ الموتِ كانَ صَدّها

* * *

فقُلت ياماجدها وجَمْدها[5] لولم تكُ ابنَ الشَّمس كنتَ رِئدَها[6]
لجدُك ودَّتهُ النُّجومُ لحدَها أرَيتَنا الدنيا بهِ وجِــدَّها
سلطانَهـا وعزَّها ورَغْــدَها وكيف يعطى المتقون خلدها
آثاركم يُخطى الحسابُ عَـدّها انهدَم الدّهــرُ ولم يَهُدَّها
أبوابُك اللّاتى قصَدنا قصدَها (كارتر) فى وجْهِ الوُفودِ رَدّها
لولا جهودٌ لانريدُ جَحْـدَها وحُرمَةٌ من قُربك استمدَّها
قلت لك أضربْ يده وقُدَّها وآبعث له من البَعوضِ نُـكدَها

* * *

مِصرُ الفتــاةُ بَلغَت أشُدَّها وأثبتَ الدّمُ الزّكىّ رُشـدَها
ولعِبَتْ على الحبــالِ وحْدَها وجرَّبتْ إرخاءها وشَــدَّها
فأرسلتْ دُهاتَهـا ولُدَّها[7] فى الغَرْب سدُّوا عنده مَسَدَّها

---

(١) البند : العلم . (٢) تدهده : انقض وتدحرج . (٣) بنتاءور : شاعر مصرى قديم .
(٤) بد الشيء : فرقه وهنا بمعنى أراقها . (٥) الجمد : الكريم . (٦) الرئد : الترب .
(٧) اللد : الأشداء فى الخصومة .

ويَعَثَت للبرلمان جندها وحشدت للمهرجان حشدها
حَدَتْ إليه شيبها ومُردَها وأبرزَتْ كماتِها وخُودها
ونَثرتْ فوق الطريق وردَها واستقبلتْ فؤادها ووفدها
مؤتلها وكهفها وردَّها(١) وابن الذين قوموا مَقدَّها
وألفوا بعد انفراط عِقْدَها وجعلوا صحراء ليبيا حدَّها
وبسطوا على الحجاز أيدها وسيرُوا العاتىَ فيه عبدها
(حتى) أتى الدَّارَ التى أعدَّها لمصرَ تبنى فى ذرَاها مَجْدها
فثبَّت الشُورى وشدَّ عَقْدها وقلَّدَ الجيلَ السعيد عهدها

سلطته إلى بنيها ردَّها

يارب قوِّ يَدها وشدَّها وافتح لها السُبل ولا تسدَّها
وقِسْ لكلِّ خطوةٍ ما بعدها وعن صغيرات الأمور حُدَّها
واصرف إلى مَجْدِ الشئون جدَّها ولا تُضع على الضحايا جُهدَها

واكبحْ هوى الأنفُس واكسر حِقدَها

وأجمعْ على الأمِّ الرؤوم وُلدها

واملأ بألبانِ النبوغ نَهدَها ولا تدَعها تحْيِ مستبدَّها

وتنتحتْ براحتيها فَرْدَها

مَصْرَعُ اللورد كتشنر

قِفْ بهذا البحر وانظر ما غَمرْ مَظهر الشمس وإقبال القمرْ
واعرِضِ الموجَ مليًّا هل ترى غمرةً أودت بخوّاض الغُمَر
أخذت ناحيةَ الحقِّ بهِ وسبيلَ الناس فى خالى العُصُر

---

(١) الرد : العماد .

مَنَع اللُّبثَ وإن طال المدى ... فَلكٌ ما لعصاه مُستقَر

دائرُ الدُّولابِ بالناس على ... جانبيـهِ المرْتقَى والمنْحَدَر

نقَض (الإيوانَ) من آساسهِ ... وأتى (الأهرامَ) من أم الحُجَر

ومحا (الحمراء)[1] إلا عمدًا ... نَزعُها من عَضُد الأرض عسِرْ

أين (روميَّةُ) ما قيصرُها ... ماليالهـا المِرنَّاتُ الوتَر

أين (وادى الطلح[2]) واللائى بهِ ... من دُمًى يَسحَبنَ فى المسك الحِبَر[3]

أين (نابليون) ما غاراتُه ... شنَّها الدهر عليـه من غِيَر

أيها الساكنُ فى ظلّ المُنى ... نَمْ طويلاً قد توسَّدت الزهَر

شجرٌ نامٍ وظلٌّ سابغٌ ... بيد أن الصِّلّ[4] فى أصل الشجر

يذَرُ المرء ويأتى ما اشتهى ... وقضاء الله يأتى ويَذر

كلُّ محمولٍ على النعش أخٌ ... لك صافٍ وُدُّه بعد الكدَر

إن تكن سِلمًا له لم ينتفع ... أو تكن حربًا فقد فات الضرر

راكبَ البحر أمَوجٌ ما ترى ... أم كتابُ الدهر أم مُخزَنُ القدَر

لجّةٌ (كاللَّوح) لا يُحصى على ... قلم القدرة فيها ما سُطِر

فتلفَّتْ وتنسَّمْ حكمةً ... والمس العِبرةَ من بين الفِقَر[5]

وتأمل مَلعبًا أعجبُـه ... آيةٌ جانبه المرخى السُتُر

ههنا تمشى الجوارى مَرحًا ... وجوارى الدهر يَمشين الخَمَر[6]

ربَّ سيفٍ ضرَب الجمعَ به ... فى كنوز البحر مطروح الكِسَر[7]

ونجادٍ لم يُطاول ضحوةً ... ناله الفجرُ عِشاءً بالقِصَر

---

(١) الحمراء : قصر عظيم بالأندلس . (٢) وادى الطلح : متنزه بأشبيلة للمعتمد بن عباد .

(٣) الحبر : جمع حبرة وهى ضرب من برود اليمن . (٤) الصل : الثعبان .

(٥) الفقر : كل كلام مختار نظما كان أو نثراً . (٦) يمشى الخمر : جملة تقال لمن يختل صاحبه .

(٧) الكسر : جمع كسرة وهى القطعة من الشىء .

وسفينٍ آمنٍ فيهـا البِلى ... طالما أوحتْ إليه فأْتَمَر
ووجـوهٍ ذهب المـاء بها ... فى نهار الفَرَق أو ليـل الشَّعَر
وعيونٍ ساجياتٍ سُجِّيت ... بِرُفات السِّحر أو فَلِّ الحَوَر[1]
قلْ لليثٍ خُسِف الغيـلُ به ... بين طِمٍّ وظـلام مُعْتَكِر[2]
انظـر الفُلكَ أمِنْها أثرٌ ... هكذا الدنيا إذا الموتُ حضر
هـذه منزلةٌ لو زِدْتَها ... ضاق عنك السَّعد أوضاق العُمُر
فامضِ شيخا فى هوى المجد قضى ... رحمةَ المجـد ورفقًا بالـكِبَر
مِيتَةٌ لم تَلْقَ منها عَلَزًا[3] ... من وقار الليث أن لا يُحتَضر

* * *

أنتم القـومُ حمى المـاء لكم ... يَرْجع الوِرْد إليكم والصَّدَر
لُجَجُ الدأماءِ أوطانٌ لكم ... ومن الأوطان دُورٌ وحُفَـر
لست فى البحر وحيدًا فاستَضِفْ ... فيـه آباءك تَنْزِلْ بالثُّرَر
رَسَبوا فيه كرامًا وطفا ... طائفُ النَّصر عليهم والظَّفَر

* * *

نشأ (النيل) إليكم سِيرةً ... لكمو فيها عِظاتٌ وعِبر
إقرأوها يُكشف العصرُ لكم ... كلُّ عصر برجال وسِـيَر
لا تقولوا شاعرُ الوادى غَوَى ... من يُغالِط نفسَـه لا يعتبر
موقفُ التاريخ من فوق الهوى ... ومَقَـامُ الموت من فوق الحذَر
ليس من مات بخاف عنكمو ... أو قليلِ الفعـل فيكم والأثَر
شِدْتمو دنياهُ فى أحسـنها ... غزوةَ السودان والفتحَ الأغرّ
وَبنى مملكةَ النـوب بكم ... فاذكروا القتْلى ولا تنسوا البِدَر[4]

---

(١) الفل : الـكسر فى حد السيف . (٢) الطم : البحر . (٣) العلز : القلق والهلع من الموت . (٤) البدر : جمع بدرة وهى عشرة آلاف درهم .

واحذَروا من نِقمة النِّيل فيا ضَيعَةَ الوادى إذا النيل شطِر

* * *

رجلٌ ليس ابن (قارون) ولا بابن (عادىّ) من العَظْمِ النَّخِر
ليس بالزاخر فى العلم ولا هو ينبوع البيان المنفجِر
رَضَع الأخلاق من ألبانها إن للأخلاق وقعًا فى الصِّغر
ورآها صورةً فى أمه ومن القُدْوة ما تُوحِى الصُّوَر
ذلك المجدُ وهذى سُبْلُهُ بيِّنٌ فيها سبيلُ المُعْتَذِر
أبعَد السَّاعون يبغون المَدى والمَدى فى المجد دانٍ لنَفَر
لجياد السَّبْق لن تُغنيَها أدواتُ السَّبْق ما تُغنى الفِطَر

* * *

وجَناحُ السِّلم إلا أنها ساعةَ الرَّوْع جَناحٌ من سَقَر
من حديدٍ جانباها سابغ ربَض الموتُ عليه وفَغَر
أشبهت أفواهها أعجازها تَنفُذُ فى اليمِّ مشروعُ الإبَر
أرهفَتْ سمعَ العَصا[1] واكتَحلت إثمِد الزَّرقاء[2] فى عَرْض السَّدر[3]
وتؤدى القولَ لا يَسبِقها رُسُلُ الأرواح فى نقل الفِكَر
خَطَرت فى مَجْرَيها ومشَتْ بعيون الملك فى بحر وبر
غابة تجرى بسلطان الشَّرى خادراً فى ألف ناب وظُفُر[4]
وإذا الموت إلى النفس مشى وركبت النَّجمَ بالموت عَثَر
رُبَّ ثاوٍ فى الظَّبي مُمتنِع سَلَّهُ المِقدارُ من جفن الحذر
تَسحَب الفولاذ فى مُلتَطِم بالعَوادى مُتَعالٍ مُعتَكِر

---

(١) العصا : الفرس المشهورة التى ورد ذكرها فى مصرع الزباء وقد كانت لقصير الذى يقول فيه المثل « لأمر ما جدع قصير أنفه » . (٢) هى زرقاء اليمامة ، المشهورة بقوة البصر .
(٣) السدر : البحر . (٤) الخادر : كناية عن الأسد . يقال أسد خادر : مقيم فى خدره .

لو أشـــارت جاءها ساحلهُ ... فى حديد وعبـــديد مُنْتَصِر
أو فـــدى الميّتَ حىٌّ فُدِيت ... بوقاح فى الجـــوارى وخَفِر[١]
يبعث البَحرُ بهـا كالموج من ... لُجَجِ السِّند وخُلجان الخَـزَر[٢]
لَمستهـا للقـــادير يَدٌ ... تلمس المـاء فيَرمى بالشَّرَر
ضربتهـا وهى سرٌّ فى الدُّجى ... ليس دون الله تحت الليل سِرّ
وجفت قلبَها وخارت جُؤْجُؤاً ... ونَزَتْ جَنْبًا ونَاءت من أُخَر
طُعِنَتْ فانبَجستْ فاستصرختْ ... فأتاها حَيْنهـــا فهى خـبر[٣]

البرلمانُ

على أثر ائتلاف الأحزاب

سـكن الزمانُ ولانت الأقدارُ ... ولـكلِّ أمرٍ غايةٌ وقـــرار
أرخى الأعنَّةَ للخطوب وردَّها ... فَلَكٌ بـكل لجـــاءةٍ دوّار
يجرى بأمرٍ أو يدور بضـده ... لا النقضُ يُعجزه ولا الإمرار
هل آذنتنا الحـــادثاتُ بهدنة ... وهل استجابَ فسالمَ المقدار
سدل الستار وهل شهدتَ رواية ... لم يعترضها فى الفصول ستار
وجرت فما استولت على الأمد المنى ... وعدَت فما حوت المدى الأوطار
دون الجـلاء ودون يانع وَرده ... خطوات شعب فى القتاد تسار
وبناء أخلاقٍ عليـه من النهى ... سورٌ ومن علـم الزمان إطار
وحضارةٌ من منطاق الوادى لها ... أصل ومن أدب البـلاد نِجار

* * *

أعمى هوى الوطن العزيز عصابةً ... مستهترين إلى الجرائم ساروا

---

(١) الوقاح : ذو الوقاحة ، يقال أمرأة وقاح الوجه . (٢) بحر الخزر هو بحر قزوين ، والخزر أيضاً : جيل من الناس . (٣) الحين : الهلاك .

ياسوء سنتهم وقبح غلوهم   إن العقائد بالغلو تضار
والحق أرفع مِلّةً وقضيةً   من أن يكون رسوله الإضرار
أخذت بذنبهم البلاد وأمةٌ   بالريف ما يدرون ما السردار
فى فتنة خُلِطَ البرىء بغيره   فيها ولُطّخ بالدم الأبرار
لَقِىَ الرجالُ الحادثاتِ بصبرهم   حتى انجلت غُمَمٌ لها وغِمار
لانوا لها فى شدة وصلابة   لينَ الحديد مشتْ عليه النار
الحق أبلجُ والكنانة حُرّةٌ   والعز للدستور والإكبار
الأمر شورَى لايميثُ مسلط   فيه ولا يَطْغَى به جبار
إن العناية للبلاد تخيرت   والخير ما تقضى وما تختار
عهد من الشورى الظليلة نُضّرت   آصاله واخضلّت الأسحار
تجنى البلادُ به ثمارَ جهودها   ولكل جهد فى الحياةِ ثمار
بنيانِ آباء مشوا بسلاحهم   وبنينَ لم يجدوا السلاح فثاروا
فيه من التل المدرج حائطٌ   ومن المشانق والسجون جدار
أبت التقيدَ بالهوى وتقيدت   بالحق أو بالواجب الأحرار
فى مجلس لامالُ مصر غنيمة   فيه ولا سلطان مصر صَغارُ
ما للرجال سوى المراشد منهج   فيه ولا غيرَ الصلاح شعار
يتعاونون كأهل دارِ زلزلت   حتى تقر وتطمئن الدار
يُجرون بالرفق الأمورَ وفُلكها   والريح دون الفلك والإعصار
ومع المجدد بالأناة سلامة   ومع المجدد بالجماح عِثار
الأمة ائتلفت ورص بناءها   بانٍ زعامته هدى ومنار
أسدٌ وراء السن معقود الحُبا   يأبى ويَغضبُ للشرى ويغار
كهف القضية لا تنام نيوبه   عنها ولا تتناعس الأظفار

يومَ الخميس وراء فجرك للهدى ... صبحٌ وللحق المبين نهـــار
ما أنت إلا فارسيٌّ ليـــله ... عرس وصدر نهـــاره إعذار
بتكرت تزاحم مهرجانك أمةٌ ... وتلفتت خلف الزحام ديار
وروى مواكبك الزمانُ لأهله ... وتنقلت بجلالها الأخبـــار
أقبلت بالدستور أبلج زاهرًا ... يفـــتن فى قسماته النظـــار
وذؤابة الدنيـــا ترف حداثةً ... عن جانبيه والزمان عذار
يحمى لفائفه ويحرس مهدَه ... شيخ يذود وفتيةٌ أنصـــار
وكأنه عيسى الهدى فى مهده ... وكأن سعدًا يوسفُ النجار
التاج فُصّل فى سماك بالضحى ... منك الحلى ومن الضحى الأنوار
يكسو من الدستور هامةَ ربه ... ماليس يكسو الفاتحين الغـار
بالحق يفتـــح كل هاد مصلح ... ماليس يفتح بالقنـا المِغْوارُ

***

وطنى: لديك ـ وأنت سَمْحٌ مفضل ـ ... تُنْسَى الذنوب وتذكر الأعذار
تاب الزمان إليك من هفواته ... بوزارة تمحى بهـــا الأوزار

وقال وقد ألقيت فى حفلة نسائية عظيمة انعقدت بدار التمثيل العربى
برئاسة السيدة هدى شعراوى

قُلْ للرِّجال طغى الأسيرْ ... طيرُ الحِجـــال متى يَطيرْ ؟
أوهى جناحَيْــه الحديـ ... ـدُ وحزَّ ســـاقيْه الحرير
ذهب الحجابُ بصـــبره ... وأطال حـــيْرَتَهُ السفور
هل هُيِّئَتْ دَرَجُ السما ... ءِ له ، وهل نص الأثير ؟
وهل استمرَّ به الجنـــا ... حُ ، وهَمَّ بالنّهض الشَّكير[1]

---

(١) الشكير : صغار الريش بين كباره .

وسما لمنزله من الد ... نيا ، ومنزلُه خطير ؟
ومتى تُساس به الريا ... ض كما تُساس به الوكور ؟
أو كلّ ما عند الرجا ... لِ له : الخواطب والمهور ؟
والسجنُ فى الأكواخ أو ... سجنٌ يقال له القصور ؟

* * *

تالله : لو أن الأد ... يمَ جميعه روضٌ ونور
فى كلّ ظل ربوةٌ ... وبكل وارفةٍ غدير
وعليه من ذهبٍ سيا ... جٌ أو من الياقوت سور
ماتم من دون السما ... ء له على الأرض الحبور
إن السماء جديرةٌ ... بالطير ، وهو بها جدير
هى سرجه المشدودُ وهـ ... ـو على أعنتها أمير
جريةٌ خُلِق الإنا ... ث لها كما خُلِقَ الذكور

* * *

هاجت بنات الشعر عِيـ ... ـنٌ من بنات النيل حور
لى بينهن ولائد ... هم من سواد العين نور
لا الشعر يأتى فى الجما ... ن بمثلهن ولا البحور
من أجلهن أنا الشفيـ ... ـق على الدمى وأنا الغيور
أرجو وآمل أن ستجـ ... ـرى بالذى شِئن الأمور

* * *

يا قاسم انظر كيف سا ... ر الفكر وانتقل الشعور
جابت قضيّتك البلا ... د كأنها مثلٌ يسير
ما الناسُ إلا أوّل ... يمضى فيخلفه الأخير
الفكر بينهما على ... بعد المزار هو السفير

هذا البناء الفخم ليـ سـ أساسه إلا الحفير
إن التى خلّفتَ أمـ ـس وماسواك لها نصير
نهض الخُلْقُ بشأنها وسعى لخدمتها الظهير
فى ذمة الفضلى هدى جيـل إلى هاد فقير
أقبلن يسألن الحضا رةَ مايُفيد وما يضير
ما السبل بينة ولا كل الهداة بها بصير

***

ما فى كتابك طفرة تنعى عليك ولا غرور
هذبته حتى استقامت من خلائقك السطور
ووضعتـه وعلمت أن حسابَ واضعه عسير
لك فى مسائله الـكلا مُ العفُّ والجدل الوقور
ولك البيانُ الجزلُ فى أثنائه العـلم الغزير
فى مطلب خشن كثـ ـير فى مزالقه العثور
ما بالكتاب ولا الحديـ ـث إذا ذكرتهما نكير
حتى لنســأل هل تغا ر على العقائد أم تغير ؟
عشرون عاما من زوا لك ماهى الشىء الكثير
رعن النساء وقد يرو ع المشفق الجلل اليسير
فنسين أنك كالبدو ر ودون رفعتك البدور
تفنى السنون بها وما آجالهـا إلا شهور

***

لقد اختلفنــا والمعا شر قد يخالفه العشير
فى الرأى ثم أهاب بى وبك المنادم والسمير
ودعا الرواح إلى مغا فى الود ما اقترف البكور

في الرأى تضطغن العقو ل وليس تضطغن الصدور

* * *

قل لى بعيشك : أين أنـ ـت ؟ وأين صاحبك الكبير ؟
أين الإمام وأين إسـ ـماعيل والملأ المنـير
لمـا نزلتم فى الثرى تاهت على الشهب القبور
عصر العبـاقرة النجو م بنوره تمشى العصور

تكريمُ حسنين بك بمُنَاسبة طَيَرانه

جنٌّ على حرم السماء أغاروا أم فتيةٌ ركبوا الجناح فطاروا
من كل أهوجَ فى الهواء عنانُه هوجُ الرياح وسرجه الأعصَار
يبغى حجابَ الشمس يطلب عندها
عزًّا تحمله الجدود وساروا
لم يبقَ منه ومن حضارة عهده إلاّ صوى محجوجة ومنار
ومقالة الأجيال لم يلحقْ بهم بان ولم يدركهم حفـار

* * *

طلعوا على الوادى براية عصرهم ولكل عصر راية وشعار
اثنان ثم ترى النسور كثيرة من كل ناحية لها أوكار
سر النجاح وركن كل حضارة همم من المتطوعين كبار
نسخت بأبطال السماء بطولة فى الأرض يوشك ركنها ينهار
هذا زمان لا الأعنة منزل للبأس فيه ولا الأسنة دار
ما البأس إلا من جناحى خاطف فى البر والبحر اسمه الطيار
أترى السلامة فى السماء وظلها أم بالسماء يصولُ الاستعمار
حرم الهدى والحق ربع جلاله وغدا وراح بجانبيه دمار

ياجانب الصحراء ملء سرابها   غرر وملء ترابها أخطار

يكفيك من همم الشجاعة ليلة   لك من غوائلها خلت ونهار

لما اعتمدت على الجناح تلفتت   بيد وقلبت العيون قفار

فى كل صحراء وكل تنوفة   أرض عليك من السماء تغار

(حسنين) لو لم يعذروك لبادرت   لك من لسان جراحك الأعذار

لله سرجك فى السماء فإنه   سرج الأهلة ماعليه غبار

عرض الخسوف له فما أزرى به   مافى الخسوف على الأهلة عار

أو لم تطأ أرض السماء ولم تدر   حيث الشموس تدور والأقمار

ألقى أبو الفاروق نحوك باله   وتشاغلت بك أمة وديار

ملك رحمت بقربه وجواره   حتى كأنك للعناية جار

* * *

نصب السرادق والمطار وحلقت   فى الجو تلبس شخصك الأبصار

فلبست أقضية السماء وأسفرت   حتى نظرت وجوهها الأقدار

قدر على يمنى يديه سلامة   لك حيث ملت وفى السماء عثار

فإذا سقطت على حديد مضرم   صدف الحديد ولم تنلك النار

ماذا لقيت من النجائب كلها   قل لى أعندك للنجائب ثار

هذى تعثر فى الزمام وتلك لا   تمضى وأخرى فى السلوك تحار

فشل يعظم كالنجاح عليه من   شرف الجروح ونورهن فخار

لو لم يكن قتلى وجرحى فى الوغى   لم يعل هام الظافرين الغار

صقر قريش (عبد الرحمن الداخل)

موشح أندلسى

من لِنِضوٍ يَتنزَّى[1] ألما ... برّح الشوق به فى الغلَسَ
حنّ للبان وناجى العَلَما ... أين شرقُ الأرضِ من أندلسِ

* * *

بلبلٌ علّمه البينُ البيان ... بات فى حَبل الشجون ارتَبكا
فى سماء الليل مخلوعُ العِنانْ ... ضاقت الأرضُ عليه شَبَكا
كلما استوحش فى ظل الجِنانْ ... جُنّ فاستضحك من حيث بَكى
ارتدى بُرْنسَه والتثما ... وخطا خُطوةَ شيخٍ مُرْعَسِ[2]
ويُرى ذا حَدَبٍ إن جثما ... فإن ارتدّ بدا ذا قَعَس[3]

* * *

فمُه القانى على لَبّته ... كبقايا الدم فى نَصْل دقيق
مَدّه فانشقّ من مَنْبِته ... من رأى شِقَّى مقَصٍّ من عقيق
وبكى شجْوًا على شُعبته ... شجْوَ ذاتِ الثُّكل فى السّتر الرقيق
سَلّ من فيه لسانا عَنَمًا[4] ... ماضِيًا فى البثّ لم يحتبسِ
وتَرٌ من غير ضرب رَنّما ... فى الدّجى أو شررٌ من قبَس

* * *

نفّرت لوعتُه بعد الهدوء ... والدُّجى بيتُ الجوى والبُرَحا
يتمايا بجناح وينوء ... بجناح مُذْ وهى ما صلحا
ساءه الدهرُ وما زال يسوء ... ما عليه لو أسا ما جرحا

---

(١) يتنزى : يتوثب . (٢) المرعس : من رعس الرجل : إذا مشى مشيا ضعيفا من الإعياء . (٣) القعس : ضد الحدب ، وهو نتوء الصدر . (٤) العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب .

كلما أدمى يديه ندما ... سالتا من طوقه والبرنس
فنيت أهدابه إلا دما ... قام كالياقوت لم ينبجس[1]

* * *

مدّ فى الليل أنينا وخفق ... خفقان القرط فى جنح الشعر
فرغت منه النوى غير رمق ... فضلة الجرح إذا الجرح نغر[2]
يتلاشى نزوات فى حرق ... كذبال آخر الليل استعر
لم يكن طوقا ولكن ضرما ... ماعلى لبته من قبس
رحمة الله له هل علما ... أن تلك النفس من ذا النفس

* * *

قلت لليل وللّيل عواد ... من أخو البث فقال: ابن فراق
قلت ماواديه قال الشجو واد ... ليس فيه من حجاز أو عراق
قلت لكن جفنه غير جواد ... قال شر الدمع ما ليس يراق
نغبط الطير وما نعلم ما ... هى فيه من عذاب بئس
فدع الطير وحظا قسما ... صير الأيك كدور الأنس

* * *

ناح إذ جفناى فى أسر النجوم ... رسفا فى السهد والدمع طليق[3]
أيها الصارخ من بحر الهموم ... ماعسى يغنى غريق عن غريق
إن هذا السهم لى منه كلوم ... كلنا نازح أيك وفريق
قلب الدنيا تجدها قسما ... صرفت من أنعم أو أبؤس
وانظر الناس تجد من سلما ... من سهام الدهر شجته القسى

* * *

ياشباب الشرق عنوان الشباب ... ثمرات الحسب الزاكى النمير

---

(١) لم ينبجس : لم يتفجر . (٢) يقال جرح نغار : أى جياش بالدم . (٣) رسفا : تقيدا .

حَسبُكم في الكَرَم المحض اللباب ... سِيرةٌ تبقى بقاء ابنيْ سمير[1]
في كتاب الفخر (للداخل[2]) بابٌ ... لم يَأتِه من بني المُلك أمير
في الشموس الزُّهرِ بالشام انتمى ... ونَمى الأقمارَ بالأندلس
قَعد الشرقُ عليهم مأتما ... وانثنى الغربُ بهم في عُرُس

***

هل لكم في نبأ خير نَبَأْ ... حِليةِ التاريخ مأثور عظيمْ
حل في الأنباء ما حلّت سَبأْ ... منزل الوُسطى من العقد النّظيم
مثله المقدارُ يومًا مَا خَبَأْ ... لسليب التاج والعرش كَظيم
يُعجزُ القُصّاصَ إلا قَلَما ... في سوادٍ من هوى لم يُغمَس
يؤثِر الصّدق ويجزى عَلَما ... قلَب العالَمَ لو لم يُطْمَس

***

عن عِصاميّ نبيلٍ مُعْرِقٍ ... في بُناةِ المجد أبناءِ الفَخارْ
نهضتْ دولتهم بالمشرق ... نهضةَ الشمسِ بأطراف النّهار
ثم خان التاجُ وُدّ المَفْرق ... ونَبَتْ بالأنجم الزُّهر الديار
غفَلوا عن ساهرٍ حول الحِمى ... باسطٍ من ساعِدَيْ مُفترِس
حام حول الملك ثم اقتحما ... ومشَى في الدم مشى الضّرِسِ

***

ثأرُ عثمانَ لمروان مَجازْ ... ودَمَ السِّبْط[3] أثار الأقرَبُونْ
حسّنوا للشام ثأرًا والحجازْ ... فتَغَالى الناسُ فيما يطلبونْ
مَكرُ سُوّاسٍ على الدّهماء جازْ ... ورُعاةٌ بالرّعايا يلعبون
جعلوا الحقّ لبَغْي سُلّما ... فهو كالسّتر لهم والتُّرسِ
وقديمًا باسمه قد ظَلَما ... كلُّ ذى مِئذَنَةٍ أو جَرَس

(١) ابنى سمير : الليل والنهار . (٢) هو عبد الرحمن الداخل أول ملوك بنى أمية فى الأندلس . (٣) يعنى بالسبط الحسين بن على صلوات الله عليه .

جُزِيتْ مروانُ[1] عن آبائها   ما أراقوا من دماء ودموع

ومن النَّفس ومن أهوائها   مايؤديه عن الأصل الفروع

خلَّتِ الأعوادُ من أسمائها   وتغطَّت بالمصاليب الجذوع

ظَلَمَتْ حتى أصابت أظلَمَا[2]   حاصدَ السيف وبىء المحبَس

فطِنًا في دعوة الآلِ لِما   همس الشانى وما لم يهمس

***

لبِست بُرْدَ النبىّ النيِّرات   من بنى العبَّاس نورًا فوق نور

وقديما عند مروان تِراتْ   لزكيَّات من الأنفُس نور

فنجا الداخلُ سبْحًا بالفُرات   تارك الفتنة تَطغَى وتَثُور[3]

غَسَّ[4] كالحوت به واقتحما   بين عِبْريه عيون الحَرَس

ولقد يُجدى الفتى أن يَعلَما   صَهْوَةَ الماءِ ومَتْنَ الفرَس

***

صحِب الداخلَ من إخوته   حدثٌ خاض الغِمار ابنُ ثمانْ

غلَب الموج على قوّته   فكأن الموج من جُنْدِ الزّمان

وإذا بالشط من شِقْوته   صائحٌ صاح به : نِلتَ الأمان

فاتَّقى مُنْخدِعًا مُستَسْلِما   شاةٌ اغترّت بعَهد الأطْلَسِ[5]

خضَب الجُندُ به الأرضَ دَما   وقلوبُ الجند كالصّخر القسِى

***

أيها اليائسُ مُت قبل المَمَاتْ   أو إذا شئتَ حياةً فالرّجا

لا يَضِقْ ذَرعُك عند الأزَماتْ   إن هى اشتدّت وأمِّلْ فَرَجا

ذلك الداخلُ لاقى مظْلِماتْ   لم يكن يأمُل منها مَخْرَجًا

---

(١) يعنى بمروان : بنى مروان . (٢) الأظلم هنا هو أبو مسلم الخراسانى صاحب دعوة بنى العباس وقد سلب بنى أمية ملكهم . (٣) ثارت الفتنة : وقعت وانتشرت .

(٤) غس : دخل ومضى . (٥) الأطلس : الذئب .

قد تولىّ عزُّه وانصرما　　فضى من غَدِه لم ييأس
رام بالمغرب مُلكًا فرمى　　أبعدَ الغَمْرْ وأقصى اليَبَس

* * *

ذاك واللهِ الغنى كلُّ الغنى　　أىّ صعبٍ فى المعالى ماسَلَك
ليس بالسائل إن همّ متى　　لا ولا الناظرِ ما يُوحى الفَلك
زايل المُلكُ ذويه فأتى　　مُلكَ قومٍ ضيّعوه فملك
غمَراتٌ عارضت مُقتحما　　عالىَ النفس أشمّ المَعْطس[1]
كلّ أرضٍ حلّ فيها أو حِمى　　منزلُ البدرِ وغابُ البَيْهس[2]

* * *

نزلَ النّاجى على حُكم النّوى　　وتوارى بالسُّرى من طالبيه
غيرَ ذى رَحْلٍ ولا زادٍ سوى　　جوهرٍ وافاه من بيت أبيه
قمرٌ لاقى خُسوفًا فانزوى　　ليس من آبائه إلا نَبيه
لم يجِدْ أعوانَه والخدما　　جانبوه غيرَ (بدر) الكيِّس
مَن مواليه الثقاتِ القدَما　　لم يخنه فى الزمان المؤنِسِ

* * *

حين فى إفريقيا انحلّ الوِئامْ　　واضمحلّت آيةُ الفتح الجليلْ
ماتت الأمة فى غير الشام　　وكثير ليس يلتامُ قليلْ
يمَنٌ سَلّت ظُباها والشآم　　شامَها[3] هندية ذاتَ صليل
فرّق الجندَ الغِنى فانقسما　　وغدا بينهم الحق نسِى
أوحشَ السؤددُ فيهم وسَما　　للمعالى من به لم تأنَس

* * *

رُحِموا بالعبقرىّ النّابه　　البعيد الهمّةِ الصّعبِ القِيادْ

---

(١) المعطس : الأنف . (٢) البيهس : الأسد . (٣) شام : سل .

مدَّ فى الفتح وفى أطنـــابه   لم يَقف عنـــد بِنـاء ابن زياد [١]

هجرَ الصيد فـا يُعْنَى به   وهو بالملك رفيقٌ ذو اصطيـاد

سَلْ به أندلسا هل سَـلِبا   من أخى صيد رفيق مَرِسِ [٢]

جرَّد السيفَ وهزَّ القلمـــا   ورمى بالرأى أمَّ الْخلَس [٣]

* * *

بسـلام ياشراعا ماذَرَى   ماعليه من حيَاء وسَخَاء

فى جنّاح المَلك الرُّوح [٤] جرى   وبريح حفها اللطفُ رُخَاء

غسَل اليَمُّ جِراحَاتِ الثّرى   ومحا الشّـــدةَ من يمحو الرّخاء

هـل دَرى أندلس من قَدما   دارَه من نحو بيت المَقدِسِ

بسليل الأُمَويّين سَمـا   فتحُ موسى مُسْتَقرَّ الأسسِ

* * *

أُمَوىٌّ للعُلا رحلـتُـــه   والمعـالى بَمطِيّ وطرُقْ

كالهلال انفردَت نُقلتُه   لا يُجاريه ركابٌ فى الأفُق

بُليتْ من خُلُق دُولتُه   قد يَشيد الدُّوَلَ الشُّمَّ الْخلُق

وإذا الأخلاقُ كانت سُلـّما   نالت النَّجـــمَ يَدُ المُلْتَمِس

فاْرقَ فيهـا تَرْق أسباب السَّما   وعلى ناصـــيةِ الشمس اجْلِس

* * *

أىَّ مُلكٍ من بنـايات الهِمَمْ   أسَّسَ الدّاخلُ فى الغربِ وشاد

ذلك النـــاشئُ فى خيرِ الأمم   ساد فى الأرض ولم يخلق يُسَـاد

حكمت فيه الليالى وحَكَمْ   فى عَواديها قِيادًا بقِياد

سُلِب العـــزَّ بشرقٍ فرَمى   جانبَ الغـــرب لعزٍّ أقعَس

---

(١) هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير فاتح الأندلس فى عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى . (٢) المرس : الشديد المجرب فى الحروب ، يقال : إنه لمرس حذر . (٣) الخلس : جمع خلسة وهى الفرصة . (٤) الملك الروح : جبريل .

وإذا الخيرُ لعبدٍ قُسِما سنح السَّعدُ له فى النَّحس

***

أيها القلبُ أحقٌّ أنتَ جارْ للذى كان على الدهر يجيرْ

هاهنا حلّ به الرّكب وسارْ وهنا ثاو إلى البعث الأسير

فَلَكٌ بالسَّعد والنَّحس مُدارْ صَرع الجامَ(١) وألوى بالمُدير

هاهنا كنتَ ترى حُوَّ الدُّمَى فاتناتٍ بالشِّفاه اللُّعُس(٢)

ناقلاتٍ فى العَبير القَدَما واطئاتٍ فى حَبير السُّندُس

***

خُذْ عن الدُّنيا بليغَ العِظَةِ قد تجلَّت فى بليغ الكَلِم

طرَفاها جمعا فى لَفظةِ فتأمَّل طرَفيها تَعلَمِ

الأمانى حُلُمٌ فى يقظةِ والمنايا يقظةٌ من حُلُمِ

كلُّ ذى سِقْطَيْنِ(٣) فى الجوِّ سما واقعٌ يومًا وإن لم يُفترَس

وسيلقى حَينه نَسر السما يوم تطوى كالكتاب الدرس

***

أين ياواحدَ مروانَ عَلَمْ من دعاك الصقرَ سمّاه العُقاب(٤)

رايةٌ صرَّفها الفَرْدُ العَلَمْ عن وجوه النَّصر تصريفَ النقاب

كنت إن جرَّدتَ سيفًا أو قلَمْ أُبتَ بالألباب أو دِنْتَ الرِّقاب

مارأى الناسُ سواه علَما لم يُرَمْ فى لُجَّةٍ أو يَبِس

أعلى رُكن السِّماك ادَّعَما وتَغطّى بجَناح القُدُس

***

قصرُك (المُنية) من قُرطبة فيه وارَوْك ولله المَصير

(١) الجام : الكأس . (٢) اللعس : سواد مستحسن فى الشفة .
(٣) السقط : جناح الطائر . (٤) العقاب : اسم راية الداخل .

صَدَفٌ خُطَّ على جوهرة | بيد أن الدهر نَبَّاشٌ بصير
لم يدع ظلا لقصر (المنيـة) | وكذا عمر الأمانىّ قصير
كنتَ صقرًا قُرَشيًّا عَلَما | ما على الصقر إذا لم يُرْمَس
إن تَسَلْ أين قبورُ العُظما | فعلى الأفواه أو فى الأنفس

* * *

كم قبورٍ زينت جيدَ الثرى | تحتها أنجسُ من مَيْتِ المجوس
كان مَن فيها وإن جازوا الثرى | قبل موت الجسم أموات النفوس
وعظامٌ تتزكّى عنبرًا | من ثناء صِرنَ أغفالَ الرموس
فاتخذ قبرَك من ذِكرٍ فما | تَبِنِ مِن محموده لا يُطْمَس
هَبْك من حِرص سكنت الهرما | أين بانيه المنيعُ الملمَس

رَحْلَة

شـيَّعتُ أحلامى بقلبٍ باك | ولمحت من طرق الملاح شباكى
ورجعت أدراجَ الشباب ووردِه | أمشى مكانهما على الأشـواك
وبجانبي واهٍ كأن خفوقه | لما تلفت جهشة المتباكى
شاكى السلاح إذا خلا بضلوعه | فإذا أهيب به فليس بشاك
قد راعه أنى طويْت حبائلى | من بعد طول تناول وفكاك
ويح ابن جنبى كل غاية لذة | بعد الشباب عزيزة الإدراك
لم تبقَ منا يا فـؤادُ بقيةٌ | لفتوة أو فضلةٌ لعراك
كنا إذا صفقت نستبق الهوى | ونشدّ شدّ العصبة الفُتاك

والبوم تبعث فيّ حين تهزني ... ما يبعث الناقوس في النساك

* * *

يا جارةَ الوادي طربت وعادني ... ما يشبهُ الأحلامَ من ذكراك
مثّلت في الذكرى هواك وفي الكرى ... والذكرياتُ صدى السنينَ الحاكي
ولقد مررت على الرياض بربوة ... غناء كنت حيالها ألقاك
ضحكتْ إليّ وجوهها وعيونها ... ووجدت في أنفاسها ريّاك
فذهبت في الأيام أذكر رفرفا ... بين الجداول والعيون حواك
أذكرت هرولة الصبابة والهوى ... لما خطرت يقبلان خطاك
لم أدر ما طيبُ العناق على الهوى ... حتى ترفق ساعدي فطواك
وتأوّدت أعطاف بانك في يدي ... واحمرّ من خفرَيهما خدّاك
ودخلت في ليلين فرعِك والدجى ... ولثمتُ كالصبح المنوّر فاك
ووجدت في كنه الجوانح نشوة ... من طيب فيك ومن سلاف لَماك
وتعطلت لغة الكلام وخاطبت ... عينيّ في لغة الهوى عيناك
ومحوت كل لُبانة من خاطري ... ونَسِيت كل تعاتب وتشاكي
لا أمسِ من عمر الزمان ولا غدٌ ... جُمِع الزمان فكان يومَ رضاك

* * *

لُبنان ردّتني إليكَ من النوى ... أقدار سَيرٍ للحياة دَرّاك
جمعت نزيليْ ظَهرها من فرقة ... كرةٌ وراء صوالج الأفلاك
نمشي عليها فوقَ كل فجاءة ... كالطير فوق مكامن الأشراك
ولو أنّ بالشوق المزار وجدتني ... ملقى الرحال على ثراك الذاكي

* * *

بنت البقاع وأم بردونيّها ... طيبي كجلّق واسكبي بَرداك

ودمشق جنات النعيم وإنما ألفَيْتُ سُـدّةَ عدنهن رباك
قسما لو انتمت الجداولُ والربا لتهلل الفردوس ثم نماك
مَرآك مرآه وعينك عينه لم يا زحيلةُ لا يكون أباك
تلك الكروم بقيةٌ من بابل هيهات نسّى البابلى جناك
تبدى كوشى الفرس أفتَنَ صبغةٍ للناظرين إلى ألذ جناك
خرزات مسك أو عقود الكهربا أودعن كافورا من الأسلاك
فكرت فى لبن الجنان وخمرها لما رأيت الماء مسّ طلاك
لم أنس من هبة الزمان عشية سلفت بظلك وانقضت بذراك
كنت العروس على منصة جنحها لُبنان فى الوشى الكريم جلاك
يمشى إليك اللحظ فى الديباج أو فى العاج من أى الشعاب أتاك
ضمت ذراعيها الطبيعة رقة صِنّين والحرمون (١) فاحتضناك
والبدر فى ثَبَج السماء منور سالت حلاه على الثرى وحلاك
والنيرات من السحاب مطلة كالغيد من ستر ومن شباك
وكأن كل ذؤابة من شاهق ركن المجرة أو جدار سماك
سكنت نواحى الليل إلا أنة فى الأيك أو وترا شجىَّ حراك
شرفا عروس الأرز كل خريدة تحت السماء من البلاد فداك
ركز البيان على ذراك لواءه ومشى ملوك الشعر فى مغناك
أدباؤك الزهر الشموس ولا أرى أرضا تمخض بالشموس سواك
من كل أروع علمه فى شعره ويراعه من خلقه بملاك
جمع القصائد من رباك وربما سرق الشمائل من نسيم صباك

---

(١) هضبتان فى زحله .

(موسى) ببابك فى المكارم والعلا … وعصاه فى سحر البيان عصاك
أحللت شعرى منك فى عليا الذرا … وجمعته برواية الأمـــلاك
إن تكرمى يا زحل شعرى إننى … أنكرت كلّ قصيــدة إلاك
أنت الخيــال بديعهُ وغريبه … الله صاغك والزمان رواك

ذِكْرَى اسْتِقْلَالِ سُورِيا وذِكْرَى شُهَدَائِهَا

حياةٌ ما نريدُ لهـا زِيالا … ودُنيا لا نودّ لهـا انتقالا
وعيشٌ فى أصول الموت سمٌّ … عصارته، وإن بَسط الظلالا
وأيامٌ تطـيرُ بنا سحاباً … وإن خيلت تدب بنا نمالا
نُريها فى الضمير هوى وحُبا … ونُسمعها التبرم والملالا
قِصارٌ حين نجرى اللهوَ فيها … طوالٌ حين نقطعها فعالا
ولم تضق الحياة بنا ولكن … زحامُ السوء ضيقها مجالا
ولم تقتــل براحتها بنيها … ولكن سابقوا الموت اقتتالا
ولو زاد الحياة الناسُ سعياً … وإخلاصاً لزادتهم جمالا

* * *

كأنّ الله إذ قسمَ المعالى … لأهل الواجبِ ادّخر الكمالا
ترى جدا ولست ترى عليهم … ولوعاً بالصغائر واشتغالا
وليسوا أرغدَ الأحياء عيشاً … ولكن أنعمَ الأحياء بالا
إذا فعلوا فخيرُ الناس فعلا … وإن قالوا فأكرمهم مقالا
وإن سألتهمو الأوطانُ أعطوا … دماً حرًّا وأبنـاء ومالا

* * *

بنى البلد الشقيق عزاء جارٍ ... أهاب بدمعه شجنٌ فسالا

قضى بالأمس للأبطال حقاً ... وأضحى اليومَ بالشهداء غالى

يعظم كل جهدٍ عبقريٍ ... أكان السلم أم كان القتالا

وما زلنا إذا دهت الرزايا ... كأرحم ما يكون البيت آلا

وقد أنسى الإساءةَ من حسودٍ ... ولا أنسى الصنيعةَ والفعالا

ذكرت المهرجانَ وقد تجلى ... ووفد المشرقين وقد توالى

ودارى بين أعراس القوافى ... وقد جليت سماء لا تعالى

تسلّلَ فى الزحام إلىَّ نضوٌ ... من الأحرار تَحسبه خيالا

رسولُ الصابرين ألمّ وهنّا ... وبلّغنى التحية والسؤالا

دنا منى فناولنى كتاباً ... أحست راحتاى له جلالا

وجدت دمَ الأسود عليه مسكاً ... وكان الأصلُ فى المسك الغزالا

كأنّ أسامىَ الأبطال فيه ... حواميم على رق تتالى

رواةُ قصائدى، قد رتّلوها ... وغنّوها الأسنة والنصالا

إذا ركزوا القنا انتقلوا إليها ... فكانت فى الخيام لهم نقالا

* * *

بنى سوريةَ اطّرحوا كيوم ... خرجتمْ تطلبون به النزالا

سَلُوا الحرية الزهراء عنّا ... وعنكم هل أذاقتنا الوصالا ؟

وهل نلنا كلانا اليوم إلا ... عراقيبَ المواعدِ والمطالا !

عرفتم مهرها فمهرتموها ... دماً صَبغَ السباسبَ والدغالا

وقمتمْ دونها حتى خضبتمْ ... هوادجَها الشريفة والحجالا

دعُوا فى الناس مفتوناً جباناً ... يقول الحرب قد كانت وبالا

أيطلب حقَّهم بالروح قومٌ فتسمع قائلا ركبوا الضلالا؟
وكونوا حائطاً لا صدعَ فيهِ وصفًّا لا يُرقّع بالكسالى
وعيشوا فى ظلال السلم كدًّا فليس السلمُ عجزاً واتّكالا
ولكن أبعد اليومين مرمى وخيرهما لكم نصحا وآلا
وليس الحرب مركبَ كل يوم ولا الدم كلَّ آونةٍ حلالا

* * *

سأذكر ما حييت جدارَ قبر بظاهر جِلّق رَكِبَ الرمالا
مقيمٌ ما أقامت « ميسلون » يذكر مصرع الأسد الشبالا
لقد أوحى إلىّ بما شجانى كما تُوحى القبورُ إلى الثكالى
تغيب عظمة العظمات فيه وأولُ سيد لقى النبالا
كأن بناته رفعوا منارا من الإخلاص أو نصبوا مثالا
سراجُ الحقّ فى ثبج الصحارى تهاب العاصفات له ذبالا
ترى نور العقيدة فى ثراه وتنشقُ من جوانبه الخلالا
مشى ومشت فيالقُ من فرنسا تجرّ مطارف الظفر اختيالا
ملأن الجوّ أسلحةً خفافاً ووجهَ الأرض أسلحةً ثقالا
وأرسلْن الرياح عليه ناراً فما حفل الجنوب ولا الشمالا
سلوه : هل ترجل فى هبوبٍ من النيران أرجلت الجبالا؟
أقام نهاره يلقى ويلقى فلما زال قرص الشمس زالا
وصاح ترى به قيدَ المنايا ولست ترى الشكيمَ ولا الشكالا
فكُفّن بالصوارم والعوالى وغُيب حيث جال وحيث صالا
إذا مرت به الأجيال تترى سمعت لها أزيزاً وابتهالا
تعلق فى ضمائرهم صليبا وحلّق فى سرائرهم هلالا

تمثالُ نَهْضَةِ مصر

جعلتُ حُلاها وتمثالهـا عيونَ القوافى وأمثالها
وأرسلتها فى سماء الخيـال تجرُّ على النجم أذيالهـا
وإنى لغرِّيدُ هذى البِطاح تَغذَّى جَناها وسَلْسالهـا
ترى مصرَ كعبةَ أشعاره وكلٌّ معلَّقةٍ قالهـا
وتلمحُ بين بيوتِ القصيدِ حِجالَ[1] العروسِ وأحجالها[2]
أدار النسيبَ إلى حبِّهـا وولَّى المدائحَ إجلالهَا
أرَنَّ بغابرِها العبقرىّ وغنّى بمثل البكى حالهَا
ويَروى الوقائعَ فى شعره يَروض على البـأس أطفالها
وما لمحوا بعدُ ماء السيوف فما ضرّ لو لمحوا آلهَا

* * *

ويومٍ ظليلِ الضُّحى من بَشَنْسَ أفاء على مصر آمالهـا
روى ظلُّه عن شباب الزمانِ رفيفَ الحواشى وإخضالَها[3]
مشت مصرُ فيه تُعيدالعصورَ ويغمرُ ذكر الصِّبا بالهَا
وتَعرِضُ فى المِهرجانِ العظيمِ ضُحاها الخوالى وآصالهـا

* * *

وأقبل (رمسيس) جَمَّ الجلال سَنِىَّ المواكب مُختالهَا
وما دَان إلا بشورى الأمور ولا اختال كِبْرا ولا استالها
تحَنَّى بأبلجَ مثل الصَّباح وجوهَ البـلاد وأرسالهَا
وأوى إلى ظلماتِ القرون فشقَّ عن الفنّ أسدالهَا

* * *

---

(١) الحجال : جمع حجلة ، وهى بيت العروس . (٢) الأحجال : الخلاخيل . (٣) اخضل الشىء : ابتل .

فمن يُبلِغُ (الكَرْنكَ) الأقصرىّ
ويلْقِ (طِيبة) أطلالها

ويُسمِع ثَمّ بوادى الملوك ملوكَ الديار وأقيالهَا
وكلّ مخلّدةٍ فى الدُّمَى هنالك لم نُحصِ أحوالهَا
عليها من الوحى ديباجةٌ ألحَّ الزمانُ فما ازدالها
تكاد وإن هى لم تتّصل بروح تُحرّك أوصالها
وما الفنُّ إلا الصريحُ الجميلُ إذا خالطَ النفسَ أوحى لهَا
وما هو إلا جمالُ العقول إذا هى أولته إجمالها

* * *

لقد بعث اللهُ عهدَ الفنون وأخرجت الأرضُ مَثّالهَا
تعالوْا نرى كيف سوّى الصَّفاةَ فتاةً تلَمْلِمُ سِربالهَا
دَنت من أبى الهول مَشْىَ الرؤومِ إلى مُقْعَدٍ هاجَ بلْبالها
وقد جاب فى سَكَرات الكَرى عُرُوض الليالى وأطوالها
وألقى على الرّمل أرواقه[1] وأرسى على الأرض أثقالها
يُخال لإطراقه فى الرّمال سطيحَ[2] العصور ورمّالها
فقالت : تحرّك فهمّ الجماد كأن الجماد وعى قالهَا
فهل سَكَبتْ فى تجاليده شُعاعَ الحياةِ وسيّالها
أتذكُر إذ غضبَت كاللّباة[3] ولمّت من الفيل أشبالها
وألقت بهم فى غِمار الخطوب فخاضوا الخطُوبَ وأهوالها
وثاروا فُجنّ جُنونُ الرّياح وزُلزِلتِ الأرض زلزالها

---

(١) يقال ألقى أرواقه بالمكان : نزل به وضرب خيمته .
(٢) سطيح : اسم لكاهن من كهان العرب ، والسطيح أيضا : البطىء القيام لضعف أو زمانة .
(٣) اللباة : لغة فى اللبؤة .

وبات تلمسهم شيخهم حديث الشعوب وأشغالها
ومن ذا رأى غابة كالحت فردت من الأسر رئبالها
وأهيب ما كان بأس الشعوب إذا سلح الحق أعزالها

* * *

(فؤاد) ارفع الستر عن نهضة تقدم جدك أبطالها
ورب أمرئ لم تلده البلاد نماها ونبه أنسالها [1]
وليس اللآلئ ملك البحور ولكنها ملك من نالها
وما (كعلي) ولا جيله إذا عرضت مصر أجيالها
بنوا دولة من بنات الأسنة لم يشهد (النيل) أمثالها
لئن جلل البحر أسطولها لقد لبس البر قسطالها [2]
فأما أبوك فدنيا الحضارة لو سالم الدهر إقبالها
تخير (إفريقيا) تاجه وركب فى التاج (صومالها)
ركابك يا (ابن المعز) الغيوث ويفضلن فى الخير منوالها
إذا سرن فى الأرض نسينها ركاب السماء وأفضالها
فلم تبرح القصر إلا شفيت جدوب العقول وإمحالها
لقد ركب الله فى ساعديك يمين الجدود وشمالها
تخط وتبنى صروح العلوم وتفتح للشرق أقفالها

---

(١) أنسال : جمع نسل . (٢) القسطال : غبار الحرب .

الحُرِّيةُ الحَمْراء

قيلت فى احتفال بيوم ١٣ نوفمبر

فى مهرجان الحق أو يوم الدمِ ... مهجٌ من الشهداء لم تتكلمِ
يبدو على هاتورَ نورُ دمائها ... كدمِ الحسينِ على هلال محرّم
يوم الجهاد بها كصدر نهاره ... متمايلُ الأعطاف مبتسمُ الفم
طلعت تحجُّ البيت فيه كأنها ... زُهر الملائك فى سماء الموسم
لم لا تطلُّ من السماء وإنما ... بين السحاب قبورُها والأنجم
ولقد شَجاها الغائبون وراءها ... ما حلَّ بالبيت المضىءِ المظلمِ
وإذا نظرتَ إلى الحياة وجدتَها ... عُرساً أُقيم على جوانب مأتم
لا بدَّ للحرية الحمراء من ... سَلوى ترقد جرحَها كالبَلسم
وتبسم يعلو أسرّتها كما ... يعلو فم الثكلى وثغر الأيّم
يومُ البطولة لو شهدت نهارَه ... لنظمت للأجيالِ ما لم ينظم
غُبنت حقيقتُه وفات جمالها ... باع الخيال العبقرى الملهَم
لولا عوادى النفى أو عقباته ... والنفى حال من عذاب جهنم
جمعت ألوان الحوادث صورةً ... مثّلتُ فيها صورةَ المستسلم
وحكيت فيها النيلَ كاظم غيظه ... وحكيته متغيظاً لم يكظم
دعت البلاد إلى الغمار فغامرت ... وطنيةٌ بمثقف ومعلم
ثارت على الحامى العتيد وأقسمت ... بسواه جل جلاله لا تحتمى
نثر الكنانة ربها وتخيرت ... يده لنصرتها ثلاثة أسهم
من كلِّ أعزل حقُّه بيمينه ... كالسيف فى يمنى الكمىِّ المعلّم

لم يُحجموا فى ساعة قد أظفرت مَلِكَ البحار بكل قيصر محجم
وقفوا مطيّهمو بسلّم قصره والبأس والسلطان دون السلم
وتقدّموا حتى إذا ما بلغوا أوحَوْا إلى مصر الفتاة تقدمى
سالت من الغاب الشبولُ غلابها لبن اللباةِ وهاج عرقُ الضيغم
يومَ النضال كستك لونَ جمالها حريةٌ صبغت أديمك بالدم
أصبحت من غرر الزمان وأصبحت ضحكت أسرة وجهك المتجهم
ولقد يُمت فكنت أعظم روعة ياليت من « سعد » الحمى لم تَيتَم
لينم أبو الأشبال ملء جفونه ليس الشبول عن العرين بنوّم

وقال فى تكريم الدكتور على بك إبراهيم الجراحى العبقرى

ابتغوا ناصيةَ الشمس مكانا وخُذوا القمّةَ علماً وبيانا
واطلبُوا بالعبقريات المدى ليس كلُّ الخيل يشهدن الرهانا
ابعثوها سابقاتٍ نجُبًا تملأ المضمارَ معنًى وعيانا
وثبوا للعزّ من صهوتها وخذوا المجدَ عناناً فعنانا
لا تثيبوها على ما قلدت من أياد ، حسداً أو شنآنا

* * *

وضئيلٍ من أساة الحى لم يعن باللحم وبالشحم اختزانا
ضامرٍ فى سفعة تحسبه نضو صحراء ارتدى الشمس دهانا
أو طبيبا آيبا من « طيبة » لم تَزَلْ تَنْدَى يداه زعفرانا
تنكر الأرضُ عليه جسمَه واسمُه أعظمُ منها دورانا
نال عرش الطب من « امحوتب » وتلقّى من يديه الصولجانا
يالأمحوتبَ من مستأله لم يلد إلا حواريًّا هجانا
خاشعاً لله لم يُزْهَ ولم يرهق النفس اغتراراً وافتتانا

يلمس القدرةَ لمساً كلمـا   قلب الموت وجس الحيوانا

لو يُرى الله بمصباح لما   كان إلا العلم جل الله شانا

فى خلال لفتت زهر الربى   وسجايا أنست الشرب الدنانا

لو أتاه موجعا حاسده   سَلَّ من جنب الحسود السرطانا

خير مَن علّم فى «القصر» ومن   شقَّ عن مستتر الداء الكنانا

كلُّ تعليم تراه ناقصا   سلم رث إذا استعمل خانا

درك مستحدث من درج   ومن الرفعة ما حط الدخانا

***

لاعدمنا «للسيوطىّ» يداً   خُلقت للفتق والرتق بنانا

تصرف المشرطَ للبرء كما   صرّف الرمح إلى النصر السنانا

مدَّها كالأجلِ المبسوط فى   طلب البُرء اجتهادا وافتنانا

تجد الفولاذَ فيها محسناً   أخذ الرفقَ عليها والليانا

يدُ «إبراهيم» لو جئتَ لها   بذبيح الطير عاد الطيرانا

لم تخط للناس يوما كفناً   إنما خاطت بقاء وكيانا

ولقد يؤسى ذوو الجرحى بها   من جراح الدهر أو يشفى الحزانى

نبغَ الجيل على مِشرطها   فى كفاح الموت ضربا وطعانا

لو أتت قبل نضوج الطب ما   وجد التنويم عونا فاستعانا

***

ياطرازا يبعث الله به   فى نواحى ملكه آنا فآنا

من رجال خلقوا ألويةً   ونجوما وغيوثا ورعانا

قادة الناس وإن لم يقربوا   طبعات الهند والسمر اللدانا

وغذاء الجيل فالجيل وإن ... نسى الأجيال كالطفل اللبانا

وهمو الأبطال كانت حربهم ... منذ شنوها على الجهل عوانا

* * *

ياأخى: والذخر فى الدنيا أخٌ ... حاضر الخير على الخير أعانا

لك عند ابنىَ أو عندى يد ... لستُ آلوها ادكارًا وصيانا

حَسُنت منّى ومنه موقعًا ... فجعلنا حرزَها الشكر الحسانا

هل ترى أنت ؟ فإنى لم أجد ... كجميل الصنع بالشكر اقترانا

وإذا الدنيا خلَتْ من خيّرٍ ... وخلت من شاكرٍ هانت هوانا

دفع الله « حسينًا » فى يد ... كيد الألطاف رفقا واحتضانا

لو تناولت الذى قد لمست ... منه مازدت حذارًا وحنانًا

جرحه كان بقلبى ، يا أبا ... لا أنبيه بجرحى كيف كانا

لطف الله فعوفينا معًا ... وارتهنّا لكَ بالشكر لسانا

وقال وهى القصيدة التى ألقيت فى دار الأوبرا الملكية فى حفلة افتتاح مؤتمر تكريمه الذى انعقد فيها

مرحبًا بالربيع فى رَيْعانهْ ... وبأنواره وطيبِ زمانهْ

رفّت الأرضُ فى مواكب آذا ... رَ وشبّ الزمان فى مهْرَجانه

نزل السهلَ ضاحكَ البِشر يمشى ... فيه مَشْيَ الأميرِ فى بُستانه

عاد حَليًا براحتَيْه وَوشْيًا ... طولُ أنهارِه وعَرْضُ جنانه

لفّ فى طيْلسانه طُرَرَ الأر ... ضِ فطاب الأديمُ من طيْلسانه

ساحرٌ فتنةُ العيون مبينٌ ... فصّل الماءَ فى الربا بجمانه

عبقرىُّ الخيالِ زاد على الطيـ ... ـفِ وأربى عليه فى ألوانه

صِبغَةُ الله ! أين منها رَفائيــلُ ومِنقاشه وسحرُ بنــانه

رنّم الروضُ جدولا ونسيمًا وتلا طيرَ أيكِه غصنُ بانه

وشدت في الرُّبا الرياحينُ همسًا كتغنّي الطروبِ في وجدانه

كلُّ رَيحانةٍ بلحنٍ كعُرس ألّفت للغنــاء شتى قِيانه

نَغَمٌ في السماء والأرض شتى من معاني الربيع أو ألحانه

أين نَوْرُ الربيع من زَهَر الشعــر إذا ما استوى على أفنانه

سرمدُ الحسن والبشاشةِ مهما تلتمسْهُ تجدْه في إبّانه

حَسَنٌ في أوانه كلُّ شيء وجمالُ القريض بعد أوانه

ملك ظِلّهُ على رَبْوَة الخُلــد وكُرسيّه على خُلجانه

أمرَ الله بالحقيقةِ والحكـ ـمةِ فالتفّتا على صــولجانه

لم تَنُرْ أمّةٌ إلى الحقِّ إلا بهُدَى الشعرِ أو خُطا شيطانه

ليس عَزْفُ النحاس أوقَعَ منه في شجاع الفؤادِ أو في جبانه

* * *

ظلّلتني عناية من «فؤادٍ» ظلّل اللهُ عرشَــهُ بأمانه

ورعاني رعى الإله له «الفارو ق» طفلا ويوم مرجُوّ شانه

مَلِك النيلِ من مَصبّيْه بالشـط إلى مَنْبَعيه من سودانه

هو في المُلك بدرهُ المتجلّي حُفّ بالهالتين من (برلمانه)

زادهُ الله بالنيــابةِ عزًّا فوق عزّ الجلال من سلطانه

* * *

منبرُ الحقّ في أمانة «سعد» وقِوامُ الأمورِ في ميزانه

لم يرَ الشرقُ داعيًا مثل «سعد» رَجّه من بِطاحه ورعانه[1]

---

(١) الرعان : رؤوس الجبال .

ذكّرته(1) عقيدةُ الناسِ فيهِ   كيف كان الدخولُ فى أديانه

نهضةٌ من فتى الشيوخ وروحٌ   سرَيَا كالشبابِ فى عُنفوانه

حرّكا الشرقَ من سكونٍ إلى القيـ   ـدِ وثارَا بهِ على أرسانه

وإذا النفسُ أنهضت من مريض   دَرَجَ البُرءُ فى قوى جُثمانه

* * *

ياعُكاظًا تألّف الشرقُ فيه   من فِلسطينهِ إلى بغدانه

افتقدْنا الحجازَ فيه فلم نعـ   ـثُرْ على قُسّهِ ولا سَحبانه

حملتْ مصرُ دونه هيكلَ الد   ينِ وروحَ البيان من فرقانه

وُطّدتْ فيك من دعائمها الفُصْـ   ـحَى وشُدَّ البيانِ من أركانه

إنما أنت حَلبةٌ لم يُسخّرْ   مثلُها للكلامِ يوم رِهانه

تتبارى أصائلُ الشام فيها   والمذاكى العتاقُ من لُبنانه

قلدتنى الملوكُ من لؤلؤ البحريـ   ـن آلاءها ومن مَرجانه

نخلة لا تزال فى الشرق معنى   من بداواته ومن عمرانه

حنَّ للشامِ حِقبةً وإليها   فاتحُ الغرب من بنى مروانه

وحبتنى بمُنبَاىُ فيها يراعًا   أفرغَ الوُدُّ فيه من عِقيانه

ليس تلقى يراعَها الهند إلا   فى ذُرَا الخُلْقِ أو وراءَ ضمانه

أنتضيه انتضاءَ موسى عصاه   يفرَقُ المستبدُّ من ثعبانه

يلتقى الوحىَ من عقيدةِ حُرٍّ   كالحواريِّ فى مدَى إيمانه

غيرَ باغٍ إذا تطلّب حقًّا   أو لئيمِ اللَّجاجِ فى عُدوانه

موكِب الشعرِ حرّكَ المتنبى   فى ثراهُ وهزَّ من حَسّانه

شرّفتْ مصرَ بالشموسِ من الشر   ق نجومُ البيانِ من أعيانه

---

(1) الضمير عائد على الشرق .

قد عَرَفنا بنجمه كلَّ أُفقٍ   واستبنّا الكتابَ من عنوانه
لست أنسى يداً لإخوان صدقٍ   منحونى جزاء مالم أعانِه
رُبَّ سامى البيانِ نبّه شأنى   أنا أسمو إلى نباهة شـــانه
كان بالسبقِ والميادينِ أولى   لو جرى الحظ فى سَواء عنانه
إنمـا أظهروا يدَ الله عندى   وأذاعوا الجميلَ من إحسانه
ما الرحيق الذى يذوقون من كَرْ   مِى وإن عشت طائفًا بدنانه
وهَبونى الحسامَ لذّة سجعٍ   أينَ فضلُ الحمام فى تحنانه؟
وترٌ فى اللَّهاة[1] ما للمغنّى   مِن يدٍ فى صفائه وليانه

* * *

رُبَّ جارٍ تلفّتت مصرُ توليـ   ـه سؤالَ الكريم عن جيرانه
بَعثنى معزّياً بمـــآقى   وطنى أو مهنّئاً بلســـانه
كان شعرى الغناء فى فرح الشر   قِ وكان العَزاء فى أحزانه
قد قضى الله أن يؤلّفنا الجر   حُ وأن نلتقى على أشجانه
كلما أنّ بالعراقِ جريحٌ   لمس الشرقُ جَنْبه فى عمانه
وعلينا كما عليكم حديدٌ   تتنزّى الليوث فى قضبانه
نحن فى الفقه بالديار سَواءٌ   كلُّنا مشفقٌ على أوطانه

تمّ

(١) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى الفم .

فهرس

الجزء الثانى من الشوقيات

باب الوصف

باب النسيب

متفـــرقات

تم الفهرس

